الكتاب : الديباج الوضي
المؤلف : الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن إبراهيم بن علي الحسيني المتوفى سنة 749 هـ

(الذيَّال): الذي يستحب ذيله بطراً وأشراً، كما قال عليه السلام: ((من جر رداءه لا ينظر الله إليه يوم القيامة))(1).
(الميَّال): الذي يميل في مشيه(2) فخراً وتكبراً، ومشية خوزلى، وخيزرى(3) فيها تخازل وتخازر(4)، وفي الحديث: ((إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمها أبناء فارس والروم فقد تودع منهم))(5) وكلها مكروهة
(يأكل خَضِرَتكم): أراد أموالكم الخضرة.
(ويذيب شحمتكم): أي يقهركم(6) ويهزلكم.
(إيهٍ): اسم للفعل، فإن أردت به المعرفة، كتعريف أعلام الأجناس أسقطت تنوينه، وإن أردت به التنكير نوَّنته، وكلا الوجهين وارد في اللغة يستعملان كثيراً.

---

(1) الحديث بلفظ: ((إن الذي يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة)) رواه البيهقي في السنن الكبرى 233/2، وأبو عوانة في مسنده 403/1، وقريب منه بلفظ: ((من جرَّ إزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة)) رواه مسلم في صحيحه 1652/3.
(2) في (ب): مشيته.
(3) في (ب): وخوزرى.
(4) الخزل محركة والتخزل والانخزال مشية في تثاقل وهي: الخيزل، والخيزلى والخوزلى، وقوله: تخازر من الخزرة والخيزرى والخوزرى وهي مشية بتفكك. (انظر القاموس المحيط ص1282، ص491).
(5) الحديث بلفظ: ((إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم أبناء فارس والروم سلط الله بعضهم على بعض)) أخرجه ابن حبان في صحيحه 112/15، والهيثمي في موارد الظمآن 460/1، والطبراني في الأوسط 48/1.
(6) في (ب) وفي نسخة أخرى: يفقركم.

(أبا ودجة(1)): يروى بالجيم، وهو يخاطب به الحجاج، وسماه بذلك لما كان من سفكه للدماء، وقطعه للأوداج، وكان فاجراً أحمقَ، متسلطاً بالوقاحة، ويروى بالحاء المهملة أيضاً، وأبو وذحة هي كنية الخنفساء، وإنما كناه بذلك لأمرين:

أما أولاً: فلأنه حكى أبو سلمان(2) الخطابي في (غريب الحديث): أن خنفساء مرت بالحجاج، فقال: قاتل الله أقواماً يزعمون أن هذه من خلق الله، فقيل له: ممَّ(3) هي؟ فقال: من وذح إبليس(4)، فكني عنه بها.

وأما ثانياً: فلأن الوذح ما يتعلق بأذناب الشاء، وأرفاغها(5) من أبوالها وأبعارها فيتصلب ويجفُّ، الواحدة منه وَذَحَة، قال جرير:

والتغلبيّة في أفواه عورتها

وَذَحٌ كثيرُ وفي أكتافها الوَضَرُ(6)

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وذخة.

(2) كذا في النسخ : وفي الأعلام: أبو سليمان وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، أبو سليمان [319-388هـ] فقيه محدث، من أهل بست من بلاد كابل، له تصانيف منها: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، ومنها إصلاح غلط المحدثين، ومنها غريب الحديث وغيرها (انظر الأعلام 273/2).

(3) في (ب): فممَّ.

(4) أعلام نهج البلاغة -خ- والنهاية لابن الأثير 170/5، والرواية في شرح النهج لابن أبي الحديد 279/7 بلفظ: إن الحجاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات: واعجبا لمن يقول: إن الله خلق هذه، قيل: فمن خلقها أيها الأمير؟ قال الشيطان. انتهى. وانظر لسان العرب 904/3.

(5) الأرفاغ جمع الرَّفغ والرُّفغ: أصول الفخذين من باطن، وهما ما اكتنفا أعالي جانبي العانة عند ملتقى أعالي بواطن الفخذين وأعلى البطن، وهما أيضاً أصول الإبطين. (انظر لسان العرب1198/1).

(6) لسان العرب 904/3، والوضر: الوسخ.

(740/2)

والخنفساء تعالج ذلك، وجمعها وَذَحٌ، فلهذا سميت وذحة، وكناه(1) بذلك إشارة إلى ركة حاله، وسخف همته، ورذالة(2) نفسه، ومعنى إيهٍ أي زد لهم(3) من ذلك تهكماً بحالهم، وغيظاً عليهم،

وأراد زد مما أنت فيه فإنهم يستاهلونه، وكان كثير الجرأة على الله تعالى، و(4)اقتحام المحارم، وتغيير الأحكام.

سؤال؛ ما وجه الحكمة في تمكين الله تعالى للظلمة، وسائر المردة كالحجّاج وغيره، وفي (5) تمكينهم ظلم الخلق، وتشويش أحكام الدين، وتعدي الحدود فكيف يحسن ما هذا حاله؟

وجوابه من أوجه؛

أما أولاً: فلأنه قد تقرر ببرهان العقل حكمة الله تعالى، وتنزيهه عن كل قبيح، فإذا تقرر كونه فاعلاً لهذا التمكين، وجب القضاء بحسنه لا محالة.

وأما ثانياً: فلأن تمكينهم إنما هو بالأموال، وكثرة(6) الأتباع، من الحفدة والخدم، فهذا من فعل الله، ولاشك في حسنه، والتسلط والبغي إنما هو من أفعالهم، ولا شك في قبحه.

وأما ثالثاً: فلأنهم مأمورون بالإصلاح، ومنهيون عن الإفساد، فليس تمكينهم من ذلك بأبلغ من تمكينهم من القدرة والشهوة، فإذا كانت هذه حسنة فتمكينهم يكون حسناً لامحالة.

وأما رابعاً: فلأن تمكينهم من ذلك على جهة الابتلاء والامتحان من الله تعالى للخلق، كما كان من خلق إبليس وغيره، مما يكون فيه زيادة الأجر، وإعظام الثواب.

(111) [ومن كلام له عليه السلام](7)

(فلا أموال بذلتموها): أنفقتموها وجدتم بإعطائها.

(للذي رزقها): من أجل وجهه، ورجاء ثوابه، وشكراً على نعمة رزقه إياها.

---

(1) في (ب): وسماه.

(2) في (ب): وإرذاله.

(3) في (أ): زدتهم.

(4) في (ب): في.

(5) قوله: في زيادة في (ب).

(6) في (أ): وكثر.

(7) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(741/2)

(ولا أنفس خاطرتم بها): جعلتموها تعرض الخطر(1)، وهو الهلاك.

(للذي خلقها): جهاداً في سبيله، وإعزازاً لدينه، ولأن تكون كلمته هي العلياء.

(تَكْرُمُون بالله على عباده): أي أن الحجة لازمة لكم، ومتوجهة عليكم من أجل أن الناس يكرمونكم من أجل إيمانكم بالله، وإقراركم بتوحيده وعبادتكم له، فهذه الكرامة واصلة إليكم بسبب من الله.

(ولا تكرمون الله في عباده(2)): أي ولا ترون لله تعالى حقاً تكرمونه به، وهو القيام بأمره في عباده من التزام أوامره، والانكفاف عن مناهيه.

(فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم): إما أن يريد منازلهم في الدنيا ومساكنهم فيها، فإنهم ظعنوا عنها، وسيكون لبثكم فيها مثل لبثهم ، وترتحلون عنها كارتحالهم، وإما أن يريد القبور فإنَّا عن قريب نكون فيها، كما كان من قبلنا.

(وانقطاعكم عن أوصل إخوانكم!): وهو عظيم(3) المودة لكم بالموت وفراقكم له، وتفسير الانقطاع بالموت ها هنا كالمؤيد لتفسير النزول بالموت، كما سبق تقريره في أحد الاحتمالين.

(112) [ومن كلام له عليه السلام](4)

(أنتم الأنصار على الحق): هذا كلام يكلِّم به أصحابه، وهواستطراد بديع إذ لا ملاءمة بينه وبين الأول، والأنصار: جمع ناصر، وهو قليل في جمع فاعل كقلة صَحْب في جمع صاحب، وأراد أنهم الأنصار في إظهار كلمة الدين، والقيام بحق الله.

(والإخوان في الدين): أي أنه الجامع في الإخوة، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:10].

---

(1) في نسخة أخرى: للخطر.

(2) في (أ): عبادته.

(3) في (أ): أعظم.

(4) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(742/2)

(والجُنَن يوم البأس): جمع جُنّة، وهو: عبارة عن كل ما وقى الإنسان، والبأس: شدة الحرب، وفي الحديث: ((كنَّا إذا احمرَّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله))(1) نزَّلهم في دفع الشر عنه بمنزلة(2) الجُنَّة، وهي استعارة بديعة.

(والبطانة دون الناس): البطانة: ما يلي الجسد من الثياب، بمنزلة الشعار، وأراد أنهم الخواص به دون غيرهم من الخلق لعلوهم في الدين.

(بكم أضرب المدبر): من أجل طاعتكم لي، وانقيادكم لأمري، أستعين بكم على من خالفني وأدبر

عني، وأقاتله بكم.

(وأرجو طاعة المقبل): أي ومن أجل إعانتكم لي يكون ذلك سبباً في استقامة من أقبل لي، وأرجو دوامها.

(فأعينوني بمناصحة): فلتكن منكم الإعانة لي ولا إعانة كالنصح من جهتكم لي، فإنها أعظم الأعوان من جهتكم لي، وفي الحديث: ((ألا إنما الدين النصيحة)) قالها ثلاثاً، قالوا: لمن يارسول الله؟ فقال: ((لله ولرسوله ولأئمة المسلمين)).

(خليَّة عن(3) الغشِّ): لا يشوبها ما يكدِّرها من الغشِّ، وفي الحديث عن الرسول [صلى الله عليه وآله وسلم] (4): ((ليس منَّا من غشَّ))(5)، وفي حديث آخر: ((ملعون من خان مسلماً أو غرَّه))(6).

---

(1) القائل: هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، انظر النهج وشرحه لابن أبي الحديد، وانظر النهاية لابن الأثير 89/1.

(2) في (ب): منزلة.

(3) في النهج: من.

(4) سقط من (ب).

(5) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 320/5، وأبو داود في سننه 278/3، وابن ماجة في سننه 749/2، وأحمد بن حنبل في مسنده 242/2، والطبراني في المعجم الكبير 198/22.

(6) الحديث بلفظ: ((ملعون من ضار مسلماً أو غره)) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 124/9، والبزار في مسنده 107/1، 197، وأبو يعلى في مسنده 96/1.

(743/2)

(بريئة(1) من الريب): الشك؛ لأن الشك يهوِّن النصيحة ويوهي أمرها.

(فوالله إني لأولى الناس بالناس): لأن الله تعالى قال: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ [وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ](2)}[الأحزاب:6]، ثم قال عليه السلام: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى))(3)

---

(1) في النهج: سليمة.

(2) سقط من (أ).

(3) حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة، وأخرجه الإمام أبو العباس الحسني عليه السلام في المصابيح من حديث طويل ص249 في وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنده عن عبد الله بن

الحسن عليهما السلام، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص 86 برقم (46) بسنده عن مصعب بن سعد عن أبيه، والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 134/1 بسنده عن جابر بن عبد الله، وأخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 499/1-542 من الرقم (416) إلى الرقم (483) بطرق عدة وروايات متعددة، وهو فيه عن جابر بن عبد الله، ومحدوج بن زيد الذهلي، وأبي سعيد الخدري، وأم سلمة، وسعد بن أبي وقاص، وأسماء بنت عميس، وأمير المؤمنين، وجابر بن سمرة، وعبد الله بن العباس، وسلمة بن الأكوع وغيرهم، ورواه الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام في مجموع كتبه ورسائله ص177 في الإمامة، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في مجموع رسائله ص 53 في كتاب معرفة الله عزوجل، وص 194 في كتاب أصول الدين وص 436 في تثبيت إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص 37-43 تحت الأرقام (40-56) بسنده عن سعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق309/1-390 من الرقم (339) إلى (455) وهو فيه بطرق عدة يصعب متابعتها في مثل هذه العجالة، وانظر طرق الحديث ورواته من الصحابة والتابعين ومصادره (لوامع الأنوار 98/1-105) للعلامة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي حفظه الله تعالى، والروضة الندية ص101-103 للعلامة محمد بن إسماعيل الأمير، وأخرجه مسلم في صحيحه 1871/4،1870، والبخاري في صحيحه 1359/3، 1602/4، وابن حبان في صحيحه 369/15، 370، والحاكم النيسابوري في المستدرك 367/2، 117/3، 143، والترمذي في سننه 538/5، 640،641، والهيثمي في مجمع الزوائد 109/9، 110، 111، والبيهقي في السنن الكبرى 44/5، 107، 108، وغيرها، وابن ماجة في سننه 42/1، 45، وابن أبي شيبة في مصنفه 366/6، 424/7، وأحمد بن حنبل في مسنده 170/1، 173-175، وغيرها، والطبراني في المعجم الكبير 146/1، 148، ومصادر الحديث كثيرة جداً انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 544/2.

(744/2)

فحصل من مجموع الآية والخبر، ثبوت الولاية على المؤمنين، كولاية الرسول، كيف وذلك يحصل من إمامته، سواء كانت ثابتة بالنصِّ أو بغيره.

ثم جمع أصحابه وحضهم على الجهاد، فسكتوا ملياً، فقال(1):

(ما بالكم!): البال هو: الخاطر، وهو استفهام وارد(2) مورد التعجب والإنكار عليهم.

(أمخرسون أنتم!): أي أصابكم الخرس، فأنتم لا تسمعون كلامي وتجيبونه.

(فقال قوم: يا أمير المؤمنين): أي القليل منهم.
(إن سرت سرنا معك): أي إنا متابعون لخروجك، فلانتخلف عنك مهما خرجت.
(فقال: ما بالكم !): تكريراً للتعجب من حالهم، وإنكاراً لفعلهم وصنيعهم.
(لا سدِّدتم لرشد!): أي لا هديتم لأرشد الآراء وأصوبها.
(ولا هديتم لقصد!): ولا ثبتم لأعدلها وأعلاها، والقصد: العدل.
(أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج): إنكاراً عليهم، لما أشاروا بخروجه وأنهم لامحالة خارجون معه.
(إنما يخرج في مثل هذا): إنما الرأي الأرشد في مثل هذا خروج.
(رجل أرضاه من شجعانكم): يكون مرضياً عندي في شجاعته.
(وذوي بأسكم): وأن يكون صاحب تجربة في الحروب الشديدة ممن قد حنكته(3) التجارب فيها، يقوم مقامي، فأما أنا فلا أرى لنفسي بالخروج.
(ولا ينبغي لي أن أدع الجند): أترك النظر في أحوال الجند وتقويتهم، والتعهد لأحوالهم بالخروج.
(والمصر): والنظر في أحوال أهل المصر من أهل الفاقة، والمسكنة والوقوف وأحوال الضعفاء والأرامل.
(وبيت المال): من معرفة ما يخرج منه، وما ينتصب(4) فيه من الأموال، وإنفاقها على وجهها.

---

(1) في النهج: ومن كلام له عليه السلام وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا، فقالعليه السلام ...إلخ.
(2) في (أ): ورد.
(3) في (أ): حكته.
(4) في نسخة أخرى: وما ينصبُّ.

(745/2)

(وجباية الأرض): وإرسال من يخرص(1) الأموال المأخوذة من الأراضي.
(والقضاء بين المسلمين): في خصوماتهم كلها، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، وقطع شجارهم.
(والنظر في حقوق المطالبين): إن كان اسم فاعل، فالغرض إيفاء من وجب له حق على غيره، وهو مطالب غريمه بتحصيله بعد وجوبه، وإن كان اسم مفعول فالغرض النظر في حاله، هل يحبس حتى يوفي، أو يكون له أجل فلابد من انتهائه إليه، أو يكون مفلساً فيحكم بإطلاقه، وغيرذلك من الأحكام في الخصومات والمعاملات بين الخلق، فهذه الأموركلها لا يمكن إقامتها على الوجه اللائق إلا بوجودي وحضوري، وإحكامها بوالي(2)، فكيف يقال: بأني أتركها وأخليها.

(ثم أخرج في كتيبة): جماعة من الخيل.

(أتبع أخرى): لاحقاً لها(3)، وحاصلاً معها.

(أتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ): القدح: الواحد من السهام، والجفير هو: موضعها وهو أوسع من الكنانة، والفارغ: الخالي عن السهام، مثّل حاله بخروجه عن المصر بحال القدح الواحد في الكنانة، فإنه يضطرب من جانب إلى جانب، لا يستقر حاله.

(وإنما أنا قطب الرَحى): قطب الرحى هو: المسمار الذي تدور عليه الأرحية، التي يطحن عليها بالحيوانات والماء، وهو بمنزلة السَّفُّود(4) في رحى اليد.

(تدور عليّ): أي أني أصلها، وقاعدتها.

(وأنا بمكاني): مستقر في موضع غير خارج منه، وهي جملة ابتدائية في موضع نصب على الحال من الياء في(5) عليَّ، أي تدور عليَّ مستقراً فيه.

---

(1) يخرص: يحرز ويقدر.

(2) في (ب): برأيي.

(3) في (ب): بها.

(4) السَّفُّود: بوزن التَّنُّور: الحديدة التي يشوى بها اللحم. (مختار الصحاح ص300).

(5) في (أ): من الماء في...إلخ، وهو تحريف، والصواب كما أثبته.

(746/2)

(فإذا فارقته): بالخروج كما زعمتم.

(استحار مدارها): تردد ولم يجرِ على جهة الاستقامة، ومنه قولهم: حار في أمره إذا تردد فيه، والمدار إما مصدر أي دورها، وإما مكان الدور.

(واضطرب ثفالها): الثفال: جلد يبسط تحت الأرحية التي لأهل الخيام، يسقط عليه الدقيق، وربما سمي الحجر الأسفل من الرحى بذلك، قال زهير:

فَتَعْرِككم عَرْكَ الرِّحى بِثِفَالِهَا

وتلقح كشافاً ثم ترضع فتفطم(1)

(هذا): إشارة إلى ما ذكره من التصويب للخروج.

(لعمرالله): قسمي.

(هو الرأي السوء): الذي يسوء به الحال ولا يصلح، والسوء: عبارة عن كل ما يسوء ويكره، قال الله تعالى: {إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ}[النحل:27].

(والله لولا رجائي للشهادة(2)): أي(3) إن مقامي بين أظهركم، لولا أني أرجو به حصول الشهادة والفوز بها بالقتل جهاداً:

(عند لقائي العدو): مواجهتي له.

(لو قد حُمَّ لقاؤه لي): قُدِّر وقضي من جهة الله تعالى.

(لقرَّبت رِكَابي): الرِّكاب: عبارة عمَّا يركب من الإبل.

(ثم شخصت عنكم): يقال: شخص عن منزله، إذا خرج عنه.

---

(1) شرح المعلقات السبع للزوزني ص65، ورواية الشطر الثاني فيه:
وتلقح كشافاً ثم تنتج فتتئم

وبيت زهير أورده ابن منظور في لسان العرب 362/1، وروايته فيه كما في شرح المعلقات السبع.

(2) في النهج: الشهادة.

(3) قوله: أي زيادة في (ب).

(747/2)

(فلا أطلبكم ما اختلف جنوب وشَمَال(1)): فلا أريد وصالكم قط، والجنوب: ما كان هبوبها من ناحية القطب، والشمال من الريح: ما كان هبوبها من ناحية سهيل، واختلافهما تقابلهما؛ لأن هذه تقابل هذه وتعاكسها، لاختلاف المهوى(2) فيهما، وهي المناوحة(3).

(113) [ومن كلام له عليه السلام يذكر فضله ويعظ الناس](4)

(تالله لقد علِّمت تبليغ الرسالات): إخبار عن نفسه بالعلم، بكيفية إرسال الرسل، إما عاماً في جميعهم بإعلام الرسول له ذلك، وإما خاصاً في حق الرسول عليه السلام فإنه أعلمه ذلك بوحي من جهة الله تعالى.

(وتمام(5) الكلمات): يشيربه إلى قوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}[البقرة:124] وفيها قراءتان:

القراءة(6) الأولى: في السبعة، المشهور بنصب إبراهيم ورفع الرب على أنه فاعل، أي امتحنه واختبره بأوامر من عنده ونواهٍ فأتمهنَّ، وقام بذلك وأدَّاه كما أمر.

(1) بعده في شرح النهج: (طعانين، عيابين، رواغين، إنه لا غناء بكثرة عددكم، مع قلة اجتماع قلوبكم، لقد حملتكم على الطريق الواضح، التي لايهلك عليها إلا هالك، من استقام فإلى الجنة، ومن زلَّ فإلى النار).

(2) في (ب): الهوى.

(3) تناوحت الرياح: اشتد هبوبها، وهبت صباً مرة، ودبوراً مرة، وشمالاً مرة، وجنوباً مرة. (انظر المعجم الوسيط 961/2).

(4) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(5) في (ب): وإتمام.

(6) في (ب): فالقراءة.

(748/2)

والقراءة الثانية: في الآحاد، وهي عن ابن عباس، وأبي حنيفة برفع إبراهيم ونصب الرب، على أن إبراهيم فاعل، أي دعاه بكلمات فعل من يختبر هل يجيبه أم لا؟ {فَأَتَمَّهُنَّ}، أي أعطاه ما طلبه من ذلك وأجابه إليه(1)، واختلف العلماء في الكلمات ماهي؟ فقيل: هي خمس في الرأس: الفرق، وقص الشارب، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وخمس في الجسد: الختان، والاستحداد، والاستنجاء، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقيل: ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام والدين: عشرة في برآءة {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...}[التوبة:112]إلى آخر هذه، وعشر في الأحزاب: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...}إلى آخرها[الأحزاب:35]، وعشر في المؤمنين، وسورة سأل إلى قوله: {...وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}[المؤمنون:9]، وقيل: هي مناسك الحج: كالطواف، والسعي، والرمي، وغيرها، وقيل: ابتلاه بالكواكب، والقمر، والشمس، والختان، وذبح ابنه، والنار، والهجرة، وقيل: الكلمات هي كقوله: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا}[إبراهيم:35]، وقوله: {وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ}[البقرة:128]، وقوله: {وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً}[البقرة:129] فصرح من نفسه بأنه عالم بإتمامها، وحقيقتها ما هي(2).

(وإتمام العدات): ما وعد الله به على ألسنة الرسل، لأوليائه من أهل الإيمان وأهل الطاعات، من النعيم الدائم والخلد في الجنة، فأراد أنهعليه السلام محيط بعلم ذلك كله، منفرد به من بين كافة الخلق، بإعلام الرسول له ذلك.

---

(1) انظر الكشاف 210/1.

(2) انظر كل الأقوال التي أوردها المؤلف (ع) هنا في تفسير قوله تعالى: {وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن} المصدر السابق 210/1.

(749/2)

ثم أجمل ما فصّله من ذلك، واستحضره، بقوله:

(وعندنا أهلَ البيت): يعني نفسه وأولاده؛ فإنهم هم أهل البيت ذلك اليوم مع زوجته، وانتصاب أهل البيت ليس على النداء، فإنه لا معنى للنداء ها هنا، وإنما هو منتصب على المدح، كما يقال: الملك لله أهل الملك.

(أبواب الحُكْم): فصل القضاء بين الخلق، وقطع شجارهم بالعلم النافذ، والبصيرة القاطعة، وفي الحديث: ((إنه لما بعثه قاضياً إلى اليمن دعا له بالتثبيت))، فقال أمير المؤمنين: (فما زللت في قضية قط)(1)

---

(1) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رضي الله عنه في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب 605/2 برقم (1104) بسنده يبلغ به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء؟ فضرب في صدري بيده وقال: ((اللهم، اهد قلبه وثبت لسانه))، قال: فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين) وانظر الرقم (502) في مناقب الكوفي أيضاً، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق 492/2-493 برقم (1022) كما في مناقب الكوفي مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وانظر الحديث بأسانيد عدة في ترجمة الإمام علي من تأريخ دمشق لابن عساكر تحت الأرقام من (1020) إلى (1027)، ورواه الموفق بالله في الاعتبار ص617 برقم (498)، والبدر الأمير في الروضة الندية ص 37، عن علي عليه السلام، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، والبيهقي في الدلائل، قال: وأخرجه ابن سعد أيضاً. _ ... _قلت: وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك 145/3، وأحمد بن حنبل في مسنده 11/1، وأبو يعلى في مسنده 268/1، وابن ماجة في سننه 774/2، وعلى الجملة فمصادر الحديث كثيرة ونكتفي بما ذكر خشية الإطالة.

(750/2)

.

فهذا فائدة هذه الرواية وهي سماعنا، وأما من رواه (أبواب الحِكَم)، فهي جمع حكمة، وأراد به الآداب و المواعظ.

(وضياء الأمر): في كل ما التبس على الخلق، فنحن نور ظلامه، وجلاء قتامه(1)، وهذا كله مجاز في تنوير بصائرهم، وتبحرهم في العلوم الدينية التي بها نجاة الخلق، ونفعهم في الآخرة.

(ألا وإن شرائع الدين واحدة): أراد ما كان متعلقاً بالمسائل الإلهية فإنها واحدة، لا تختلف أبداً في جميع الشرائع والأديان كلها، وهي أن الله تعالى واحد، وأنه حكيم في أفعاله، ومستحق للعبادة، وغير ذلك من الإلهيات.

(وسبله قاصدة): السبل هي: الطرق(2)، وهي جمع سبيل، والقاصد: العادل، أي أنها غيرمائلة عن الحق.

(من أخذ بها): سلك على جادها، ولم يعدل شمالاً ولا يميناً.

(لحق): ما يطلبه، وأدرك ما يريد.

(وغنم): بأخذ نصيبه الأوفر من حظّ الدين.

(ومن وقف عنها): بالتأخر عن سلوكها، والعدول إلى غيرها.

(ضل): مال عن الحق.

(وندم): تحسَّر، وعضَّ على أنامله على فواتها.

(اعملوا ليوم): وهو يوم القيامة، وإنما نكّره؛ ليدل بذلك على فخامته وعظم شأنه.

(تذخر له الذخائر): من الأعمال الصالحة، والمتاجر الرابحة.

(وتبلى فيه السرائر): تمتحن فيه أسرار القلوب وخباياها وتعرض على علاَّمها.

اللَّهُمَّ، إنا نعوذبك من الفضيحة، بالأسرار المكشوفة عندك.

(ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز): وهذا من كلام أمير المؤمنين، وحكمه التي جرت أمثالاً، واطَّردت على ألسنة الخلق، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن من لا ينتفع بما يحضره من عقله في أمر دينه، وصلاح عاقبته، فالذي يعزب عنه أي يتعذرمن ذلك أقل نفعاً وأبعد.

---

(1) القتام: الغبار.

(2) في (ب): الطريقة.

وثانيهما: أن يكون مراده أن من لا ينتفع بمايشاهده من الأمور، وتكون موعظة له، فما غاب عنه من ذلك يكون انتفاعه به أبعد، وتقاعده عنه أكثر.

(وغائبه عنه أعوز): أي وما يغيب عنه من ذلك، يكون أشد إعوازاً، وأعظم تعذراً.

(واتقوا ناراً): من الوقاية لخوف الله تعالى، والبعد عن محرماته، والإيمان بطاعاته، وإنما نكرها تعظيماً لشأنها، كأنه قال: نار وأي نار.

(حَرُّها شديد): وقودها الناس والحجارة.

(وقعرُها بعيد): وفي الحديث: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها جلساءه، فيهوي بها ما بين الثريا إلى الثرى في النار))(1).

(وحليتُها حديد): من الأصفاد، وهي القيود، والأغلال، والسلاسل.

(وشرابُها صديد): وهو: القيح المختلط بالدم.

(ألا وإن اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس): وهذه(2) أيضاً من الحكم البديعة التي اختص بها، وصار أباً لعذرتها، واللسان الصدق هو: الثناء الحسن، عبر عنه باللسان، لما كان مفعولاًبه، وأراد أن ما يجعله الله تعالى للإنسان بعد موته من الثناء الحسن على الأعمال الصالحة، والذكر الجميل في ألسنة الخلق، ليكون سبباً للرحمة(3)، والدعاء من الناس هو لا محالة:

---

(1) أورد الحديث بلفظ: ((إن الرجل ليتكلم بكلمة ليضحك به القوم يهوى بها من أبعد من الثريا)) ابن المبارك في الزهد 332/1 بسنده عن أبي هريرة، قال ابن صاعد: لا أعلم روى هذا الحديث إلا ابن المبارك بهذا الإسناد. وانظر مسند أحمد بن حنبل 402/2.

(2) في (ب): وهذا.

(3) في (أ): للارحمة، وهو تحريف.

(752/2)

(خير له(1) من المال يورثه من لا يحمده): وفي قوله: يورثه من لا يحمده، تعريض بحال المال، وأنه لا خير في تخليفه؛ لأنه ربما أكله من لا يحمده، ووباله على من يجمعه(2)، فلهذا كان غيره أجدى نفعاً، وأحمد عاقبة.

واعلم: أن كلامه في هذه الخطبة قد اشتمل على نوع من أنواع البديع، هو إنسان مقلتها، ونور طلعتها، وهو حسن التصرف، و(3)من أجله حصل التفاضل بين الخطباء، وأصحاب الرسائل والشعراء، وليس حصوله بكثرة علم، ولا بممارسة العلوم، وإنما يحصل بجودة القريحة، وحسن الطبع، فإنه أورد فيها فنوناً كثيرة، وأنواعاً مختلفة، تدل على حسن تصرف ومبالغة فيه، ومن ثَمَّ عظم موقع

فصاحة القرآن؛ لاشتماله على البديع من ذلك، والعجيب من أحواله كالقصص والأخبار والمواعظ والأمثال، مما يدل على كونه إلهياً معجزاً للبشر، [و] (4)سماوياً عز سلطان من أنشأه(5).

(114) ومن كلام له عليه السلام

وقد قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة، ثم أمرتنا بها، فما ندري أي الأمرين أرشد، فصفق إحدى(6) يديه على الأخرى ثم قال:

---

(1) له، زيادة في النهج.

(2) في (ب): جمعه.

(3) الواو، سقط من (أ).

(4) سقط من (ب).

(5) أي خلقه.

(6) في (أ): أحد.

(753/2)

(هذا جزاء من ترك العُقدة!): العُقدة: موضع العقد، بضم الفاء كغُرفة وهو ماعقد عليه، يقال: جبرت(1) يده على عُقدة، أي على عَثْم وهو: انجبارالعظم على غير استواء عند كسره، أورد(2) ها هنا مثالاً له ولأصحابه، أي كنتم في مخالفة أمري، واستمراركم على مقتضى هواكم، واغتراركم بمكر أهل الشام، ورفعهم المصاحف على رؤس الرماح، والدعاء إلى حكم القرآن، بمنزلة العظم المكسور المنجبر على عثم(3)، فلو ترك على حاله لبطلت الأفعال المتعلقة بذلك العضو، وعلاج ذلك وإصلاحه إنما يكون بأن يكسره مرة ثانية ثم يجبر(4)، فمن لم يفعل ذلك فقد ترك العقدة على حالهاولم يصلحها، وقد قرر هذا في آخر كلامه.

(أما والله لو أني حين(5) أمرتكم): بما أمرتكم به من الثبوت على الحرب، والإعراض عن هذه الخديعة في حملهم المصاحف.

(حملتكم على المكروه): على ما تكرهونه، ويكون مخالفاً لهواكم.

(الذي يجعل الله فيه خيراً): في الدنيا بالنصر على العدو، وقطع الدابر منه، وفي الآخرة بإحراز(6) الأجر وإعظام الثواب بالجهاد.

(فإن استقمتم): عليه وامتثلتموه.

(هديتكم): دللتكم على مصالح دينكم.

(وإن اعوججتم): مِلْتُم عن الدين وطريق الآخرة.

(قوَّمتكم): بالبصيرة.

(وإن أبيتم): كرهتم ما أقول(7) لكم ورددتموه.

---

(1) في (أ) بالتاء المربوطة أي جبرة، والصواب كما أثبته، وفي (ب): عقدت.

(2) في (ب): أو أراد، وفي نسخة أخرى: وأراد.

(3) يقال: عثمتُ يده فعثمت إذا جبرتها على غير استواء، وبقي منها شيء لم ينحكم (نهاية ابن الأثير 183/3).

(4) في (ب): يجبره.

(5) قوله: حين، سقط من (ب).

(6) قوله: بإحراز، زيادة في (ب).

(7) في نسخة أخرى: ما أقوله.

(754/2)

(تداركتكم): بالنصيحة مرة بعد مرة، فلو فعلت هذه الأشياء كلها ولم أصغ إلى كلامكم.

(لكانت الوثقى): أوثق ما يكون من المتمسكات(1)، وأصوب ما يكون من الآراء.

(ولكن بمن): انتصر إذا خالفتموني، ونبذتم رأيي.

(وإلى من!؟): أستند إذا خذلتموني، ومن في المو ضعين جميعاً موصولة، وحذفت صلتها للعلم بها(2) كما فسرناه.

وحكي عن الأشتر أنه لما وردت عليهم(3) الشبهة في أمر التحكيم، وكان ذلك مخالفاً لرأي أمير المؤمنين، فقال لهم(4): حدثوني عن أماثلكم وقرائكم هل كنتم محقين حين كنتم تقاتلون، وخياركم مقتولون؟ فإن كنتم كذلك فأنتم الآن(5) بالإمساك عن القتال مبطلون، وإن كنتم الآن محقين فقتلاكم وخياركم يكونون في النار.

---

(1) في (أ): التمسكات.

(2) في (ب): بهما.

(3) في (ب): عليه الشبه.

(4) قوله: لهم، زيادة في (ب).

(5) قوله: الآن، سقط من (ب).

فقالوا عند ذلك قول من يجهل(1): قاتلناهم في الله، وندع قتالهم لله، إنا لا نطيعك ولا صاحبك، فقال لهم: خدعة ما خدعتم(2) يا أهل الجباه السود(3).

(أريد أن أدواي بكم): أقيم بكم الحق، وأعتضد بكم عمَّن خالفني، وتكونون عوناً لي على ذلك.

(وأنتم دائي): أي ومنكم الاعوجاج، ومن المحال أن يكون الداء سبباً للبرء، ومنه يقع الفساد، ومن أجله يكون التغير، فكان حالكم وحالي في ذلك مشبهاً فيما هو فيه.

(كناقش الشوكة بالشوكة): نقش الشوكة، إذا شقها بالمنقاش.

(وهو يعلم أن ضلعها لهو معها): الضلع هو: الاعوجاج والميل، قال الشاعر:

وقد يحملُ السيفَ المجرّبَ ربُّه

---

(1) في (ب): يجهد.

(2) في (ب): جزعة ما جزعتم.

(3) بعده في المغني 101/1/20: كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، انظر الرواية فيه باختلاف يسير عما هنا، ونص الرواية من شرح النهج لابن أبي الحديد 219/2 كما يلي: قال –أي الأشتر– فحدثوني عنكم وقد قُتِلَ أماثلكم وبقي أراذلكم، متى كنتم محقين! أحين كنتم تقتلون أهل الشام، فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون! أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون! فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم، وإنهم خير منكم في النار. قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله، إنَّا لسنا نطيعك فاجتنبنا، فقال: خدعتم والله فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصحاب الجباة السود، كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحاً يا أشباه النِّيب الجلاَّلة، ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً، فابعدوا كما بَعُدَ القوم الظالمون. انتهى.

على ضَلَعٍ في قَيْنِه(1) وهو قاطعُ(2)

وهذا مثل يضرب للرجل يخاصم آخر فيقول: اجعل بيني وبينك فلاناً، يعني به رجلاً يهوى هواه، ويعضده على أمره، فيقال له تمثيلاً بحاله: لاتنقش الشوكة بالشوكة، فإن ضلعها معها، وأراد كيف

أستعين بكم، وهواكم معهم، وأنتم أعوان لهم بتأخركم عني ومخالفتكم لي.!

(اللَّهُمَّ، قد مللت أطباء هذا الداء الدوي): الملل هو: السآمة من كل شيء، والأطباء جمع طبيب، الداء هو: المرض، والدوِيّ بكسر الواو وفتحها مخففاً هو: مبالغة، كما يقال: شيطان ليطان وحسن يسن، ويقال: رجل دوي ودوَى بكسر الواو وفتحها، إذا كان فاسد الجوف، فإذا فتحت واوه، استوى فيه المذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر في الأصل، فإذا كسرت الواو، أجريته على تصريفه في التذكير والتأنيث، فتقول: رجل دويّ وامرأة دويّة، ويقال: رجل دوَي بفتحها إذا كان أحمق، ومن رواه مشدد الياء؛ فهو تصحيف لا وجه له؛ لأنه إنما يستعمل في الأصوات، كدوي الريح والطير، وغير ذلك من الأصوات.

(وكلّت النزعة بأشطان الرَّكيِّ!): النزعة: جمع نازع، كالفسقة في جمع فاسق، والأشطان هي: الحبال، واحدها شطن، والركية: البير ،وجمعها ركايا، وركى أيضاً يكون من باب تمرة وتمر، وأراد في كلامه هذا أنه لم يأل جهداً في النصيحة، ودلالتهم على الأمر الذي فيه صلاحهم من عدم التحكيم، فأبوا إلا الإصرار عليه، والمخالفة لي فيما قلته.

ثم خرج إلى الإطناب في وصف أصحابه، انتقاصاً لهؤلاء، وتعريضاً بأحوالهم حيث خالفوه، بقوله:

---

(1) في نسخة ولسان العرب: متنه.

(2) لسان العرب543/2، ونسبه لمحمد بن عبد الله الأزدي.

(757/2)

(أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوا(1)): بالانقياد لحكمه، والتزام أوامره ونواهيه.

(وقرءوا القرآن فأحكموه): فأقاموا شرائعه وأحكامه، وحللوا حلاله، وحرموا حرامه.

(وهيجوا للجهاد(2)): هاج يهيج الشيء هيجاناً، إذا ثار، ومنه هاجت الريح، وهاجت الحرب.

(فولهوا اللقاح أولادها(3)): التوليه(4): التفريق، واللقاح: جمع لقحة، وهي الحلوب من الإبل، ومن عادة العرب أن لا يركبوا اللقاح، ولا يفرقوا بينها وبين أولادها، والمراد ها هنا بيان حرصهم على الجهاد، وسرعة إجابتهم للداعي إليه، وإنهم لعظم(5) حاله يخالفون العرب، ويولهون اللقاح بأولادها، ويفرقونها استعظاماً لأمره.

(وسلبوا السيوف أغمادها): شوقاً إلى الجهاد، فلم يراعوا سلَّها عند الحاجة إليها، والغمد هو: قراب السيف.

(وأخذوا بأطراف الأرض): قعدوا بها، وتمكنوا في مواضعها.

(زحفاً زحفاً): أي يزحفون زحفاً، والزحف: الإقبال إلى العدو بالقتال له.

(وصفاً صفاً): أي متلاصقين في قتالهم صفاً بعد صف، وتكرير المصدر على جهة التأكيد، كما قال تعالى: {كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}[الفجر:21-22] وانتصابه على الحال.

(بعض هلك): قتلاً جهاداً في سبيل الله، وإعزازاً لكلمته.

(وبعض نجا): تأخر أجله.

(لا يبشرون(6) بالأحياء): أي لا تلحقهم(7) بشارة، ولا يسترون بحياة من حيي منهم.

---

(1) في النهج: فقبلوه.

(2) في النهج: إلى الجهاد.

(3) نص العبارة في النهج: فولهوا وله اللقاح إلى أولادها.

(4) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: التولهة.

(5) في (ب): بعظم.

(6) في (ب): لا يبتشرون.

(7) في (ب): لاتخلقهم.

(758/2)

(ولا يعزّون عن الموتى): ولا يلحقهم(1) غم بموت من مات منهم، وأراد أنهم جادون في رضاء الله تعالى، مقبلون علىشأنهم من ذلك، لا يعرجون على شيء سواه.

(مُره العيون من البكاء): مرهت عينه إذا تغيرت من ترك الاكتحال، وفي الحديث: ((إن الله يبغض المرأة المرهاء))(2) وهي التي لا تكتحل في عينها.

(خمص البطون من الصيام): أراد أن الصيام هو الذي أخمص بطونهم لكثرته، والإخماص: ضمور البطون(3)، وسمي باطن كف الرجل أخمص لرقته وضموره.

(ذبل الشفاه من الدعاء): أراد أنها دقت من كثرة الدعاء، ومنه الذُّبالة لدقتها وضمورها، وفرس ذبل إذا أضمر.

(صفر الألوان من السهر): من أجل قيام الليل، فلا ينامون فيه، فألوانهم صفر من السهر، يُرى:

(على وجوههم غَبَرَة الخاشعين): أي(4) أنهم ليسوا من الزينة في شيء لنسيانهم ذلك، وإقبالهم على الآخرة، كما ورد في الحديث: ((رب أشعث ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره))(5).

(أولئك إخواني): الإشارة إلى من وصف حالهم من قبل، الذين هم إخوان في الله تعالى.

(الذاهبون): إلى الله تعالى بالموت، أو الذاهبون إلى الجنة.

(1) في (ب): ولايخلقهم.

(2) الحديث بلفظ: ((إن الله ليبغض المرأة السلتاء والمرهاء)) رواه العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار 209/2 الباب (151)، وعزاه إلى أمالي الإمام أحمد بن عيسى بن زيدعليه السلام، وروي قريباً منه في الجرح والتعديل 378/9، وفي علل ابن أبي حاتم 419/1، عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إني أكره المرأة المرهاء)).

(3) في (ب): البطن.

(4) قوله: أي سقط من (ب).

(5) أخرجه ابن حبان في صحيحه 403/14، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 110/5.

(759/2)

(فحق لنا أن نظمأ إليهم): إلى رؤيتهم، والظمأ ها هنا استعارة كما يقال: أحياني اكتحالي بطلعتك.

(ونعضَّ الأيدي على فراقهم): عضُّ اليد كناية عن كثرة الأسف، يقال: فلان يعض على أنامله، كما قال تعالى: {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ}[آل عمران:119].

(إن الشيطان يسنِّي طرقه): أي يسهل مسالكه لتكون موطأة لمن يسلكها(1).

(ويريد أن يحل دينكم عقدة عقدة): بالمكر والخديعة، حتى يأتي على قواعد الدين، واحدة واحدة.

(ويعطيكم): من أعطاه كذا إذا منحه إياه.

(بالجماعة الفرقة): أي لا يزال مجتهداً في تشتيت شملكم بعد اجتماعه.

(وبالفرقة الفتنة): وبعد حصول الفرقة، حصول الفتنة لا محالة.

(فاصدفوا): صدف عن كذا إذا كان منصرفاً عنه، قال الله تعالى: {سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا}[الأنعام:157].

(عن نزغاته): نزغ الشيطان ينزغ نزوغاً، إذا دخل بالفساد، وأراد انصرفوا عن مداخله، التي يدخل بها لإفساد أحوالكم.

(ونفثاته): وساوسه التي ينفثها(2) في النفوس، وتصغي لها الآذان، والنفثة هي: فوق النفخة ودون التفلة.

(واقبلوا النصيحة): أشعروا نفوسكم قبولها.

(ممن أهداها إليكم): إما أن يكون ذلك عاماً، وإما أن يشير به إلى نفسه في سماع مواعظه.

(واعقلوها على أنفسكم): من قولهم: عقل بعيره إذا حبسه، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يحبس عن فعل

المقبحات.

فهرس الموضوعات

---

(1) في (ب): سلكها.
(2) في (ب): وساويسه التي يلقيها في النفوس.

(760/2)

(761/2)

(762/2)

الديباج الوضي

في الكشف عن أسرار كلام الوصي (السفر الأول)

المجلد الثالث

الديباج الوضي

في الكشف عن أسرار كلام الوصي

السفر الأول

الإمام المؤيد بالله

أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

تحقيق

خالد قاسم محمد المتوكل

(763/3)

---

(115) ومن كلام له عليه السلام قاله للخوارج بعد خروجه إلى معسكرهم، وهم مقيمون على إنكار الحكومة فقال لهم:

(أكلكم شهد معنا صفين؟)

فقالوا(1) له: منَّا من شهد، ومنَّا من لم يشهد.

فقال لهم: (فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد معناصفين فرقة، ومن لم يشهد فرقة حتى أكلّم كلاً بكلامه) يعني الذي يخصه ويكون قاطعاً لحجته.

ونادى الناس، فقال:

(أمسكوا عن الكلام، وأنصتوا لقولي): أنصت إذا لم ينطق ولا يتكلم، كما قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا}[الأعراف:204]، (لقولي) من أجل سماع قولي.

(وأقبلوا): من قولهم: أقبل عليَّ بالحديث، وأقبل عليه بالاستماع، قال الله تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}[الصافات:27].

(بأفئدتكم إليَّ): بتفريغها عن كل ما يشغل، ليكون ذلك أقرب إلى السماع، وأسرع للتفطن للكلام.

(فمن نشدناه شهادة): نشده إذا قال له: نشدتك بالله، أي سألتك كأنك ذكَّرته الله فنشد أي تذكَّر.

(فليقل بعلمه فيها): ولا يكتم شيئاً(2) يعلمه، ولايقول شيئاً هو كاذب فيه.

ثم كلمهم بكلام طويل، ووبخهم توبيخاً كثيراً، ثم قال مبكتاً لهم ومقرعاً في مخالفتهم وعصيانهم لرأيه:

(ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف): وجعلوها على أسنة الرماح.

(حيلة): من جهة عمرو بن العاص.

(وغيلة): غاله إذا ختله.

---

(1) في (ب): قالوا.

(2) في (ب): ولا يكتم ما يعلمه.

(764/3)

(ومكراً): منهم بإظهار ذلك، وغرضهم خلافه.

(وخديعة): والمخادعة: هي أن تري صاحبك شيئاً وغرضك خلافه، والمكر والخديعة متقاربان، ثم قلتم مع هذا.

(إخواننا): أي هؤلاء إخواننا في الدين.

(وأهل دعوتنا): أي والذين نجتمع نحن وهم على دعوة الإسلام، والانحياز إلى كلمة التوحيد.

(استقالوا(1)): طلبوا منا الإقالة والرجوع عن بغيهم وعنادهم.

(واستروحوا إلى كتاب الله): استروحت إلى كذا، إذا كنت مائلاً إليه.

(فالرأي القبول منهم): ما بذلوه من جهة أنفسهم.

(والتنفيس عنهم؟): ما هم عليه من الضنك بالقتال والمحاربة، فهذا كله حكاية منه لكلامهم.

(فقلت لكم: هذا أمر): أي ما فعلوه من ذلك.

(ظاهره إيمان): لما فيه من الإظهار لانقيادهم للحق، والتحكم(2) لأهله.

(وباطنه عدوان): لاشتماله على المكر والخديعة.

(وأوله رحمة): إما رحمة لهم عن القتل بالسيف، وإما رحمة لهم من أجل ما بذلوه من الرجوع إلى الحق.

(وآخره ندامة): عن إفلات الفرصة بعد إسعافها(3) في قتلهم لما تبين حال مكرهم وخدعهم في ذلك.

(فأقيموا علىشأنكم): في الحرب وقتالهم.

(والزموا طريقتكم): في جهادهم، وقطع دابرهم.

(وعضوا على الجهاد بنواجذكم): جعل هذا كناية عن إحداث الصبر على القتال، والتجلد له، وقد قررنا تفسير الناجذ في كلام غيرهذا متقدم.

(ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق): النعق هو: الصوت الذي لايفهم، وإنما يكون للبهائم، يقال: نعق بغنمه إذا صاح لها.

(إن أجيب ضل(4)): مجيبه عن الصواب(5) بإجابته لنعيقه، ومجانبته للحق، وانحيازه إلى الباطل.

---

(1) في (أ): واستقالوا، وفي النهج: استقالونا..

(2) في (ب): والتحكيم.

(3) المساعفة: المؤاتاة والمساعدة.

(4) في النهج: أضل.

(5) في (أ): الصوت.

(765/3)

(وإن ترك ذل(1)): بترك الإجابة له، لأنه يكون إذ ذاك قليل العدد فلا يكون لنعيقه وقع بحال.

(فلقد كنّا مع رسول الله[صلى الله عليه وآله(2)[): على الجهاد، وقتال أعداء الدين من أهل الشرك وسائر الكفار.

(وإن القتل ليدور بين الآباء، والأبناء، والإخوان، والقرابات): أي أن الواحد منَّا ربما اضطره القتال إلى(3) ملاقاة أخيه، أو عمه، أو خاله، أو غير ذلك من سائر الأقارب والأرحام.

(فلا(4) نزداد على كل مصيبة وشدة): مما يصيبنا من ذلك ومن غيره من الشدائد.

(إلا إيماناً): تصديقاً بالله وبرسوله.

(ومضياً على الحق): في الجهاد على الدين، وعلى التوحيد لله تعالى، وإخلاص العبادة له دون

غيره.

(وتسليماً للأمر): ما قضاه الله تعالى، وقدَّره فينا من القتل وغيره.

(وصبراً على مضض الجراح): ألمه وتعبه.

سؤال؛ أي شيء يريد بهذا الكلام، وما وجه اتصاله بما قبله، حتى أورده على إثره؟

---

(1) بعده في النهج: وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها، والله لئن أبيتها ما وجبت عليَّ فريضتها، ولا حملني الله ذنبها، ووالله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع، وإن الكتاب لمعي، ما فارقني مذ صحبته.

(2) زيادة في النهج.

(3) في (أ): إلا.

(4) في النهج: فما.

(766/3)

وجوابه؛ هو أنه لما حكى فتنتهم برفع المصاحف، ومخالفتهم لرأيه في قتالهم، ورحمتهم لهم عن القتل عقَّب ذلك بذكر أحوالهم مع الرسول تعريضاً بهم، وإبطالاً لما زعموه من الرحمة، ويذكر أن الواحد منهم في زمن الرسول كان يقتل أباه وابنه، لا رحمة(1) منهم هناك لمن ذكرناه، ويذكرصبرهم على الجهاد، ويؤسيهم بما كان ممن هو أفضل من الصبر والبلوى على أعظم(2) ما هم فيه وأكثر، فليس حالكم اليوم مشبه بحال من سلف.

(ولكنَّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام): وإنما سماهم إخوة مع كونهم فسَّاقاً بالبغي توسعاً ومجازاً، كما سمَّى الله قوم صالح، وقوم شعيب إخوة له، مع كونهم كفاراً، كما قال: {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}[الأعراف:73] {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا}[الأعراف:85].

(على ما دخلوا فيه من الزيغ والاعوجاج): فالزيغ عن الدين، والاعوجاج عن مسلك الحق.

(والشبهة): في أمر التحكيم.

(والتأويل): يريد خطأهم فيه إنما كان من أجل التأويل.

(فإذا طمعنا في خصلة يلمُّ الله بها شعثنا): أي ما تفرق منَّا، يقال: لمّ الله شعثه إذا أصلح أمره.

(ونتدانى بها): أي يقرب بعضنا من بعض بالألفة والمحبة.

(إلى البقية): فنبقي عليهم، ويبقوا علينا،وأراد التصاون(3) عن القتل وإهدار الدماء.

(فيما بيننا): في الأمر الذي نتجاذبه، ويكون سبباً للاختلاف.

(رغبنا فيها وأمسكنا عمَّا سواها!): من المحاربة والقتل وسفك الدماء.

(1) في (ب): ولا رحمة.

(2) في (أ): عظم.

(3) في (أ): التصاول على إهدار الدماء.

(767/3)

واعلم: أنه في آخر الأمر قد رضي بالتحكيم دون ما كان منه في أوله؛ وذلك لأنه لما كان من الفشل والاختلاف، والتنازع العظيم، والشجار الطويل، فيما بين العسكر عند رفع المصاحف من أهل الشام فعند ذلك لم يخلُ الحالُ من أحد وجهين:

إما ترك التحكيم، والإصرار على المقاتلة، والانصراف من غير تحكيم، فهذا يعظم ضرره في الدين لما يبدو في ظاهره من مخالفة كتاب الله وهم يدعون إليه.

وإما التحكيم وهوأهون ضرراً لما يرجى فيه من عود الأمر إلى الصلاح، فمن أجل هذا رضي أميرالمؤمنين بالتحكيم، وكلامه ها هنا يشير إلى مصلحته وصوابه، لما أشار إليه من كونه لاماً للشَّعَثِ، وفيه تسكين الدهماء وحقن الدماء، وتقرير لقواعد الألفة والمداناة كما صرَّح به ها هنا، فمن أجل ذلك رضي به من الوجه الذي ذكرنا(1).

(116) ومن كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في وقت الحرب

(وأي امرئ منكم أحسَّ من نفسه): علم من حاله، وتحقق من أمره:

(رباطة جأش): شدة(2) قلب يقال: فلان رابط الجأش وربيط الجأش إذا كان شجاعاً شديداً قلبه، وجيش القلب هو: جزعه واضطرابه عند الفزع، ومنه قولهم: جاش الوادي إذا زخر، وكأن الشجاع يربط قلبه(3) ويمنعه عن الفشل والإزعاج(4) به.

(عند اللقاء): وهو الحرب، قال حسان:

ونشوبُها فتتركنا ملوكاً

وأسداً لا يُنَهْنِهُنَا اللقاءُ

(ورأى من أحد من إخوانه): أهل دينه.

(فشلاً): جبناً وخوراً.

(فليذبب(5) عن أخيه): أي يدفع عنه الشر.

(بفضل نجدته): شجاعته وقوته.

---

(1) في (ب): ذكرناه.
(2) في (ب): بشدة.
(3) في (ب): يربط على قلبه، وفي نسخة: ربط على قلبه ومنعه (هامش في (ب)).
(4) في نسخة أخرى: والانزعاج.
(5) في (ب): وشرح النهج: فليذب.

(768/3)

(التي فضِّل بها عليه): فضَّله الله بأن جعلها فيه، وفي الحديث: ((إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل الحية)).
(كما يذبُّ عن نفسه): فكما وجب دفع الضرر عن نفسه عقلاً وشرعاً، فهكذا يجب دفع الضرر عن سائر المسلمين شرعاً على جهة الكفاية والسعة، وليجعل ذلك شكراً لنعمة الله تعالى عليه كما فضّله بما جعل فيه من النجدة والبسالة.
(فلو شاء الله لجعله مثله): فكان مستغنياً عنه، ولكن الله بلطف حكمته عرَّضه للتكليف بالذبِّ عنه.
(إن الموت طالب حثيث): مسرع في طلبه للأحياء في استلاب أرواحهم.
(لايفوته المقيم): يذهب عنه لأجل إقامته.
(ولا يعجزه الهارب): لأجل هربه.
(إن أكرم الموت القتل): يشير إلى أمرين:
أما أولاً: فإنما كان كريماً لما رفع الله من مراتب الشهداء، وعظّم من حالهم وأكرمهم بالقتل في سبيله، وخصهم بمصاحبة الأنبياء، حيث قال تعالى: {وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ}[الزمر:69].
وأما ثانياً: فلما في القتل من السهولة وخفة الحال في خروج النفس؛ وذلك(1) لأن الأرواح طائشة والنفوس فشلة عند الحرب، فلايحس المقتول بخروج نفسه كما يحسها إذا كان على فراشه.
(والذي نفس ابن أبي طالب بيده؛ لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش[في غير طاعة الله(2)]): لما في ذلك من شد ة السرعة بإزهاق الروح وخروجها.
سؤال؛ فإذا كان خروج النفس بالقتل أسهل، فما بال هذا الفضل للشهداء، والثواب على قدر المشقة بالتكليف؟

---

(1) في (ب): في ذلك.
(2) زيادة في شرح النهج.

وجوابه؛ هو أن من يموت على فراشه، فإنه إنما يأتيه الموت كرهاً وهو لا يريده، وهؤلاء الشهداء قد تحققوا الموت عياناً، ثم اقتحموا موارده، وأسرعوا إليه إسراعاً، يمشون مشياً سجحاً، وسعياً قد وطنوا نفوسهم عليه، ووضعوا بين أعينهم مصارع جنوبهم؛ فلأجل ذلك علت درجتهم، ولأمر ما يُسوّد من يسود.

(وكأني أنظر إليكم): استئناف خطاب لأصحابه في حضهم على القتال.

(تكشون كشيش الضبِّاب): الكشيش للأفاعي والضباب وسائر الحرشات(1) إنما هو صوت جلودها، وليس ذلك من أفواهها، والضب: حيوان يسكن الخبوت وحيث يكون إعواز الماء وفقده، وأراد بذلك الجبن والتأخر عن القتال جزعاً وفشلاً.

(لاتأخذون حقاً): إما حقاً لله تعالى وهو إعزاز دينه، وإما حقاً قد أخذ لكم فلا تنتصرون على استرجاعه.

(ولا تمنعون ضيماً): إما ظلم من ظلمكم فلاتنتصرون منه، وإما ظلم أحد من الضعفاء فلا تقدرون على الدفع عنه.

(قد خلِّيتم والطريق): الواو ها هنا(2) واو مع، والطريق منصوب بالفعل الأول بوساطتها، كما تقول: خلِّ(3) زيداً ورأيه أي مع رأيه، وأراد أنه لا حائل بينكم وبين سكوكها(4).

(فالنجاة للمقيم): فالسلامة حاصلة لمن أقام عليها ولم يتنكب عنها.

---

(1) في (ب): الحشرات.
(2) في (ب): الواو هنا.
(3) في (أ): زحل، وهو تحريف.
(4) في (ب): سلوكها.

(والهلكة للمتلِّوم): التلوم هو: الانتظار والمكث، أي والهلاك لمن تأخر ومكث عن سكوكها(1)، وليفكرالناظر، في قوله: (قد خلّيتم والطريق.....) إلى آخر كلامه مع قصره وتقارب أطرافه، فجرى مجرى الأمثال(2)، ولقد(3) أوجز فأعجز، واستولى مع بلاغته ورشيق فصاحته على معاني يقصر عنها الحد، ويذهب عنها الحصر(4) والعد، وهذا النوع من أنواع البديع يسمى المبالغة، وهو بلوغ الشاعر أوالمتكلم أقصى المراد، وغاية الإمكان في كلامه، ونظيره من القرآن قوله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل}[الأنعام:102]، وقوله تعالى: {لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ}[سبأ:3]، وكقول عمرو بن الأهتم(5):

ونكرمُ جارنَا ما دام فينا

ونتبعُهُ الكرامةَ حيثُ كانا

ثم عرَّفهم مصالح الحرب(6)، بقوله:

(قدِّموا(7) الدارع): اللابس للدرع إذا كان معه ما يتقي به من السهام والرماح، فهو أحق بالتقدم للقتال.

---

(1) في (ب): سلوكها.

(2) في (أ): الامتثال.

(3) في (ب): فلقد.

(4) قوله: الحصر، سقط من (أ).

(5) هو عمرو بن سنان بن سمي التميمي المنقري، المتوفى سنة 57هـ أبو ربعي، أحد السادات الشعراء الخطباء في الجاهلية والإسلام، من أهل نجد، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، ولقي إكراماً وحفاوة، ولما تكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعجبه كلامه فقال: ((إن من البيان لسحراً)) وهو صاحب البيت المشهور:

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

(الأعلام 78/5).

(6) في شرح النهج: ومن كلام له عليه السلام في حث أصحابه على القتال.

(7) في شرح النهج: فقدموا.

(وأخرّوا الحاسر): الذي لا مغفر(1) له ولا درع، فهو أحق بالتأخرمن حيث كان يقاتل، ولا يصيبه شيء لوقاية الدارع له عن ذلك.

(وعضُّوا على الأضراس): [و]العض عليها [هو] (2): إيقاع بعضها على بعض.

(فإنه أنبى): نبا ينبو إذا كان مرتفعاً.

(للسيوف عن الهام): عن الرؤوس، وإنما قال ذلك؛ لأنه إذا اشتد الضرب بالسيف كان أقرب إلى ارتفاع السيوف عن الهامات، كيلا تعض عليها وتلزمها.

(والتووا في أطراف الرماح): فيه وجهان:

أما أولاً: فأراد انعطفوا فيها، وميِّلوا(3) قدودكم عليها.

وأما ثانياً: فلعله أراد الطعن بها مقبلاً ومدبراً.

(فإنه أمْور للأسنة): الضمير للالتواء، والمور: المجيء والذهاب، وأراد أنه أمضى لشباها وأعظم لدخولها ومجاوزة نصالها.

(وغضوا الأبصار): احفظوها(4) عن تطاولها.

(فإنها(5) أربط للجأش): ربط الجأش هو: الشدة، عن أن يذهب بالفشلْ(6) والإزعاج.

(وأسكن للقلوب): عن الفشل الذي يكون سبباً للفرار.

(وأميتوا الأصوات): أذهبوها عنكم.

(فإنه أصدد(7) للفشل): الضمير للموت، وإنما كان الأمر كما قال لأن مع السكون تحصل المكيدة في الحرب بفكر وتأمل، ومع كثرة الأصوات يذهب أكثر ذلك ويعظم الخجل.

(ورايتكم): الراية هي: العَلَمُ، ولقد كان له عليه السلام رايات كثيرة في صفين، مع كل أمير من أمرائه راية على انفراده.

(فلا تميلوها): من جانب إلى جانب، فإنه أمارة للاضطراب وقلة الثبات ومع ذلك يوشك الانكسار.

---

(1) المِغْفَر: زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة. (مختار الصحاح ص477،476).

(2) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(3) في (ب): وأميلوا.

(4) كذا في النسخ، ولعل الصواب: اخفضوها.

(5) في النهج: فإنه.

(6) في (أ): الفشل.

(7) في النهج: أطرد.

(772/3)

(ولا تخلوها): تسلموها وتذهبوا عنها فتكون منفردة، فيطمع فيكم العدو.

(ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم): كثيري(1) الشجاعة المعروفين بها.

(والمانعين للذِّمار(2) منكم): والذين يمنعون ذمارهم، والذمار: ما وراء الرجل من حريمه وماله مما يحق عليه أن يحميه بنفسه، ليكون ذلك أقرب إلى استقامة الأحوال.

(فإن الصابرين على نزول الحقائق): أراد فإن الذين من عادتهم الاصطبار عند حصول الشدائد، ووقوعها من الأمور.

(هم الذين يحفُون راياتهم(3)): أي يكونون حولها.

(ويكتنفون حفافيها(4)): كنفه واكتنفه إذا استولىعليه، والحفافان(5): الجانبان من عن يمينها وشمالها.

(ووراءها وقدامها(6)): أي ومن خلفها وأمامها، لا يتركون منها جانباً إلا أحاطوا به وكانوا فيه.

(لا يتأخرون عنها): وتكون متقدمة عليهم.

(فيسلموها): فيكون ذلك إسلاماً لها إلى الأعداء فيأخذونها.

(ولا يتقدمون عليها): وتكون متأخرة عنهم.

(فيفردوها): فتكون منفردة عن المقاتلة والأبطال، فيطمع بها العدو بالأخذ والا ستيلاء، وقوله: (فيسلموها، ويفردوها) منصوبان جواباً للنفي قبله كقولك: ما قمت فأقوم.

(أجزأ امرؤ قِرْنَه): القِرن بالكسر هو: الكفؤ في الشجاعة، وأجزأ أي كفى، وهوخبر في معنى الأمر، وأراد ليجزي كل أحد من كان كفواً له في شجاعته.

(وآسى أخاه بنفسه): المواساة: المعاونة في الأمر، أي وليواسِ أحدكم أخاه بنفسه، وليعاونه في القتال.

---

(1) في (ب): كثير.

(2) في النهج: الذمار.

(3) في النهج: براياتهم.

(4) في (أ): حفاوتها.

(5) في (أ) و(ب): والحفاوان، وما أثبته من نسخة أخرى.
(6) في النهج: وأمامها.

(773/3)

(ولم يكل قرنه إلى أخيه): وكلت أمري إلى فلان إذا كنت معتمداً عليه، أراد وليكن مقاوماً لقرنه وشاغلاً له، ولا يعتمد على أخيه في دفع قرن نفسه ويضعف عنه، (فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه): لأنه إذا لم يفعل ذلك وضعف عن قتال قرنه اجتمع على أخيه قرنان قرن نفسه وقرن أخيه، الذي عجز عن مقاومته فيصير لامحالة مغلوباً لاجتماعهما عليه.

سؤال؛ الواجب في الجهاد أن الواحد يقاوم اثنين من الكفار والفساق، كما قال تعالى: {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}[الأنفال:66] فكيف قال: أجزأ امرؤ قرنه؟

وجوابه؛ ليس غرضه بيان المقدار الواجب فيلزم ما قلته، وإنما ذكر(1) المناصفة والمواساة في الحرب والمعاونة، وذلك إنما يحصل بما ذكره دون غيره.

(وايم الله): جمع يمين وهي تستعمل في القسم كثيراً، وارتفاعها على الابتداء، وخبره محذوف أي قسمي.

(لئن فررتم من سيف العاجلة): أي من قتل الدنيا بأيدي البغاة لأجل(2) فراركم منه ونكوصكم على أعقابكم من أجلهم.

---

(1) في (ب): ذكرنا.
(2) قوله: لأجل سقط من (أ).

(774/3)

(لا تسلموا من سيف الآخرة): عقوبة الآخرة، وإنما جعل عقوبة الآخرة بالسيف توسعاً ومقابلة لما كان في الدنيا، كما قال تعالى:{فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}[البقرة:194] فسمى الجزاء عدواناً لما كان مقابلاً له، وهو حسن لأنه يكون انتصافاً، والجزاء من لا تسلموا لأنه جواب الشرط، وكان الأفصح إثبات النون؛ لأن اللام في قوله: لئن فررتم، هي(1) الموطئة للقسم والممهدة لأمره، وصارفة للجواب إليه، كما قال تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ}[الحشر:12] فانظر إلى(2) هذه الأشياء الثلاثة جعل

الجواب للقسم دون الشرط، فهذا هو الأفصح وخلافه جائز، كما قاله أمير المؤمنين في كلامه.

(أنتم لهاميم العرب): أجواد(3) الناس وأفاضلهم وساداتهم.

(والسنام الأعظم): السنام من كل شيء أعلاه وأرفعه.

(إن في الفرار موجدة الله): وجد فلان على صاحبه في قلبه موجدة ووجداناً، إذا غضب عليه قال:

كِلانا ردَّ صاحبَهُ بِغَيْظٍ

على حَنَقٍ ووجدانٍ شَدِيْدِ(4)

---

(1) في (أ): فهي.

(2) في (ب): في.

(3) في (أ): أجود.

(4) في (ب): شديدة، وهو تحريف، والبيت في لسان العرب 880/3 ونسبه لصخر الغيّ، وروايته فيه:

كلانا رد صاحبه بيأس

وتأنيب ووجدان شديد

(775/3)

وأراد ها هنا غضب الله تعالى وسخطه الشديدان، وفي الحديث أنهعليه السلام كان يقول إذا تأخرعنه بعض أصحابه: ((فلان يَجِدُ في(1) قلبه مَوْجِدة علينا، قوموا بنا إليه))(2).

(والذل اللازم): لصاحبه في الدنيا بالعار وفي الآخرة بالنار.

(والعار الباقي): عليه وعلى عقبه، والعار: السُّبة والعيب، والمعاير: المعايب.

(وإن الفار لغير مزيد في عمره): يريد أن الآجال مقدرة، فمن يفرُّ(3) وقد حضر أجله لا ينفعه فراره.

(ولا محجوز بينه وبين يومه): ولا ممنوع من يومه الذي قدره(4) الله له وقضاه عليه.

(مَن رائحُ إلى الله): سمى جهاد هؤلاء البغاة رواحاً إلى الله تعالى أي إلى جنته ورضوانه.

(كالظمآن يرد الماء!؟): وجه التشبيه حاصل لأمرين:

أما أولاً: فلمكان ما يحصل من انشراح الصدر، والطمأنينة بالجهاد، ويرد اليقين كما يحصل لمن يشرب(5) الماء على ظمأ وعطش.

وأما ثانياً: فلأجل ما يحصل للمجاهد من الراحة بالفوز بالجنة، كما يحصل لشارب الماء على

ظمأ(6) من الراحة، وهذا من التشبيهات الرائقة، وكيف ما كان التشبيه أغرب فالبلاغة به أتم وأعجب.

ومن بديع التشبيه قوله:

والشمسُ مُعْرِضَةٌ تَمورُ كأنَّها

ترْسٌ يُقلّبُهُ كميٌّ رامحُ

وقول آخر:

إذا ما الثريَّا في السماء كأنَّها

جمان وَهَى من سلكه فتبددا

---

(1) قوله: في سقط من (ب).

(2) الحديث بلفظ: ((لعل فلاناً وجد علينا في شيء أو رأى منا تقصيراً اذهبوا بنا إليه)) رواه العلامة الشهيد الحسين بن ناصر المهلا في مطمح الآمال ص 45.

(3) في (ب): نفر.

(4) في (أ): قدر.

(5) في (ب): الشارب الماء.

(6) في (ب): الظمأ.

(776/3)

(الجنة تحت أطراف العوالي): استعارة بديعة، والعوالي هي: الرماح، وأراد أن الجهاد موصل إلى الجنة، ومؤدٍّ إليها، فأدَّى هذا المعنى بهذه العبارة الحسنة، فلو قال: الجنة تجب لمن جاهد بالرماح، فقد عدل عن الاستعارة، وعزل البلاغة عن سلطانها، وعفى رسمها، وأزال معظم شأنها، وقد جاء مثل هذا عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: ((الجنة تحت ظلال السيوف))) و((الجنة تحت أقدام الأمهات)) يشير به إلى ما ذكرناه من الاستعارة.

(اليوم تُبلى الأخبار): أي يمتحن أهل الأخبار، والأخبار: جمع خُبر بضم الفاء وهي الاسم من الاختبار(1)، يقال: لأخبرنَّ خبرك أي لأعلمنَّ علمك، ويقال أيضاً: صدق الْخُبْرُ الْخَبَرَ أي أصدق(2) الكلام الفعل.

([والله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم](3) اللَّهُمَّ، فإن ردوا الحق): الطاعة لله تعالى وامتثال

أمري، وترك البغي عليَّ.

(فافضض جماعتهم): فرِّقهم، ومنه فضَّ القرطاس، وافتضاض البكر لأنه تفرق عذرتها، وكان عليه السلام كثيراً ما يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء بالانتصاف منهم، واللجأ إليه في هدايتهم، وهكذا يفعل المحق ومن كان على بصيرة من أمره وهداية من ربه، بخلاف حال معاوية فإنه مصرٌّ على بغيه لا يخطر بباله شيء من ذلك، وهيهات أين الذهب عن الرغام! وشتان ما بين الخف وذروة السنام،! ومتى رأينا معاوية مواظباً على خصال الدين،! ومريداً لجمع شأن (4)كلمة المسلمين.!

---

(1) في (ب): الإخبار.

(2) في (ب): صدق.

(3) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(4) في (ب): شتات.

(777/3)

(وشتت(1) كلمتهم): فلا يجتمعون على رأي يكون فيه جمع لشملهم، أو تشتت(2) كلمتهم فيحصل(3) الفشل بكثرة التنازع.

(وأبسلهم بخطاياهم): الإبسال هو: الإسلام للهلكة، قال تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا}[الأنعام:70].

قال الأحوص(4):

وإِبْسَالي بنيَّ بغيرِ جُرمٍ

لغوناهُ ولا بِدَمٍ مُرَاقِ(5)

أي وأسلمهم للنار بما اجترحوه من الذنوب والخطايا.

(إنهم لن يزولوا عن مواقفهم): إما عن أماكنهم في الحرب بغياً وعناداً، وإما عمَّا قد غلبوا عليه من البلاد وتمكنوا فيه، بأمر من الأمور التي يرجى إزالتهم بها.

(دون طعن دراك): إلا بطعن متدارك يتبع بعضه بعضاً، أو ذي دراك أي تتابع.

(يخرج منه النسيم): وهو روح الحياة الجاري في الحلق، لسعة الطعنة وانفتاحها(6)، ويروى النسم، وهو (7) جمع نسمة وهي النفس.

(وضرب يفلق الهام): جمع هامة وهي: تدويرالرأس.

(1) في نسخة أخرى وفي شرح النهج: وشتت، كما أثبته، وفي (أ) و(ب): وتشتت.
(2) في (ب): أو تشتيت.
(3) في (أ) و(ب): ويحصل، وما أثبته من نسخة أخرى.
(4) هو عوف بن الأحوص بن جعفر العامري من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا يزيد، شاعر جاهلي (الأعلام 94/5).
(5) في (أ): ولابد من مذاق وهو خطأ، والبيت في لسان العرب 215/1 ونسبه لعوف بن الأحوص بن جعفر وروايته فيه:
وإبسالي بني بغير جرم

بعوناه ولا بدم قراض

قال: وفي الصحاح: بدم مراق، قال الجوهري: وكان حمل عن غني لبني قشير دم ابني السجيفة فقالوا: لا نرضى بك فرهنهم بنيه طلباً للصلح. انتهى.
(6) في (ب): وانتفاخها.
(7) في (ب): وهي.

(778/3)

(ويطيح السواعد والأقدام(1)): أي يسقطها من شدة وقعه.
(حتى يرموا بالمناسر تتبعها المناسر): المنسر بالنون هو: القطعة من الخيل، وحتى ها هنا متعلقة بشيء محذوف، تقديره فلا يزال فعلكم بهم هذا الفعل من الطعن والضرب، حتى يرموا بالمناسر بالخيول تتبعها الخيول.
(ويرجموا بالكتائب): وهي: جماعة الخيل.
(تقفوها الحلائب): قفاه إذا تبعه أي تتبعها الجيوش.
(حتى يُجَرَّ ببلادهم الخميس): يمتد في بلادهم الجيش.
(يتلوه الخميس): أي يتبعه جيش آخر، وحتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره أي لايزالون يفعلون بهم هذه الأفعال من الرمي بالمناسر، والرجم بالكتائب حتى تجر الجيوش(2) في بلادهم استصغاراً، واستحقاراً بهم.
(وحتى تَدْعقَ الخيول في نواحر أرضهم): الدعق: الرمي بحوافر الخيل، والنواحر هي: المتقابلات

من الأراضي، يقال: منازل بني فلان تتناحر(3) أي تتقابل، والنواحر بالحاء المهملة.
(وبأعنان(4) مساربهم): المسارب بالسين المهملة: المراعي، وبالشين بثلاث من أعلاها: العلالي، والأعنان جمع عنن وهو ما ظهر منها وكله صالح هاهنا، وسماعنا بالسين المهملة.
(ومسارحهم): التي يسرِّحون إليها أنعامهم.

(117) ومن كلام له [عليه السلام](5) يذكرفيه أمرالتحكيم(6) وحاله
وقد تكرر ذكره في كلامه، وما ذاك إلا لأجل ما وقع فيه من الشبهة على أهل العراق من أصحابه، واتفق بسببه من الخدع والمكر من أهل الشام.

---

(1) في شرح النهج: ويطيح العظام ويندر السواعد والأقدام.
(2) في (ب): الجيش.
(3) في النسخ: تناحر، وأثبته من تفسير الشريف الرضي بالنهج.
(4) في (ب): وبأعيان.
(5) سقط من (ب).
(6) عن أمر التحكيم وحاله انظر شرح النهج لابن أبي الحديد 2/206-260.

(779/3)

(إنَّا لم نحكِّم الرجال): خطاب لمن عاب عليه التحكيم، وأشد الناس غلواً فيه أقوام يقال لهم: أصحاب البرانس، حتى قال بعضهم: قد كفرت وكفرنا، وفارقوه من أجل ذلك، فقال معتذراً: (إنَّا لم نحكِّم الرجال) يشير إلى أن انخداع أبي موسى الأشعري، ومكر عمرو بن العاص به لايضرنا في الدين.
(وإنما حكَّمنا القرآن): حيث قالوا: بيننا وبينكم كتاب الله.
(وهذا القرآن): الذي حكَّمناه نحن وهم.
(إنما هو خط مسطور بين الدفتين): حروف وكلمات.
(لا ينطق بلسان): فيعبِّرعن نفسه، ولا يفتقر إلى غيره من الخلق كما ينطق من كان فصيحاً.
(ولابد له من تَرْجُمان): مفسِّر ومعبِّر، وتَرجمان فيه لغتان فتح الفاء وضمها للاتباع، قال الراجز:
وهنَّ تلفظن به ألفاظاً

كالتُّرْجُمان لُقِّيَ الأنباطا

ويقال: ترجم حديثه، إذا فسَّره بلسان آخر وهو عربي.

(وإنما ينطق عنه الرجال): العلماء به، المظهرون لأحكامه.

سؤال؛ كيف قال في أول كلامه: (إنَّا(1)لم نحكِّم الرجال)، ثم قال بعد ذلك: (وإنما ينطق عنه الرجال) وهذا تحكيم الرجال، فقد ناقض كلامه؟

وجوابه؛ هو أن غرضه أنَّا لم نحكِّم الرجال الذي يحكمون من جهة أنفسهم، وإنما حكمنا الرجال الذين حكموا بما أنزل الله في كتابه، فالحكم في الحقيقة إنما هو بكتاب الله خلا أنهم نطقوا به، وعلى هذا يرتفع التناقض من كلامه.

(ولما دعانا القوم): بحمل المصاحف على رءوس الرماح يهتفون بتحكيم القرآن، ويقولون: هلموا:

(إلى أن يحكم(2) بيننا القرآن): بأن نجعله حاكماً ونحتكم لما(3) ورد فيه عن الله تعالى فأجبناهم إلى ما قالوا(4).

---

(1) في (أ): وانا.

(2) في شرح النهج: نحكِّم.

(3) في (ب): بما.

(4) في (أ): ما قالوه.

(780/3)

(ولم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله): فيكون اللوم علينا بالتولي عن حكم الله، ونكون كمن نبذه وراء ظهره وأعرض عن حكمه وأمره، وقد ندب الله إلى قبوله وأوجبه بقوله(1):

({فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ})[النساء:59]: مما شجر بينكم من أمر الدين.

({فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ})[النساء:59]: يفصلان أمره ويظهران الحكم فيه بما يكون فيه صلاح لأمركم وإرشاد لكم.

(فردُّه إلى الله أن نحكم(2) بكتابه): لأن كلما كان في الكتاب فهو حكم الله علينا وأمره فينا.

(وردُّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته): لأن كلما كان في السنة فهو حكم الرسول علينا، وهو في الحقيقة صادر عن أمر الله، لأنه عليه السلام لا ينطق عن الهوى، خلا أن الله تعالى علم أن المصلحة في الأحكام الجارية علينا، والمشروعة في حقنا، بعضها يكون متعلقه الكتاب، وبعضها يكون متعلقه السنة.

(فإذا حُكِمَ بالصدق في كتاب الله): ولم يتجاوز عنه إلى غيره، ولا غيِّرت أحكامه.

(فنحن أحق الناس به): باتباعه واقتفاء آثاره والعمل بها.

(وإن حُكِمَ بسنة رسول الله [صلى الله عليه وآله](3)): ولم يكن هناك لها مخالفة ولا خديعة ولا مكر.
(فنحن أولاهم بها(4)): بالعمل بها، والاحتكام لأحكامها، فإذا كان الأمر هكذا فلأي وجه نقمتم(5) عليَّ التحكيم والحال هذه، ومن تحقق كلامي هذا عذرني وصوَّب رأيي، مما(6) أتيته من أمر التحكيم، فقد بطل ما قلتموه من إنكاره من أصله.

---

(1) في النهج: وقد قال الله سبحانه: {فإن تنازعتم...}إلخ.
(2) في (ب): يحكم.
(3) زيادة في النهج.
(4) في النهج: فنحن أحق الناس وأولاهم بها.
(5) في (أ): نقتم، وهو تحريف.
(6) في (ب): فيما

(781/3)

(وأما قولكم:لِمَ(1) جعلتُ بينكم وبينهم أجلاً؟): وذلك لأنهم أنكروا عليه الأجل، فقال مبطلاً لشبهتهم(2) هذه بقوله:
(فإنما فعلت ذلك): الإشارة(3) إلى جعل الأجل في(4) التحكيم ليكون فيها تأني وتنفس.
(ليتبين الجاهل): ما خفي عليه من الأمر.
(ويتثبت العالم): فيما يعلمه من مصلحة(5) ذلك.
(ولعل الله أن يصلح في هذه الهدنة): التي وقع الكف فيها عن القتال منا ومنهم، والهدنة: الصلح؛ لأنه انعقد الحديث على ذلك أعني ترك القتال بهذه المدة المضروبة للتحكيم.
(أمر هذه الأمة): بالفيء والرجوع إلى الحق، وأرجو أن يجعل الله في ذلك بركة كما كان من الأمر في صلح الحديبية، فإنه لم يكن أعظم بركة على المسلمين منه لما كان فيه من النصر والظفر.
(ولا تؤخذ بأكظامها): مخارج أنفسها، وهو كناية عن ضيق النفس والانزعاج، أي وتكون في فسحة من أمرها.
(فتعجل عن تبين الحق): فتزل عنه بالإعجال.
(وتنقاد لأول الغي): تسابق الضلال والزلل عن الحق، والانقياد لأول الضلال إنما يكون سببه العجلة وترك التأني في الأمور كلها، فلهذ انقدحت المصلحة في ضرب الأجل في التحكيم، فقد بطل ماقلتموه من إنكار ذلك عليَّ وعيبه، فانظر إلى لطف هذه المخاطبة من جهته لهم، وإلى رفق هذه الملاطفة في مكالمتهم، كل ذلك يفعله تقريراً للحجة عليهم وإبطال ما عرض من الشبهة لهم.

(إنَّ أفضل الناس عند الله): أعلاهم عنده درجة، وأقربهم منه منزلة.

---

(1) في (أ): لو، وهو تحريف، والصواب: لِمَ، ونص لعبارة في النهج: وأما قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التحكيم.
(2) في (أ): لشبههم.
(3) في (ب): فإنما فعلت ذلك لأنهما...إلخ.
(4) في (أ): الأجل والتحكيم.
(5) في نسخة أخرى: مصالح.

(782/3)

(من كان العمل بالحق أحب إليه): يريده ويهواه.
(وإن نقصه): في كل أحواله وأدخل عليه نقصاً.
(وكربه(1)): غمَّه غمّاً شديداً.
(من الباطل): أي هو أحب إليه(2) من الباطل.
(وإن جر إليه فائدة): أوصلها إليه من(3) مال أوغيره.
(وزاده): زيادة ظاهرة.
سؤال؛ ما وجه تعلق هذا الكلام بما قبله؟
وجوابه؛ هو أنه لما مهَّد عذره إليهم في أصل التحكيم وفي ضرب المدة فيه، وأجاب عن شبهتهم في ذلك، وحسم شغبهم بما قاله، أراد أن يقررعندهم موقع الحق فإنه يجب اتباعه وإن تعلقت به المكاره، وإن الباطل يجب اجتنابه وإن كان فيه أعظم المنافع، تحذيراً لهم عن مخالفته، حيث اعتزلوا معسكره وحثا(4) لهم على وجوب اتباعه وامتثال أوامره(5).
(فأين يتاه بكم!): من أين وقعت الحيرة لكم في أمركم، مع ظهورالأمر فيما قلته(6) وإقامة الحجة عليه(7).
(ومن أين أتُيتم!): في مخالفتي وترك متابعتي(8)، فهذا تمهيد عذره عند من أنكر عليه هذا التحكيم من أصحاب البرانس.
(فاستعدوا): يخاطب أصحابه غير هؤلاء.
(المسير(9) إلىقوم): يشير إلى قلَّتهم(10) وحقارة أمرهم.
(حيارىعن الحق): قد لبس الشيطان عليهم أمرهم، فلايدرون أي طريق يسلكون(11) فهم عمي.
(لايبصرونه): فيتبعوه.

(وموزعين بالجور): أوزعته بالشيء إذا أغريته به، قال النابغة:
فهاب ضمران منه حيثُ يُوْزِعُه

---

(1) في النهج: وكرثه.
(2) قوله: إليه، سقط من (ب).
(3) في (ب): في.
(4) في (أ): واحثا.
(5) في (ب): أمره.
(6) في (ب): قبله.
(7) قوله: عليه زيادة في (ب).
(8) في (ب): مبايعتي.
(9) في نسخة أخرى وفي النهج: للمسير.
(10) في (أ): فتلهم وهو تحريف.
(11) في (ب): يسلكونه.

(783/3)

طعنُ المعارك عند الْمُحْجِرِ(1) النّجِدِ

وأراد أنهم مغرون(2) بالجور.
(لا يعدلون عنه(3)): لكثرة ولوعهم به، وغلبته عليهم.
(جفاة عن الكتاب): مرتفعة قلوبهم عن إتقان أحكامه، وحفظ علومه، أخذاً له من قولهم: جفا السرج على ظهرالفرس إذا كان مرتفعاً عنه.
(نُكُبٌ عن الطريق): جمع أنكب، وهو: الذي يعدل عن الطريق، وأراد بذلك مخالفتهم للدين.
(ما أنتم بوثيقة يعلق بها): الوثيقة: ما يمسك به من حبل أوغيره، ويقال: فلان أخذ بالوثيقة من أمره أي بالثقة، أي ما أنتم أهل لأن يعتمد عليكم، ولا أن تكونوا متمسكاً لمن يستمسك بكم في أموره.
(ولا زوافر(4) يعتصم إليها): زافرة الرجل: أنصاره وعشيرته، وإنما عدى الاعتصام بإلى لما كان على معنى الالتجاء، وقياسه التعدية بالباء، كما قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ}[آل عمران:103] {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ}[آل عمران:101] وكثيراً ما يقع التعويل على المعاني، قال الشاعر:

إذا تغنَّى الحمامُ الوَرْقُ هَيَّجَني

ولو يعزين(5) عنها أمَّ عمَّار

فلما كان هيجني في معنى ذكَّرني نصب به أم عمار.

---

(1) في (أ): المحجل، وفي نسخة: المحجب (هامش في (ب)). وبيت النابغة في لسان العرب 919/3، والمحجر: جبل ببلاد غطفان، والمحجر أيضاً موضع به وقعة بين دوس وكنانة، والنجد: ما أشرف من الأرض. (وانظر القاموس المحيط صـ 410، 475).
(2) في (ب): يغرون.
(3) في النهج: به، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) في شرح النهج: ولا زوافر عز.
(5) في نسخة ولسان العرب: تعزيت، والبيت في لسان العرب 853/3 بدون نسبة إلى قائله.

(784/3)

(لبئس حُشاش نار الحرب أنتم): الحش: الإيقاد، يقال: حششت النار أحشها حشاً إذا أوقدتها، ويقال: نعم محش الكتيبة أنت، وفي الحديث: ((ويلمِّه محش حرب لو كان معه رجال)) في قصة أبي بصير لما أسلمه إلى قريش، ورده إليهم(1)، واللام في لبئس هي المحققة لما بعدها، وسماعنا فيه بضم الحاء، وأراد بئسما ما تسعَّر به نيران الحرب أنتم، استعارة لجبنهم وخورهم.
(أفٍّ لكم!): اسم من أسماء الأفعال يفيد التسخر(2) من الشيء، وفيه لغات كثيرة، قال الله تعالى: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}[الأنبياء:67] موضوع للخبر أي أتسخر(3) من ذلك، يقال(4): أفٍّ بالفتح والكسر والضم فهذه ثلاث، ويلحقه التنوين بالحركات الثلاث فهذه ست، وأفَّة وتُفَّة، وأفًّا بالألف، وتُفًّا.
(لقد لقيت منكم برحاً(5)): أي شدة، ويقال: لقيت منه برحاً بارحاً(6) أي شدة عظيمة.
(نُوَّماً(7) أناديكم): بمنزلة من يكون نائماً فأوقظه عن نومه(8).

---

(1) انظر قصة أبي بصير وحديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي ذكره المؤلف هنا في السنن الكبرى للبيهقي 227/9، والسيرة النبوية لابن هشام 323/2- 324، تحقيق مصطفى السقا، وآخرين، الطبعة الثانية 1375هـ -1955م.

(2) كذا في النسختين، ولعل الصواب: التضجر.
(3) كذا في النسختين، ولعل الصواب: أتضجر.
(4) في (أ): فقال.
(5) في النسختين: ترحاً، وفي النهج وشرح النهج: برحاً، كما أثبته وهو الصواب، والترح بالتاء المعجمة من أعلى هو الحزن.
(6) في النسختين: ترحاً تارحاً، والصواب كما أثبته.
(7) في (ب): يوماً، وكذا في شرح النهج.
(8) في (ب): نومته.

(785/3)

(وَنُوَّماً(1) أناجيكم): بمنزلة من لا لُبَّ له فأفهِّمه، وأراد أنه غير مقصِّر في علاجهم بالقرب والبعد، والسر والجهر، والليل والنهار.
(فلا أحرار صدق(2) عند النداء): فتجيبون النداء وترتاحون عنده، كما يفعله الأحرار أهل الأنفة والحمية(3).
(ولا إخوان ثقة(4) عند اللقاء!(5)): أي ولايوثق بهم عند الحرب، وملاقاة الأبطال، وأراد بهذا الكلام إما أصحاب البرانس من الخوارج، وإما أهل الشام من أصحاب معاوية، فكل واحد من هذين الفريقين قد وضع السيف فيه.
ثم التفت إلى تقريع الخوارج وتوبيخهم على فعلهم(6) بقوله:
(فإن أبيتم إلا أن تزعموا(7) أني أخطأت وضللت): اعلم أنهم لما افتتنوا بسبب الحكم ونكصوا على أعقابهم، أبلغ أمير المؤمنين الإعذار إليهم ولاطفهم في الخطاب نهاية الملاطفة، وأمر إليهم ابن عباس بالنصيحة، والارعواء عما هم فيه، وكالمهم مرة بعد مرة لئلا يهريق دماءهم إلابعد الإبلاغ فقال ها هنا: فإن كرهتم متابعتي والانقياد لأمري، وقلتم: إني قد أخطأت الحق في التحكيم، وضللت عن الطريق الواضحة فجرم ذلك عليّ وأنا المأخوذ به.
(فَلِمَ تضللون عامة أمة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي): {وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا}[الأنعام:164].

---

(1) في (ب): ويوماً.
(2) صدق، زيادة في النهج.
(3) في (ب): كما يفعله الأحرار وأهل الأنفة والحمية.

(4) في (أ): أنفة.

(5) في النهج وشرح النهج: النَّجاء، وهو الإفضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر. انتهى من شرح الشيخ محمد عبده ص297.

(6) في النهج: ومن كلام له عليه السلام للخوارج أيضاً.

(7) في (أ): فإن أبيتم الآن تزعمون.

(786/3)

(وتأخذونهم بخطئي): {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[الأنعام:164].

(وتكفرونهم بذنوبي): حيث قالوا: قد كفرت وكفرنا.

(وسيوفكم على عواتقكم): تعترضون الناس بالسيف، ولا تكفون عن ذلك.

(تضعونها في البراة والسقم): أراد في ذي البراة وذي السقم، ولكنه بالغ في كلامه حتى جعله نفس ذلك الشيء، كماقالوا: رجل لوم ورجل رضى، جرياً على عادتهم في أساليب البلاغة وفنونها.

(وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب): حيث قتلوا الأ طفال فضلاًعن البالغين، وأباحوا دار الإسلام.

(وقد علمتم أن رسول الله [صلى الله عليه وآله](1) رجم الزاني المحصن(2) ثم صلى عليه ثم ورَّثه أهله(3)): أراد أن يعلمهم أن الإكفار(4)، إنما يكون بدلالة قائمة وحجة واضحة، وأن مجرد الخطأ لو قدَّرنا وقوعه لايكون إكفاراً(5) كما توهموه، فإن من جملة جهالاتهم اعتقادهم أن كل معصية كفر، والمعاصي(6) على أوجه ثلاثة: كفرية كالشرك بالله وعبادة الأوثان، وفسقية كالزنا، ومعاصي لا يعلم حالها في كونها كفراً ولا فسقاً، وكل واحد من هذه له أحكام مخصوصة تخالف الآخر، فهذا ماعزٌ رجمه رسول الله لما زنى وكان محصناً، وصلَّى عليه وورثه أهله، ولو كان كافراً كما زعمتم لما كان ذلك(7)، كما فعل ذلك(8) في سائر الكفار في ترك الصلاة، وعدم الميراث، فكيف تزعمون أن كل معصية تكون كفراً.

---

(1) زيادة من (ب) ومن النهج.

(2) قوله: المحصن سقط من (أ).

(3) بعده في النهج: وقتل القاتل وورث ميراثه أهله.

(4) في (ب): الكفر.

(5) في (ب): كفراً.

(6) في (ب): فالمعاصي.

(7) هو ماعز بن مالك الأسلمي، انظر قصته في أمالي الإمام أحمد بن عيسى 200/2، وأنوار

التمام 5/69-71.

(8) قوله: ذلك، سقط من (أ).

(787/3)

(وقطع يد السارق): في قصة المجن لما نزلت آية السرقة(1).

(وجلدالزاني غير المحصن): لما نزلت آية الجلد(2).

(ثم قسم عليهما من الفيء): نصيبهما لما كانا من جملة المجاهدين(3).

(ونكحا المسلمات): يريد أن التناكح كان مشروعاً بين مرتكبي الكبائر، وبين سائر المسلمين.

(فأخذهم رسول الله [صلى الله عليه وآله](4) بذنوبهم): من غير زيادة على ذلك.

(وأقام حق الله عليهم): وهو إقامة هذه الحدود المشروعة عليهم.

(ولم يمنعهم سهمهم من فيء الإسلام): وهومالم يوجف عليه بخيل ولاركاب فهو فيء، ونصيبهم حاصل فيه كما كان ذلك لغير هم من المسلمين.

---

(1) آية السرقة هي قول الله تبارك وتعالى في سورة المائدة: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم} وفي قصة المجن قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام 2/248 ما لفظه: وكذلك روي لنا عن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم أنه قطع في مجن كانت قيمته عشرة دراهم. انتهى.

قلت: والمجن هو الدرع. وانظر قصة المجن في أنوار التمام في تتمة الاعتصام 5/104، والكشاف 1/595.

(2) آية الجلد هي قول الله تبارك وتعالى في سورة النور: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين}

(3) في (ب): المجاهدة.

(4) زيادة في النهج.

(788/3)

(ولم يخرج أسماءهم من بين أهله): يعني أنه لايقال لهم: كفار، ولا يقال: إنهم مشركون، ولا تجري عليهم سائر الألقاب الدالة على الكفر، فهذه الأمور كلها دالة على بطلان مقالتكم، في أن من ارتكب معصية من هذه المعاصي سواء علم كونها فسقاً أولم يعلم أنه يكون كافراً، و يحكم عليه بأحكام الكفار، وتطلق عليه أسماؤهم كما زعموه.

(ثم أنتم شرار(1) الناس): أدخل الناس في الشر، وأعظمهم تلبساً به.

(ومن رمى به الشيطان مراميه): إما صرتم مراميه التي يرمي بها فيصيب لا يخطئ(2)، وإماصرتم أغراضه التي يسدد إليها سهامه، وأراد المبالغة في استحواذ الشيطان عليهم، واستيلائه على أفئدتهم بالإغواء.

(وضرب به تيهه): أي وأنتم الذين تاه بكم، وضرب بقلوبكم كل جهة ولعب بها كل ملعب في الحيرة والزلل.

(وسيهلك فيّ): في أمري وشأني.

(صنفان): فريقان من الناس، وفي الحديث: ((يهلك فيك ياعلي اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغضٌ قالٍ))(3).

---

(1) في (ب): أشرار.

(2) في (ب): ولا يخطىء.

(3) وأخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تأريخ دمشق240/2 رقم (756) بسنده عن زادان قال: قال علي رضي الله عنه: (يهلك فيّ رجلان: محب غالي، ومبغض قالي). وله فيه شواهد تحت الأرقام (755) إلى (760) وانظر مناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي 283/2 رقم (747) وص 471 رقم (966) والروضة الندية صـ 104 وما بعدها.

(789/3)

(محبٌّ مفرط): أدَّاه إفراط محبته إلى اعتقاده(1) الربوبية، كما حكي عن بعض الغلاة كما كان ذلك في حق عيسى بن مريم(2).

(يذهب به الحبُّ إلى غير الحق): من اعتقاد الإلهية.

(ومبغض مفرط): أدَّاه إفراط بغضه إلى الكفربالله ونسبته إليه.

(يذهب به البغض إلى غير الحق): مثل هؤلاء فإنهم أفرطوا في بغضي حتى نسبوني إلى الكفر بالله جهلاً وضلالاً.

(وخير الناس فيّ حالاً): وأعدل الناس في أمري:

(النمط الأوسط): النمط: جماعة الناس الذين أمرهم واحد، وفي الحديث: ((خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي))(3).

(فالزموه): أي خذوا حكمه وكونوا عليه، و[هو] (4) إعطائي ما أستحقه من غير زيادة، فيكون ذلك غلواً، ولا نقصان منه فيكون تقصيراً في حقي.

---

(1) في (ب): اعتقاد.

(2) أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من تأريخ دمشق 234/2 برقم (747) بسنده عن ربيعة بن ناخذ عن علي بن أبي طالب قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((إن فيك من عيسى مثلاً: أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به)) وهو فيه أيضاً برقم (748-754)، وهو في الروضة الندية ص 104 وعزاه إلى المحب الطبري والجامع الكبير للسيوطي، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 119/8، والأمالي الخميسية للمرشد بالله 137/1.

(3) أورده ابن منظور في لسان العرب 723/3 من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكذلك أورد طرفاً منه ابن الأثير في النهاية 119/5، وهو بلفظ: ((خير أصحابي النمط الأوسط الذي يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي)) أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب من حديث للإمام علي عليه السلام 283/2، 471 برقم (747) و(966).

(4) سقط من (ب).

(790/3)

(والزموا السواد الأعظم): أراد العدد الكثير، وهو: ما أجمعت عليه الأمة، واتفقت عليه الآراء من جهتهم، فإن ذلك يكون فيه السلامة.

(فإن يد الله على(1) الجماعة): رحمته ولطفه واقع عليهم بالهداية والإعانة في أمرهم كله.

(وإياكم والفرقة): تحذير لهم عن التفرق في أمرالدين وافتراق الكلمة فيه(2)، وإيا منصوب بفعل مضمر، والفرقة عطف عليه، وتقديره احذروا نفوسكم واحذروا الفرقة.

(فإن الشاذ من الناس للشيطان): الخارج عن أمرهم ورأيهم بعد اتفاقهم عليه، يستولي(3) عليه الشيطان ويكون من حزبه.

(كما أن الشاذة من الغنم للذئب): يستولي عليها بالأكل لانفرادها.

(ألا): حرف للتنبيه.

(من دعا إلى هذا الشعار): بكسر الفاء هو: العلامة، وأراد شعارهؤلاء الخوارج الذين اعتقدوا

إباحة(4) الدار وحل قتل الخلق.

(فاقتلوه): فذلك يكون حدّه وعقوبته على ما فعله.

(ولو كان تحت عمامتي هذه): يشير بذلك إلى نفسه، كما تقول لمن تذمه: أبعد الله حشو تلك الثياب.

(وإنما حُكِّم الحكمان): لا لغرض من الأغراض.

(إلا(5) ليحييا ما أحيا القرآن): من الأحكام والسنن.

(ويميتا ما أماته(6) القرآن): من البدع والضلالات.

(وإحياؤه الاجتماع عليه): منَّا ومن مخالفنا.

(وإماتته الافتراق عنه): فلا نأتيه ولا يأتوه اتباعاً لأمر الله وامتثالاً لحكمه.

(فإن جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم): على ما قالوه وذهبوا إليه.

---

(1) في النهج: مع.

(2) قوله: فيه زيادة في (ب).

(3) في (ب): مستولي.

(4) قوله: إباحة سقط من (أ).

(5) إلا، سقط من النهج.

(6) في النهج: أمات.

(791/3)

(وإن جرّهم القرآن إلينا اتبعونا): إلى(1) ما قلناه وذهبنا إليه، وإنماقدَّم أمير المؤمنين ذكر اتباعه لهم على اتباعهم له جرياً على عادته في الملاطفة، واستمراراً على طريقته في المناصفة، مع أن اتباعه أحق، وتقديم ذكره أولى، ولله درُّه ما أسمح(2) خلائقه وأوطئ أكنافه(3).

(فلم آت لا أباً لكم بُجراً): البُجر بضم الفاء هو: الشر، ويقال: الداهية أيضاً يقال: لا أب لك ولا أباً لك ولا أمر لك أيضاً، وأراد ذمهم ها هنا كأنه قال: لاراحم لكم ولا مشفق لكم كشفقة الأب.

(ولا ختلتكم عن أمركم): الختل: الخدع، أي لم أخدعكم عن أمر يكون لكم فيه صلاح.

(ولا لبسته عليكم): إما مخففاً من لبس الأمر إذا خلطه، ومنه قوله تعالى: {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ}[الأنعام:9] وإما مشدداً مبالغة في ذلك، ومصدرالأول لبساً، ومصدر الثاني تلبيساً، ولا فعلت أمراً ينقمه(4) الله تعالى علي.

(وإنما اجتمع رأي ملئكم): خياركم والرؤساء منكم وأهل الرأي:

(على اختيار رجلين): حكَّمناهما في أمرنا هذا: عمرو، وأبو(5) موسى.

(أخذنا عليهما): من قولهم: أخذت عليه ألا يخونني(6)، وأراد أنا أخذنا العهود(7) والمواثيق وأمرناهما:

(أن لا يتعديا القرآن): يجاوزان(8) أحكامه، ويعدلان عنه.

(فتاها عنه): أخذا في غير طريقه، وسلكا غير سبيله.

(وتركا الحق): وراء ظهورهما.

---

(1) في (ب): على.

(2) في (ب): ما أسجح.

(3) أوطئ أي ألين وأسهل، وأكنافه أي جوانبه..

(4) في (ب): يمقت.

(5) في (أ): وأبا.

(6) في (أ): يخزيني.

(7) في (ب): العهد.

(8) في (ب): يتجاوزان.

(792/3)

(وهما يبصرانه): أي أن عدولهما عنه ما كان عن(1) تعمية ولا لبس جرى عليهما، وإنما كان زيغاً عن الحق، وصدّاً عن السبيل عمداً وقصداً، لا عذر لهما فيه.

(وكان الجور هواهما): عدولهما عن الحق وانصرافهما عنه.

(فمضيا عليه(2)): من غير تلوّم ولا مراقبة لله تعالى، ولا خوفاً من وعيده(3)، وكأنهما لم يسمعا قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}[المائدة:44] وإلى قول الرسول عليه السلام: ((ملعون من خان مسلماً أو غرَّه)) فكيف حال إمام المسلمين، وأمير المؤمنين، ومن يليه من أهل الحق!

(وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة): أراد أنّا قد قلنا لهما: قد حكمناكما فلا تحكما إلا بحكم الله تعالى.

(بالعدل): وهو الإنصاف.

(والصمد للحق): والقصد إليه واتباعه.

(سوء رأيهما، وجور حكمهما): جار عن الطريق إذا عدل عنها، أي أن سوء الرأي وجور الحكم من

جهتهما مسبوقان(4) بما ذكرنا من الاستثناء، فلا حكم لهما في ذلك ولايلتفت إليهما مع الاستثناء، فخدعهما بعد ذلك ومكرهما إنما هو على أنفسهما ووباله عليهما ولايلحقنا فيه(5) شيء:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ}[فصلت:46].

(118) ولما عوتب على التسوية في العطاء(6) قال:

---

(1) قوله: عن، سقط من (أ).

(2) في (ب): عنه.

(3) في (ب): غيره.

(4) في النسخ: مسبوقين، وهو تحريف، والصواب كما أثبته لأنه خبر أن.

(5) في (ب): منه.

(6) في شرح النهج: ومن كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء وتصييره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف.

(793/3)

(أتأمرونني(1) أن أطلب النصر بالجور): قالوا: يا أمير المؤمنين، إن درجات الناس متفاضلة فلا تساوي الناس في العطاء، ولا تجعل من والاك كمن عاداك، ولا من نصرك بمنزلة من خذلك، فقال لهم ذلك، وأراد أني لا أطلب النصر بالمفاضلة كما زعمتم، فيكون ذلك حيفاً مني على من فاضلت عليه، وظلماً له وعدولاً في الحق في التسوية.

(فيمن وليت عليه!): من كانت لي عليه ولاية من المسلمين وأهل الديانة.

(والله ما(2) أطور به): لا أقربه ولا أفعله.

(ما سمرسمير): ما هذه زمانية، مثلها في قولك: انتظرني(3) ما جلس القاضي أي مدة جلوسه، وقوله: (سمرسمير) فيه وجهان:

أما أولاً: فيريد به السامر، وهو الذي يتحدث بالليل.

وأما ثانياً: فيريد به الدهر أي لاأفعله الدهر كله، وابنا سمير هما: الليل والنهار.

(وما أمَّ نجم في السماء نجماً!(4)): أي تقدم، ومنه الإمام لأنه يتقدم على غيره.

(ألا وإن إعطاء المال في غير حقه): الذي فرضه الله تعالى وقدَّره.

(تبذير وإسراف): وقد ورد النهي عنهما، كماقال تعالى: {وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً}[الإسراء:26] [وقال تعالى(5)]: {وَلاَ تُسْرِفُوا}[الأنعام:141] لأنهما كلاهما إنفاق من غيرقصد وزيادة على الحق.

(وهو يرفع صاحبه في الدنيا): الضمير للإعطاء، والرفع في الدنيا هو: ما يظهر له في ألسنة الناس من المدح والثناء.

(ويضعه في الآخرة): لما فيه من ارتكاب النهي فينقص(6) أجره بذلك.

(ويكرمه عند(7) الناس): بتعظيمهم له وتبجيلهم إياه.

---

(1) في شرح النهج: أتأمروني.

(2) في النهج: لا.

(3) في (ب): انظرني.

(4) بعده في النهج: ولو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله.

(5) سقط من (ب).

(6) في (ب): فينتقص.

(7) في النهج: في.

(794/3)

(ويهينه عند الله): ينقص أجره، ولايكون له حق عنده.

(ولم يضع(1) امرؤ ماله في غيرحقه): بإنفاقه في المعاصي، والإسراف فيه والتبذير.

(وعند غير أهله): من أهل الفسوق، وأقران السوء، وأخدان(2) الفساد.

(إلا حرمه الله شكرهم): إما بإلقاء العداوة في قلوبهم له فلايشكرونه، وإما بصرف شكرهم إلى غيره.

(وكان لغيره ودُّهم): أي وكانت محبتهم مصروفة إلى غيره.

(فإن زلت به النعل يوماً): أصابته نكبة من نكبات الدهر وسقطة من سقطاته، فجعل زلل النعل كناية عن ذلك لما كان زلل النعل يتلوه السقوط لا محالة.

(فاحتاج إلى معونتهم): بالمواساة وجبران حاله.

(فشر خدين): أي فهو شر صديق، والمخادنة: المصادقة، لتأخره عن نصرته.

(وألأم خليل): اللؤم: الشح، أراد وألأم صاحب.

سؤال؛ كيف يتأتى ما ذكره أميرالمؤمنين من حرمان الشكر وصرف المودة؟

وجوابه؛ هو أنه إذا أنفقه لغير الله وكان إنفاقاً في السرف والمعصية، فربما سهل الله العداوة بينهم وخذلهم حتى حصلت البغضاء، فكان سبباً لبطلان ذلك وانقطاعه(3)، وكثير ما يشاهد ما ذكره في أحوال جمع من الخلق يوجد ذلك في حقهم.

(119) ومن كلام له عليه السلام يخبر به عن الملاحم بالبصرة

الملاحم: جمع ملحمة، وهي: عبارة عن مواقع الحرب الشديدة، ولهذا قال حيي بن أخطب لما قتل الرسول بني قريظة عن آخرهم: بلاء وملحمة كتبت علي بني إسرائيل(4).

---

(1) في (أ): ولا يضع.

(2) في (ب): وأحداث.

(3) في (أ): بانقطاعه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(4) انظر سيرة ابن هشام 241/2 (ط2) 1375هـ -1955 تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

(795/3)

(يا أحنف): يخاطب الأحنف بن قيس(1)، وكان من أصحابه، ويضرب به المثل في الحلم.

---

(1) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي المنقري التميمي، المتوفى سنة 72هـ سيد تميم وحليمها، قيل: أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا له، روى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأبي ذر، والعباس، وعمر، وعثمان، وطائفة، وعنه الحسن البصري، وحميد بن هلال العبدي، وآخرون، شهد مع الإمام علي (ع) صفين ثم عاتبه معاوية فيما بعد فأغلظ له الجواب (انظر معجم رجال الاعتبار ص 38 ت (65)).

(796/3)

(كأني به): الضمير لصاحب الزنج(1)، وحكي أنه كان رجلاً من قرية من قرى الري، يقال لها: ورزنين وكان يزعم أنه من أولاد أمير المؤمنين، شخص إلى البحرين، ودعا قوماً إلى طاعته فاتبعه جماعة، ووقعت بسببه عصبية(2) قتل فيها جماعة، ثم انتقل إلى البادية،

---

(1) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 126/8-127 ما لفظه: فأما صاحب الزنج هذا فإنه ظهر في فرات البصرة في سنة خمس وخمسين ومائتين: رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بنُ عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون

السباخ في البصرة، وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيين، وجمهور النسابين اتفقوا على أنه من عبد القيس، وأنه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه أسدية من أسد بن خزيمة، جدها محمد بن حكيم الأسدي، من أهل الكوفة، أحد الخارجين مع زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك، فلما قتل زيد، هرب فلحق بالري، وجاء إلى القرية التي يقال لها: ورزنين، فأقام بها مدة، وبهذه القرية ولد علي بن محمد صاحب الزنج وبها منشؤه، وكان أبو أبيه المسمى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس، كان مولده بالطالقان، فقدم العراق، واشترى جارية سندية، فأولدها محمداً أباه، إلى أن قال في ص128-129: وقد ذكر المسعودي في كتابه المسمى (مروج الذهب) أن أفعال علي بن محمد صاحب الزنج تدل على أنه لم يكن طالبياً، وتصدّق ما رمي به من دعوته في النسب؛ لأن ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة في قتل النساء والأطفال والشيخ الفاني والمريض، وقد روي أنه خطب مرة فقال في أول خطبته: (لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر لا حكم إلا لله) وكان يرى الذنوب كلها شركاً.

(2) في (ب): قضية.

(797/3)

وادَّعى عليهم النبوة، فقال يوماً لأصحابه: إني أمرت أن أقصد البصرة فخرج إليها من حيث كان وتبعه أقوام من أهلها، وكان أهل البصرة يشترون الزنوج كثيراً ويستعملونهم في حوائجهم وزراعاتهم، وكان يدسُّ إليهم من يخدعهم ويمنِّيهم الأماني الكاذبة، حتى اجتمع إليه خلق عظيم وبشر كثير من غلمان الزنج فوعدهم أن يملِّكهم الأموال، ويبسط(1) أيديهم فيما تهواه أنفسهم وتريده خواطرهم من أموال الناس، وحرمهم وحلف لهم الأيمان المغلظة، أن يفي لهم بما وعد وألا يغدرهم ولا يخذلهم، وكان كل غلام يتصل به فإنه يأخذ مولاه ويحبسه، فلما تمَّ له اجتماع الغلمان دعا مواليهم، فقال لهم: إني أردت أن أضرب أعناقكم لإساءتكم إلى هؤلاء الغلمان، استضعفتموهم وحمَّلتموهم ما لا يطيقون(2)، وقد كلمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم، فقالوا: إن هؤلاء الغلمان آبقون(3) منَّا وهم يهربون منَّا ومنك فلا يبقون علينا ولا عليك، فخذ منَّا مالاً وأطلقهم علينا فأمرغلمانه وأحضروا(4) عصا، ثم بطح كل غلام مولاه وضربه خمسمائة ضربة، وحلفهم بطلاق نسائهم ألا يعلموا أحداً بموضعه ولا بعدد أصحابه ثم أطلقهم.

(وقد سار بالجيش): ثم جعل يجمع الناس حتى اجتمعوا إليه، من كل صنف خلق عظيم خاصة من الزنج.

(الذي لا يكون له غبار): يعلوهم لخفة مشيهم على الأرض.

(ولا لجب): أصوات عظيمة لصموتهم.

(1) في (ب): ويسلط.
(2) في (أ): ما يطيقون.
(3) أبق العبد يأبق بكسر الباء وضمّها أي: هرب.
(4) في (ب): وأحضروهم.

(798/3)

(ولا قعقعة لُجم): أراد أنه لاخيل معهم، وقعقعة اللجم هو: حركتها وحركة الأسلحة أيضاً، وفي المثل: فلان ممن لايقعقع له بالشنان(1).
(ولا حمحمة خيل): الحمحمة: أصوات الخيل إذا طلبت العلف، وعند الحرب أيضاً.
(يثيرون الأرض بأقدامهم): يحفرونها بشدة الوطئ منهم.
(كأنها أقدام النعام): في جدتها وسرعة سيرها، ثم إنه ساربعد ذلك لحرب(2) البصرة فأخربها، واستولى على البلاد، وبنى الحصون والقلاع، ونهب الأموال، وسبى النسوان والذراري، وابتلي الناس منه بأشد البلاء وأعظمه، وله قصص طويلة، وحاش لله وكلا أن يكون من هذه حاله في الفسق وتسويس(3) الدين من العترة الزكية، الذين جعل الله فيهم النبوة، ووضع فيهم الإمامة، وجعلهم أئمة للهدى(4)، وسادة لأهل التقوى، ثم امتد أمره إلى أيام المعتمد بن المتوكل فبعث أخاه أبا أحمد الموفق في جيش عظيم إلى ولايته، فجعل ينقض أطرافه ويأخذ قلاعه، وخرَّب بلاده وحرَّق دياره، ويعطي كل من خالف عليه وخذله الأموال النفيسة حتى قتله، وكان ذلك في المحرم سنة سبعين ومائتين من الهجرة(5).
(ويل لسكككم العامرة): السكك جمع سكة وهي: الأزقة والشوارع.
(والدورالمزخرفة): المنقوشة.

(1) أي لا يخدع ولا يروع، انظر المعجم الوسيط 750/2 والقاموس المحيط ص 973.
(2) في (ب): لحراب.
(3) في (ب): وتشويش.
(4) في (أ): الهدى.
(5) عن أخبار صاحب الزنج انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 126/8-214 تجدها فيه بالتفصيل.

(التي بها(1) أجنحة كأجنحة النسور، وخراطيم كخراطيم(2) الفيلة): شبه شُرَفاتها(3) وبروجها في الدقة والطول والرشاقة بأجنحة النسور عند طيرانها، وخراطيم الفيلة.

(من أولئك): أي من خرابهم لها وهدمهم لهذه الدور، وتغيير هذه الزخارف.

(الذين لا يندب قتيلهم(4)): لضراوتهم بالحرب وشجاعتهم وكثرة الشطارة(5) فيهم.

(ولايفقد غائبهم): لقسوة قلوبهم فلا يذكرون لهم غائباً ويقدرونه كأنه لم يكن.

(أنا كابُّ الدنيا لوجهها): كبَّه على وجهه إذا صرعه فأكبَّ على وجهه.

(وقادرها بقدرها): من الحقارة والانقطاع والتنغيص في لذاتها، والتغير في نعيمها، وقدره لها إعراضه عنها فلا يلتفت إليها بحال.

(وناظرها بعينها!): أي بالعين التي يصلح النظربها إليه من الإزدراء والحقارة، وإنما أضاف العين والقدر إليها تنبيهاً على ماذكرنا؛ لأن لها قدراً تختص به عنده وعيناً ينظر بها إليها فلهذا أضافهما إليها(6).

سؤال؛ ما وجه اتصال قوله: أنا كابُّ الدنيا بما قبله حتى أورده على أثره، وليس بينهما ملاءمة(7) ولاتقارب؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فلأنه لما ذكر صاحب الزنج وما حدث بسببه من تغير(8) الدنيا، وتقلبها بأهلها وأن ذلك كله من محنها وبلواها، عقَّب ذكرمنزلة الدنيا عنده وقدرها في حقه.

---

(1) في النهج، وفي نسخة أخرى: لها.

(2) قوله: كخراطيم، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(3) شُرْفة القصر واحدة الشُّرَف كغُرفة وغُرَف، والشرف العلو والمكان العالي وجبل مشرف أي عالٍ. (مختار الصحاح ص335).

(4) في (أ): قتلهم.

(5) الشطارة: الخبث، والشاطر: الذي أعيا أهله خبثاً.

(6) في (أ): إضافتهما إليهما.

(7) في (ب): ملازمة.

(8) في (ب): تغيير.

وأما ثانياً: فيمكن أن يكون هذا من الاستطرادات البديعة في كلامه وهو أحسن، وهو أن يذكر كلاماً على إثركلام ليس بين الأول والآخر قرب(1) ولامداناة وهذا منه، وهو نوع من أنواع البديع قد نبهنا عليه في مواضع من كلامه.

ومن بديع ما ورد في الاستطرادات(2) قول السموأل(3):

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سُبَّة

إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

تقرِّب حبَّ الموتَ آجالُنا لنا

وتَكرهه آجالُهم فتطولُ

فالبيت الثاني كالدخيل على الأول، وأعجب منه قول آخر:

خليليَ من كعب أعينا أخاكما

على دهره إن الكريمَ مُعِيْنُ

ولا تبخلا بخل ابن قَزْعَة إنه

مخافة أن تُرجَى يديه حزينُ

فذكر في الأول الإعانة، وذكر في الثاني البخل، وليس بينهما تعلق ولا مداناة.

ثم أردف ذلك بوصف حال الأتراك وأمرهم:

الترك: جيل من العجم.

(كأني أراهم قوماً): جماعة.

---

(1) في (ب): دنا.

(2) في (ب): الاستطراد.

(3) هو السموأل بن غريض بن عادياء الأزدي، المتوفى نحو سنة 65ق.هـ شاعر جاهلي حكيم،

من سكان خيبر في شمالي المدينة، أشهر شعره لاميته التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه

فكل رداء يرتديه جميل

وهي من أجود الشعر، وله ديوان شعر مطبوع صغير (انظر الأعلام 140/3).

(801/3)

(كأن وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقَة): الْمَجَانُّ جمع مِجَنّ وهو: الترس، والمطرق: المجعول بعضه على بعض كالنعل المطرقة طباقاً، شبَّه وجوههم بها لسعتها وكبرها، وقد ورد ذلك في كلام الرسول عليه السلام(1).

(يلبسون السَّرقَ): جمع سَرَقة مثل سَعَفَة وسَعَف وهي: ثياب الحرير.

(والديباج): وهو: نوع من أنواع الحرير أيضاً، والديباج والسرق فارسيان معربان.

(ويعتقبون الخيل العتاق): يحتبسونها للركوب والقتال، من قولهم: اعتقبت الرجل إذا حبسته، وفرس عتيق إذا كان ناعم الخلق كثير السبق.

(ويكون هناك استحرارقتل): حر القتل واستحر(2)، إذا اشتدَّ وكثر.

(حتى يمشي المجروح على القتيل): لكثرة القتلى.

(ويكون المفلت): الناجي من القتل والأسر.

(أقل من المأسور): كل ذلك مبالغة في شدة الأمر وعظمه، وكل ما ذكره إما قد كان بعده، وإما سيكون بعد ذلك، ولعله يشير إلى الدجال، كما قد مضىذكره في موضع غير هذا.

واعلم: أنما ذكره ها هنا من أخبار صاحب الزنج، ثم حال الأتراك إنما هو بإخبار الرسول إياه بذلك، وتعريفه به(3) من جهته، ويدل على ذلك بأنه لما ذكرما ذكره من هذه الأمور قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كلبياً:

---

(1) انظر النهاية لابن الأثير 122/3، والحديث بلفظ: ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة)) أخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية 264/2 بسنده عن أبي هريرة، وهو فيه أيضاً بإسناده عن بحر بن تغلب من حديث بلفظ: ((إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا أقواماً كأن وجوههم المجان المطرقة)).

(2) في (أ): واستحره.
(3) في (ب): له.

(802/3)

(يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب): أراد أن علم الغيب لايكون له سبب سحر ولا غيره من سائر الأسباب.
(وإنما هو تَعَلُّم من ذي علم): أي أني(1) تَعَلَّمْتَهُ ممن أَعْلَم(2) به من جهة أخبار السماء وهو رسول الله.
(وإنما علم الغيب): العلم الذي لا ينبغي لأحد أن يطلع عليه إلا الله تعالى.
(علم الساعة، وما عده(3) الله تعالى بقوله(4): {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[لقمان:34]، فيعلم سبحانه ما في الأرحام): أي(5) ما استقر فيها وما خلق(6) فيها وقدر.
(من(7) ذكر أوأنثى، وقبيح أوجميل، أو سخي(8) أو بخيل): فذكر وأنثى من صفات الخلقة، وقبيح وجميل من صفات الصورة والتركيبة، وسخي وبخيل من صفات الطبائع(9) والخلايق.
(وشقي وسعيد(10)): من صفات الأفعال(11).
(ومن يكون للنار حطباً): من الكفار والفساق، وسائر أهل الضلالات والبدع والأهواء.
(وفي(12) الجنان للنبيين مرافقاً): وهم(13) الأولياء والصالحون وسائر الأبرار.

---

(1) قوله : إني، سقط من (ب).
(2) في (ب): ممن هو أعلم به ...إلخ.
(3) في النهج: وما عدده.
(4) قوله: بقوله، سقط من (أ).
(5) قوله: أي زيادة في (ب).
(6) في (ب): وما ظَنّ.
(7) قوله: من زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(8) في النهج: وسخي.
(9) في (ب): الطباع.
(10) في النهج: أو سعيد.
(11) في (أ): الامحال، هكذا، وهو غامض.

(12) في (ب): أو في.
(13) في (أ) و(ب): وهو، وما أثبته من نسخة أخرى.

(803/3)

(فهذا علم الغيب الذي لايعلمه أحد(1) إلا الله): لما في ذلك من المصلحة التي استأثرالله تعالى بعلمها من علم الآجال والأرزاق وغير ذلك، فإن في سترها عن الخلق مصالح وأسرار، وحكمة عظيمة قد أحاط الله بها.

(وما سوى ذلك): من سائرالمعلومات.

(فعلَّم علمه الله نبيه [صلى الله عليه وآله](2)): لما فيه من المصلحة(3) الغائب عنّا علمها.

(فعلمنيه): بأن ألقاه إليّ وأخبرني به.

(ودعا لي بأن يعيه صدري): فلا أنساه.

(وتضطمَّ عليه جوانحي): الجوانح هي: عظام الصدر، الواحدة منها(4) جانحة، وتضطم أي تشتمل عليه.

واعلم: أن ما ذكره عليه السلام من علوم الغيوب، كما نجوِّز أن يكون ذلك من جهة الرسول عليه السلام كما قال، وكنَّا نجوِّز أن يكون ذلك كرامة له من الله تعالى أكرمه بها، وعلم أن له في ذلك مصلحة استأثر بعلمها، خاصة إذا قلنا: يجوز إظهار الكرامات على الأولياء والصالحين كما هو مذهبنا، فأما سائر أصحابنا وأكثرالمعتزلة فقد منعوا من إظهار الكرامات، وقد قررنا ما نختاره في الكتب العقلية.

(120) ومن كلام له عليه السلام في ذكر المكاييل والموازين

(عباد الله، إنكم وما تأملون من هذه الدنيا): من هذه لابتداء الغاية، والواو في قوله: (وما تأملون) إما للعطف على الضمير فتكون [ما] موصولة، أي والذي تأملون، أو تكون واو مع أي مع الذي ترجونه من عاجلها وعيشها المنقطع.

(أثوياء): جمع ثوي؛ وهو الضيف، أو يكون اشتقاقه من ثوى بالمكان إذا أقام فيه، وأراد أنكم فيها بمنزلة الضيف و(5)مقيمون إقامة حقيقة.

---

(1) قوله: أحد، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(2) زيادة في النهج.
(3) في (أ): المصلحية.

(4) قوله: منها سقط من (أ).
(5) في (ب): أو.

(804/3)

(مؤجلون): لكم آجال مقدرة لايزاد عليها ولا ينقص منها.
(ومدينون): إما من أدانه إذا أقرضه، وإما من دانه إذا أذله واستعبده، وإما من دانه بمعنى جزاه، وكلها صالحة ها هنا.
(مقتضون): أي يقتضى منكم ما أسلفتموه، وهذا يؤيد تفسير مدينون من دانه إذا أقرضه، ولهذا أورده على أثره.
(أجل منقوص): غيرمتطاول.
(وعمل محفوظ): مكتوب في الصحف على أيدي الملائكة .
(فرب دائب مضيّع): دأب في عمله إذا أجد(1) فيه وأتعب نفسه، أي ربما جد في ذلك وهو في الحقيقة مضيع لإبطاله(2) لعمله بالمعصية، أو لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى، فلهذا كان بمنزلة من ضيَّع العمل بل هو أخسر صفقةمنه؛ لكونه قد أتعب نفسه ولم ينفعه الله بعمله.
(ورب(3) كادح خاسر): الكدح: السعي بالكد، أي أنه ربما كدح وخسرفي عمله؛ لأنه لما يأتِ به مطابقاً لرضوان الله ووجهه.
(وقد(4) أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إدباراً): يخاطب به أصحابه، وإذا كان الحال ما قاله في ذلك اليوم والخير كثير، والشريعة غضَّة طرية، ورسول الله [صلى الله عليه](5) لم يبل قميصه، فكيف حالنا في هذه الأزمان، فإنَّا با لله عائذون!
(ولا الشر فيه(6) إلا إقبالاً): بالفتن في الأديان وسائرالضلالات.
(والشيطان في هلاك الناس إلا طمعاً): لما يكون هناك من الإعراض عن الله والرغبة في الدنيا، وعند ذلك يحصل الطمع، و(7)يعظم رجاؤه في الانقياد له.
(فهذا أوان): وقت، والأوان: عبارة عن الزمان الذي يقع فيه كلام المتكلم، وجمعه آونة كزمان وأزمنة.

---

(1) في (ب): أخذ.
(2) في (ب): لإبطانه.
(3) في (ب): رب، بغير واو.
(4) في (ب): قد، بغير واو.
(5) زيادة في (ب).

(6) فيه، زيادة في النهج.

(7) الواو زيادة من نسخة أخرى.

(قويت عدتة): الضمير للشيطان، وأراد بالقوة المكر والخديعة بالخلق وكثرة الإغواء لهم(1)، وهو استعارة لقوة الأمر في ذلك، والعائد محذوف تقديره فيه؛ لأن الجملة صفة لأوان، فلا بد(2) فيها من ضميره(3).

(وعمَّت مكيدته): كاده يكيده كيداً ومكيدة إذا مكر به وخدعه.

(وأمكنت فريسته): أي استمكنت وصارت ممكنة لمن يفترسها، وأراد أنهم ليسوا ممتنعين منه متى شاء فرسهم، فبلغ هو الغاية في زللهم وإغوائهم، ومصداق ذلك وأمارته ما أقوله لك:

(اضرب بطرفك): أجل طرفك(4) وفكرفي نفسك.

(حيث شئت): من الأماكن والجهات.

(من الناس): من لابتداء الغاية.

(فهل تنظر(5) إلا فقيراً مكابداً(6) فقراً): يعاني فقره، ويعالج أمره، وحاله في ذلك بالاحتيال على دهره والدخول في كل شبهة، لا يدع باباً إلا ولجه(7)، ولاشبهة له فيها مطمع إلا ارتكبها.

(أو غنياً بدَّل نعمة الله كفراً): أخرجه غناه إلى البطر والأشر، وتعدي حدود الله وارتكاب محرماته، بدل جزاء نعمة الله من الشكر لها والاعتراف بحقها؛ كفراً بالله وخروجاً عن أمره ونهيه.

---

(1) في (ب): بهم.

(2) في (ب): ولا.

(3) في (ب): ضمير.

(4) في (ب): نظرك.

(5) في نسخة أخرى وفي النهج: تبصر.

(6) في النهج: يكابد.

(7) في (أ): ولج.

(أوبخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً): البخل: منع الحق الواجب، والبخيل من فعل ذلك، وأراد أنه توصَّل بالبخل لحق(1) الله ومنع واجباته عن الأداء، وجعله وفراً في ماله وزيادة فيه، ومانع الزكاة يسمى بخيلاً، كما ورد ذلك في شأن ثعلبة بن حاطب، في قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}[التوبة:76] فسماه الله بخيلاً لما منع حقه الواجب عليه في ماله، والقصة فيه معروفة(2)

---

(1) في (ب): بحق.

(2) ذكرها العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف 278/2 فقال: روي أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه)) فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فدعا له، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة، فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة، فسئل عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه واد، قال: ((يا ويح ثعلبة)) فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصدّقين لأخذ الصدقات، فاستقبلهما الناس بصدقاتهم، ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي فيه الفرائض، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، وقال: ارجعا حتى أرى رأيي، فلما رجعا قال لهما رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم أن يكلماه: ((يا ويح ثعلبة)) مرتين. فنزلت أي الآية الكريمة: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} قال: فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال: ((إن الله منعني أن أقبل منك)) فجعل التراب على رأسه فقال: ((هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني)).

(807/3)

.

(أو متمرداً): خارجاً عن الحد على جهة العتو والاستكبار.

(كأن بأذنه عن سمع(1) المواعظ وقراً): يشبه في بُعْدِهِ عن سماع المواعظ والانتفاع بها من في أذنه صمم وثقل، فهو لا يعرِّج ولاينفعه سماعها.

(أين خياركم وصلحاؤكم): في الدين وأهل الصلاح منكم الذين اختاروا لأنفسهم الآجلة، وصلحت أعمالهم وسرائرهم.

(وأين أحراركم): أهل الأحساب(2) والنفاسة.

(وسمحاؤكم): الذين جادوا بأنفسهم وأموالهم ابتغاء وجه الله تعالى وتقرباً إلى رضوانه.

(وأين المتورعون في مكاسبهم): الآخذين بالحزم في أبواب الكسب، وفي الحديث عن الرسول: ((الجهاد عشرة أجزاء، فتسعة منها في طلب الحلال، وجزء(3) منها في طلب العدو)) وكان من سلف يتركون أبواباً من المكاسب المباحة كي لايقعوا في المحظور من ذلك، وفي الحديث: ((من يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه))(4)، وهذا نحو الأموال الربوية، والدخول في الصناعات المكروهة، وتناول الأموال المشكوك فيها، وغيرذلك مما يكون تركه تورعاً، وأخذه دخول في الشبهة وتلبس(5) بها.

(والمتنزهون في مذاهبهم): عن الاعتقادات الردية والخواطر السيئة، والمتنزهون في مذاهبهم أي تصرفاتهم في كل وجه من ذلك.

(أليس قدظعنوا): خرجوا، وأراد بذلك من سلف من قرن الصحابة فإنهم كانوا على هذه الصفة، وأبلغ منها في التحرز في الأموال والمكاسب، وكانوا يتركون سبعين باباً من الحلال لئلا يقعوا في الحرام.

---

(1) في نسخة: سماع، [هامش في (ب)].

(2) في (ب): الإحسان.

(3) في (ب): وجزءاً.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه 723/2، وأخرج نحوه الترمذي في سننه 511/3، والبيهقي 334/5، وهو من حديث رواه في الكشاف 260/1.

(5) في (أ): وتلبساً.

(808/3)

(عن هذه الدنيا الدنية): سميت الدنيا دنيا لدنوها وقربها بالإضافة إلىالآخرة، والدنية صفة للدنيا إما غير مهموز بمعنى القريبة، كأنه قال عن هذه القربى القريبة، وإما مهموز بمعنى الدون أي الخسيسة المحقرة.

(والعاجلة): وإنما سميت عاجلة؛ لأنها تعجلت لصاحبها وقربت إليه، قال الله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ}[الإسراء:18].

(المنغصّة(1)!): المكرّهة إلى أهلها؛ لأنها لاتزال ترميهم بنوائبها ومصائبها، وتُنَغِّص عليهم لذاتهم وتقطعهم عن بلوغ أمنياتهم، فهي منغصة لا محالة.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: إنها منغصة(2) ووصفها بذلك، والله تعالى يقول: {كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ}[القيامة:20-21]، ونراها محبوبة في أعين الخلق ولهذا آثروها على الآخرة، فكيف

قال: إنها منغصة(3)؟

وجوابه؛ أنها(4) لاتمتنع أن تكون محبوبة من وجه، مكروهة من وجه آخر، فمحبتها من أجل تعجلها ونضارتها وحسن زهرتها، وكراهتها من أجل انقطاعها، وما يعرض من الفجائع والتكديرات، وإذا كان الأمر كما قلناه حصلت الموافقة بين كلام الله تعالى وكلام أمير المؤمنين كما قررناه.

(وهل خُلِّقتم إلا في حثالة): في ناس حثالة من الخلق، وهم أردؤهم، والحثالة: الرديء من كل شيء.

(لا تلتقي بذمهم الشفتان): أي لاينطق أحد بذمهم ولا يفوه بذلك ولا يتكلم به.

(استصغاراً لقدرهم): أي أن أقدارهم نازلة فليسوا أهلاً لأن تقع العناية بذمهم

---

(1) في (ب) ونسخة أخرى: المبغضة.

(2) في (ب): مبغضة.

(3) في (ب): مبغضة.

(4) في (ب): أنه.

(809/3)

(وذهاباً عن ذكرهم): وتأففاً واستنكافاً عن أن يذكروا بذكر، وقوله: (لا تلتقي بذمهم الشفتان) من فصيح الكلام وغريبه، الذي لم ينسج أحد على منواله، [ولا سمحت](1) قريحة على حده ومثاله، وقد قال بعض علماء البيان، وأهل الفصاحة واللسان، أنه قد وجد لأمير المؤمنين ثلاث كلمات جرت مجرى الأمثال ووجد معناها حاصلاً في كتاب الله تعالى:

الأولى: قوله عليه السلام: (من جهل شيئاً عابه) ومثله من كتاب الله تعالى قوله: {وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ}[الأحقاف:11]، وقوله: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ}[يونس:39].

والثانية: قوله عليه السلام: (المرء مخبؤ تحت لسانه)، وقريب من معناه قوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ}(2) فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}[محمد:30].

الثالثة: قوله عليه السلام: (ابغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما، واحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما) ومثله قوله تعالى(3): {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً}[الممتحنة:7]، فانظر مابين هذه من المعاني من التقارب والتداني، ثم غير خاف عليك أنها وإن تقاربت فبينها وبين ألفاظ القرآن في الرقة واللطافة والجزالة والبلاغة بون(4) لا يخفى، وبُعْدٌ لا يتقارب ولا يتدانى، وفضل القرآن عليها كفضل القمر على سائر الكواكب.

(فإنَّا لله): مملوكون ونحن عبيد مربوبون.

(وإنَّا إليه راجعون): بالإعادة بعد الإفناء من أجل المحاسبة على الأعمال والجزاء.

(1) سقط من (ب) وفي (أ): ولا شمخت، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(3) في (ب): ومثله في كتاب الله تعالى.

(4) أي بعد.

(810/3)

(ظهر الفساد): فشا في الأرض وكثر.

(فلا منكِّر مغيِّر): أي لا منكِّر له بقلبه، مغيِّر له بيده.

(ولا زاجر): عن فعله يكفّ عنه.

(مزدجر): ذو ازدجار وانكفاف عن فعله، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ}[القمر:4].

(أفبهذا): إشارة إلى ظهور الفساد وعموم المنكر.

(تريدون(1) أن تجاوروا الله): تزعمون أن يكون لهم الحصول في الجنة حائزين للرحمة.

(في دار قدسه): التقديس: التطهير(2)، كما يقال: حضيرة القدس، وقوله: {رُوحِ الْقُدُسِ}[البقرة:87]، {الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ}[المائدة:21] المطهرة، وأراد في دار الطهارة(3) عن الأقذار والتنغيصات.

(وتكونوا(4) أعز أوليائه عنده): الأولياء جمع ولي، ومعنى ولي الله أي الله أولى به، يريد كرامته وإثابته ونصرته وإعانته، والعزة: الكرامة أي تكونون بها أكرم أوليائه.

(هيهات): اسم من أسماء الأفعال موضوع(5) للخبر أي بَعُد ذلك وفيها لغات كثيرة، قال الله تعالى: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ}[المؤمنون:36] أي بَعُد ذلك، فيقال: هيهات بالحركات الثلاث وبالتنوين مع الحركات فهذه ست، وإيهاك وإيهان وغير ذلك.

(لا يخدع الله عن جنته): الخدع: المكر، وهو أن تريه(6) المناصحة وغرضك غدره، وأراد أنه لايطمع فيها من ليس عاملاً لها فيكون ذلك خديعة لله تعالى، كما قال تعالى: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}[النساء:142].

(ولا تنال مرضاته): المرضاة: هي الرضى أي أنها لا تنال بشيء من الأشياء.

---

(1) في (ب): ترون.

(2) في (ب): التقدس: التطهر.

(3) في (أ): وأراد في الطهارة.

(4) في (أ): وتكونون

(5) في (أ): موضع.

(6) في (أ): تريد، وهو تحريف.

(إلا بطاعته): التي تجب له والتي هو أهل لها دون غيره ممن يكون مطاعاً.

(لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له): لأن أمرهم بالمعروف بعد فعلهم له، فإذا تركوه كان ذلك عكساً لأمره وقد ذمهم الله تعالى بقوله: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}[البقرة:44] وأراد اليهود.

(والناهين عن المنكر العاملين به): لأن نهيهم إنما يكون بعد تركه والتناهي عنه، وإذا نهوا عنه وفعلوه كان ذلك أدخل(1) في الملامة وأبلغ في القبح، واللعن هو: الطرد عن الرحمة والإبعاد عنها، وقد صار بالشرع لا يستحقه إلا من كان فاسقاً خارجاً عن ولاية الله تعالى إلى عدوانه(2)، مستحق للعقاب من الله تعالى.

سؤال؛ أليس قد قال المتكلمون: إنه لا يمتنع أن يجب الأمر بالمعروف على الواحد منَّا وإن كان تاركاً له، ويجب عليه النهي عن المنكر وإن كان فاعلاً له، وفي كلام أمير المؤمنين ما يأباه؟

وجوابه؛ هو أن ما قاله المتكلمون غيرممتنع؛ فإن وجوب الأمربالمعروف مخالف لوجوب المعروف في نفسه، ووجوب النهي عن المنكر مخالف لوجوب الانتهاء عنه، ألا ترى أنه لايمتنع أن يجب عليه أمر غيره بالصلاة وإن كان تاركاًلها، وأن(3) يجب عليه النهي عن القتل وإن كان فاعلاً له، وليس في كلامه ما يدفع(4) هذا، ولكنه ذمَّ الآمرين بالمعروف مع تركهم له، وذمَّ الناهين عن المنكر مع فعلهم له، وليس ذلك دافعاً لما قاله أهل الكلام لتغاير الوجهين.

(121) ومن كلام له عليه السلام لأبي ذر رحمة الله عليه لما أخرج إلى الربذة

---

(1) في (أ): داخلاً.

(2) في (ب): عداوته.

(3) في (ب): وأنه.

(4) في (أ): ما يرفع.

اعلم أن من جملة المطاعن التي طعن بها على عثمان في خلافته، وهو طرده لأبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة، وكانت له قدم سابقة في الدين، ومحبة من الرسول، وإيوائه للحكم بن العاص(1) وقد طرده رسول الله قبل(2) موته.
فأما أبو ذر فقد أُعْتِذَر له في ذلك بأن خروجه إليها كان برضاه، وفي كلام أمير المؤمنين ها هنا ما يدل على خلاف ذلك.

---

(1) الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، أبو مروان، طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحكم هو عم الخليفة عثمان بن عفان، كان من مسلمة الفتح ومن المؤلفة قلوبهم، وتوفي في أيام عثمان قبل قتله بشهور، واختلف في السبب لنفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحكم، فقيل: إنه كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار والمنافقين، ويفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه. وقيل: كان يتجسس على رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم وهو عند نسائه ويسترق السمع، ويصغي إلى ما يجري هناك مما لا يجوز الاطلاع عليه، ثم يحدِّث به المنافقين على طريق الاستهزاء، وقيل: كان يحكيه في بعض مشيه وبعض حركاته، فقد قيل: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا مشى يتكفأ، وكان الحكم بن أبي العاص يحكيه، وكان شانئاً له مبغضاً حاسداً، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فرآه يمشي خلفه يحكيه في مشيه فقال له: ((كذلك فلتكن يا حكم)) فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ، فذكر ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت، فقال لعبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إن اللعين أبوك فارم عظامه
ذ

إن ترم ترم مخلجاً مجنوناً

يمشي خميص البطن من عمَل التقى

ويظل من عمل الخبيث بطينا

(شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6/149-150).
(2) في (أ): قبيل.

وأما ردُّ الحكم بن العاص فقد اعتذر عثمان عن ذلك، بأنه قد كان استأذن في ردِّه من رسول الله(1)

---

(1) ذكر المؤلف عليه السلام بأن ما اعتذر به الخليفة عثمان بن عفان في إخراج الصحابي الجليل أبي ذر إلى الربذة بأنه كان برضاه، فعقّب المؤلف على ذلك بقوله: وفي كلام أمير المؤمنين هاهنا ما يدل على خلاف ذلك._ ... _وأما ما اعتذر به عثمان في رده لطريد رسول الله الحكم بن أبي العاص، بأنه كان قد استئذن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ذكر ذلك قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد رحمه الله في المغني، واعترضه الشريف المرتضى رحمه الله بقوله: أما دعواه أن عثمان ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة، ولا يدرى من أين نقله، ولا في أي كتاب وجده، والذي رواه الناس كلهم خلاف ذلك، روى الواقدي من طرق مختلفة وغيره أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح أخرجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف وقال: ((لا تساكني في بلد أبداً)) فجاءه عثمان فكلمه فأبى، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك، ثم كان من عمر مثل ذلك، فلما قام عثمان أدخله وأكرمه ووصله، فمشى في ذلك علي والزبير وطلحة وسعد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر حتى دخلوا على عثمان، فقالوا له: إنك قد أدخلت هؤلاء القوم –يعنون الحكم ومن معه–، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرجهم، وإنَّا نذكرك الله والإسلام ومعادك، فإن لك معاداً ومنقلباً، وقد أبت ذلك الولاة قبلك، ولم يطمع أحد أن يكلمهما فيهم، وهذا شيء نخاف الله فيه عليك، فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما تعلمون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم، وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولم يضركم مكانهم شيئاً، وفي الناس من هو شر منهم، فقال علي عليه السلام: لا أجد شراً منه ولا منهم، ثم قال: هل تعلم عمر يقول: والله ليحملن بني أبي مُعيط على رقاب الناس، والله إن فعل ليقتلنُه، فقال عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه، وينال من المقدرة ما نلت إلا قد كان سيدخله، وفي الناس من هو شر منه، قال: فغضب علي عليه السلام، وقال: والله لتأتينا بشر من هذا إن سلمت، وسترى يا عثمان غبَّ ما تفعل، ثم خرجوا من عنده._ ... _وهذا كما ترى خلاف ما ادعاه صاحب (المغني) –أي قاضي القضاة– لأن الرجل لما احتفل ادعى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أطمعه في رده، ثم صرح بأن رعايته فيه القرابة هي الموجبة لرده ومخالفة الرسول عليه السلام. وقد روي من طرق مختلفة أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر في رد الحكم أغلظا له وزبراه، وقال له عمر: يخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أدخله، والله لو أدخلته ما آمن أن

يقول قائل: غيرَّ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله لأن أَشقَّ باثنتين كما تشق الأيلُمة – أي خوص المقل– أحب إليَّ من أن أخالف لرسول الله أمراً، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم. انتهى ما نقلته من اعتراض الشريف المرتضى رحمه الله على ذلك الطعن المشار إليه، وفيه المزيد من التوضيح تركته ميلاً إلى الاختصار، ومن أراد التوسع فلينظر شرح النهج لابن أبي الحديد 29/3-33.

(814/3)

.

(يا أبا ذر): هذه كنيته، واسمه: جندب بن جنادة الغفاري، وغفار: قبيلة من كنانة.

(إنك غَضبت لله): أي من أجله، وكان شديد الشكيمة(1) في ذات الله، والتصلب في دينه.

ويحكى أن معاوية كتب إلى عثمان يشكوه، فكتب إليه عثمان أن صر إلى الخدمة(2)، فلما وصل إليه قال له: من أخرجك إلى الشام؟ فاعتذر إليه، فقال له: أي البلاد أحب إليك بعد الشام؟ فقال: الربذة، فقال له: صر إليها(3)، فكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وكان يقول: لم يبق أصحاب النبي على ما عهدتهم.

(فارجُ من غضبت له): بالفوز منه والرضوان من جهته.

(إن القوم): يشير بذلك إلى عثمان وأصحابه.

(خافوك علىدنياهم): لما كان يظهر منه من الخشونة، والغلظة في أحواله لهم.

(وخفتهم على دينك): لما يظهر له في طرائقهم مما ينكره ولا يكاد يقبله

(فاترك في أيديهم ما خافوك عليه): من الدنيا؛ لأنهم ربما كانوا يخشون تغييره في أمر الدولة لما يظهر في نفسه من الحيرة.

---

(1) يقال: فلان شديد الشكيمة إذا كان شديد النفس أنفاً أبيًّا. (مختار الصحاح ص345).

(2) كذا في النسختين ولعل الصواب: المدينة.

(3) المغني 54/2/20، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 255/8-256 ما لفظه: اعلم أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل، أن عثمان نفى أبا ذر أولاً إلى الشام ثم استقدمه إلى المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام. انتهى. ثم ذكر أصل الواقعة والسبب فيها وساق الأخبار والروايات الدالة على إخراج أبي ذر رضي الله عنه بالكره منه، انظرها فيه من ص 256-262.

(واهرب منهم بما خفتهم عليه): من أمر الدين؛ لأنه كان إذا رأى ما لايعجبه من طريقة أحد من الصحابة أنكر عليه ذلك، واشتد إنكاره عليه، وأغلظ له في أمره ونهيه.

(فما أحوجهم إلى ما منعتهم): أراد أن الذي منعتهم منه هو من أمورالدين، والذي يجب اتباعه ولايجوزلهم المخالفة له.

(وأغناك عمَّا منعوك!): من الدنيا؛ لأنهم ما أرادوا إلا إبعاده؛ ليتسق لهم أمرهم من غير معارض ولا ممانع.

(وستعلم(1) من الرابح غداً): الفائز بالثواب من عند الله غداً يعني يوم القيامة.

(والأكثر حسداً): الحسد لا يكون في مؤمن، وأراد بالحسد ها هنا الغبطة لأنها محمودة، والحسد مذموم، أي أنه يكثر من يغبطه على ما حاز من أمر الدين، وعلى علو مرتبته عند الله يوم القيامة بالديانة والصحبة للرسول.

(ولو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد؛ ثم اتقى [الله(2)] لجعل الله له منهما مخرجاً): هذا بعينه حديث مرفوع إلى الرسول عليه السلام استعمله في كلامه ها هنا، ومصداق هذا الحديث قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}[الطلاق:2] الرتق: السد، وهو مصدر من رتق يرتق رتقاً، ولهذا تركت تثنيته لما كان مصدراً، وترك تأنيثه أيضاً لذلك.

(لا يؤنسك إلا الحق): أي لا تأنس إلا بالحق فتعمل به؛ لأن من أنس بالشيء خالطه ولم ينفر عنه طبعه.

(ولا يوحشك إلا الباطل): أي لا تستوحش إلا منه فتترك العمل به؛ لأن كل من استوحش من شيء نفر عنه ولم يخالطه.

(فلو قبلت(3) دنياهم): أخذت ما أعطوك منها، وسهلت الأمر عليهم في أحوال الدين.

(لأحبوك): أرادوك وقرَّبوك، وأدنوك منهم.

---

(1) في (ب): وسيعلم.

(2) زيادة في النهج وفي (ب).

(3) في (أ): أقبلت.

(ولو قرضت منها شيئاً): أخذت على جهة القرض، والعزم على الرد من غير خيانة.
(لأمنوك): على إعطاء ما شئت من ذلك(1).
وحكي عنه أنه قال: اختلفت أنا ومعاوية في آية الكنز(2)، فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك، فكتب إليَّ عثمان: أن اقدم عليَّ فقدمت عليه(3)، فانثال الناس عليَّ كأنهم لم يعرفوني، فقال: انزل حيث شئت، فنزلت الربذة(4)، فكان متصلباً(5) في الدين كما ترى، فمن أجل هذا نفرت طباعهم عنه، فأوحشوه من أجل ذلك.

(122) ومن كلام له عليه السلام عتاباً لأصحابه
(أيها(6) النفوس المختلفة): في طباعها وطرائقها وأحوالها.
(والقلوب المتشتتة): في خواطرها وأنظارها وآرائها.
(الشاهدة أبدانهم): التي تشاهد الأشياء وتعلمها وتميز بينها.
(الغائبة عنهم قلوبهم(7)): لعدم انتفاعهم بها، ووعيها لما ينفعها من المواعظ والحكم، وقوله: (الشاهدة والغائبة) من الطباق المحمود في أنواع البديع من علوم البيان، وهو ذكر الضدين جميعاً.

---

(1) قوله: من ذلك، سقط من (ب).
(2) في (أ): الكفر، وهو تحريف، وفي (ب) كما أثبته، وآية الكنز هي قوله: تعالى: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم}
(3) قوله: عليه، سقط من (ب).
(4) شرح ابن أبي الحديد 53/3 عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد، وانظر الجواب على ذلك فيه، وانظر المغني 55/2/20.
(5) في (ب): مصتلباً.
(6) في نسخة و في شرح النهج: أيتها.
(7) في نسخة و في شرح النهج: عقولهم.

(817/3)

ومن جيد ماقيل في المطابقة ما قاله بعض البلغاء: رب شبعان من النعم، غرثان من الكرم، فإن لم يرزق غنى(1)، لم يحرم تقوى، والمؤمن على خير من ربه، وفلاح من رشده، ترحِّب به الأرض، وتستبشر به السماء، ولن يساء إليه في بطنها، وقد أحسن على ظهرها.
فقوله: شبعان وغرثان، وذكر الإساءة والإحسان، من الطباق التي تحمد آثاره، ويعلو في فلك البلاغة

مجده وفخاره.

(أظأركم على الحق): بظاء بنقطة من أعلاها، أعطفكم عليه من قولهم: ظأرت الناقة أي عطفتها على [غير] (2) ولدها، وفي المثل: الطعن يظأره(3) على الصلح أي يعطفه، وروايته بالطاء بنقطة من أسفلها لحن لا وجه له.

(وأنتم تنفرون عنه): تباعدون عنه، من نفر عن الشيء إذا كرهه، وَبَعُدَ عن فعله.

(نفور المعزى(4) من وعوعة الأسد!): صوته، والوعوعة: صوت الذئب أيضاً، لأن المعزى أشد ما يكون نفارها عند(5) سماعها لصوته.

(هيهات أن أطلع بكم سرار العدل): أي بَعُدَ ذلك، والسرار هو: اختفاء القمر ليلة أو ليلتين في آخره، واستعاره ها هنا، أي أنه يبعد أني أظهر بكم ما خفي من العدل.

(أو(6) أقيم اعوجاج الحق): أي لستم أهلاً لذلك؛ بأن يكون الحق معوجاً فأقيمه بكم.

سؤال؛ الحق مستقيم، فكيف قال ها هنا: اعوجاج الحق، وهو لا يكون معوجاً؟

وجوابه؛ هو أن الأمر كما قلته من استحالة اعوجاج الحق، وإنما المقصود هو اتباع ما يخالف الحق من الباطل، فلهذا كان الحق معوجاً على معنى أنه لم يتبع وترك بالباطل واتباعه.

---

(1) في (أ): غثا.

(2) سقط من (ب).

(3) هكذا في النسخ، وفي أساس البلاغة ولسان العرب: يظأر بدون الهاء.

(4) في (ب): المعز.

(5) في (أ): عن.

(6) في (ب): وأقيم.

(818/3)

(اللَّهُمَّ، إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا): أراد الاستشهاد بعلم الله تعالى؛ لأنه أصدق ما يكون وأثبته، أي أنه لم يقع ما وقع منَّا من المحاربة، وطول المشاجرة بيننا وبين مخالفينا، وكثرة القتلى، وسائر الأحداث التي حدثت.

(منافسة في سلطان): رغبة في دولة أو اكتساب ولاية أوتقرير أُبَّهة.

(أوالتماس شيء من فضول الحطام): أو طلب شيء من فضلات الدنيا ولذاتها ونعيمها الزائل، وإنما سماها حطاماً؛ لزوالها ونفادها، أخذاً من الشيء الذاهب المنحطم.

(ولكن لنردَّ المعالم من دينك): إلى نصابها(1)، وتستقرفي قراراتها التي وضعتها لها، والمعالم: جمع

معلم، وهي قواعد الدين المعلومة، وأركانه المتحققة.

(ونظهر الإصلاح في بلادك): بإحياء السنن، وإقامة الواجبات كلها، وإظهار المعروف، وكف المنكرات.

(فيأمن المظلوم من عبادك): عن أن يكون أحد ظالماً له، ويأمن في سِربه(2) عن الأخذ والاستلاب ممن يكون قاهراً له.

(وتقام المعطَّلة من حدودك): تعطَّل الشيء إذا خلا وفرغ، قال الله تعالى: {وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ}[الحج:45] لهلاك أهلها وانقطاعهم، ومعنى تعطيل الحدود خلوها عن أحكامها الواجبة عليها، يقال: تعطَّل الرجل إذا كان لا شغل له.

(اللَّهُمَّ، إني أول من أناب): إليك بالإنابة والخشوع.

(وسمع): داعيك(3) إلى الحق.

(وأجاب): لم يلبث عن الإجابة ولا توقف عنها.

---

(1) في (ب): نصالها.

(2) السِّرب، بالكسر النفس، يقال: فلان آمن في سربه أي في نفسه. (مختار الصحاح ص293).

(3) في (أ): أداعيك.

(819/3)

(لم يسبقني إلا رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](1)بالصلاة): يشير بذلك إلى أنه عليه السلام أول من اعترف بالوحدانية، وصدَّق بالرسول؛ لأن الرسول عليه السلام بعث يوم الاثنين، وأسلم أمير المؤمنين يوم الثلاثاء(2)، فلهذا كان أول من شرح الله صدره للهداية، لم يشرك بالله طرفة عين، ولا وجَّه عبادته لغير الله.

(وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي(3) على الفروج): مستولياً على الفروج الحرائر والإماء، والعُدَد وسائر أحكامها.

(والدماء): في القتل بالحرب والقصاص والحدود.

(والمغانم): وهو ما كان بالقتال، وإيجاف(4) الخيل والركاب، والفيء وهو: ما كان من غيرقتال، ولا إيجاف الخيل ولا ركاب.

(والأحكام): الشرعية كالقضاء والآداب، والتعزيرات، وفصل الخصومات.

(وإقامة(5) المسلمين): القيام بأمورهم كلها من غزو الكفار، وتجييش الجيوش، وحفظ البيضة، فهذه الأمور كلها لا يتولاها:

(البخيل فتكون في أموالهم نهمته): لأنه إذا كان بخيلاً فلا تكون النهمة له إلا فيها؛ لأن أكثر نهمة البخيل إنما هو في الضِّنة بالأموال وادخارها.
(ولا الجاهل): أي ولا يتولاها الجاهل.
(فيضلهم بجهله): عن الطريق، ولأنه لا يأتي جاهل بخير، وما أحوج الإمام إلى البصيرة النافذة، والقدم الراسخة في العلوم.
(ولا الجافي): غليظ الطبع كثير الفظاظة.
(فيقطعهم بجفائه): لأن مع الجفاء تحصل المقاطعة لا محالة، وتكون الوحشة والانزواء.
(ولا الخايف للدول): ولا من تكون معه هيبة الملوك.
(فيتخذ قوماً): وهم الذين يخاف من جهتهم السطوة.

---

(1) زيادة في النهج.
(2) سبق تخريج حديث أن أمير المؤمنين عليه السلام أول من أسلم، واليوم الذي أسلم فيه كما ذكره المؤلف عليه السلام هنا.
(3) الوالي، زيادة في النهج.
(4) في (ب): وإلحاق.
(5) في شرح النهج: وإمامة.

(820/3)

(دون قوم): وهم الذين لايخاف من جهتهم نكاية، وفي ذلك حصول الحيف والميل من جهته.
(ولا المرتشي بالحكم(1)): وهو الذي يأخذ الرشوة في الحكم، سواء كان حاكماً بالحق أو بالباطل.
(فيذهب بالحقوق(2)): يفسدها ويبطلها؛ لأنه إذا كان مرتشياً أذهب الحقوق وأبطلها.
(ويقف بها دون المقاطع): مقطع الشيء: غايته التي ينتهي إليها، وأراد أنه يكون منقطعاً دون الغاية التي هي له، ومن كمال أمره.
(ولا المعطِّل للسنة): إما الجاهل بها؛ لأنه عطل نفسه عن(3) العلم بها، وإما التارك للعمل بها مع كونه عالماً بها، فكل ذلك يكون تعطيلاً.
(فيهلك الأمة): لأنه إذا كان جاهلاً بالسنة؛ فإنه يحمل الأمة على البدع والضلالات؛ فيكون ذلك سبباً للهلاك في(4) أمر الدين؛ بإتيان البدع واستعمالها.

(123) ومن كلام(5) له عليه السلام يذكر فيه الموت وحاله

(نحمده على ما أخذ وأعطى): فإعطاؤه ما كان من النعم العظيمة من العافية والأموال والأولاد وغير ذلك، وأخذه ما كان من إماتة الأولاد، ونقص الأموال والثمرات.

(وعلى ما أبلى): من عوارف الإحسان، يقال: أبليته معروفاً إذا أسديته إليه.

(وابتلى): امتحن بضروب من الامتحانات، يقال: ابتلاه بكذا إذا اختبره وامتحنه.

(الباطن لكل خفية): العالم لها(6) والمحيط بأمرها، يقال: بطنت هذا الأمر إذا عرفت باطنه.

(الحاضر لكل سريرة): المشاهد لها، والرقيب عليها.

(العالم بما تكنّ الصدور): أي تستره من المعتقدات، والكنُّ: الستر، قال الله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً}[النحل:81].

---

(1) في النهج: في الحكم.

(2) في (أ): الحقوق.

(3) في (أ): عند.

(4) في (ب): وأمر.

(5) في نسخة وفي شرح النهج: ومن خطبة.

(6) في (ب): بها.

(821/3)

(وما تخون العيون): خيانة العين(1): مسارقتها بألحاظها، قال الله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ}[غافر:19].

(ونشهد أن لا إله غيره): أي لامستحق للعبادة(2) والإلهية إلا هو.

(وأن محمداً نجيبه): النجابة: الكرم، والنجيب هو: الكريم في كل أحواله.

(وبعيثه [شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان](3)): المبعوث من جهته بالأسرار الحكمية، واللطائف المصلحية.

(إنه(4) والله): الضمير للشأن ها هنا؛ أي أن الشأن فيما نحن فيه:

(الجدُّ): والجدُّ مصدر من جدَّ في أمره يجدُّ جدّاً، ومنه قولهم: أجدُّك لا تفعل كذا.

(لا اللعب): عطف عليه.

(والحق): أراد إما نقيض الباطل، وإما الصدق.

(لا الكذب): عطف عليه.

(وما هو إلا الموت): الضمير للشأن أيضاً، وإنما كرر ضمير الشأن والقصة(5) ها هنا إعظاماً

للأمر وتهويلاً له ومبالغة في عظم شأنه، كما فعل الله تعالى في ذكرالقيامة، كقوله تعالى:{الْحَاقَّةُ، مَا الْحَاقَّةُ}[الحاقة:1-2]، {الْقَارِعَةُ، مَا الْقَارِعَةُ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ}[القارعة:1-3]، وغير ذلك من المواضع، وكقوله:

ما أرى الموت يسبقُ الموتَ شيءٌ(6)

نغَّص الموتُ ذا الغنى والفقيرا(7)

(أسمع داعيه): فيه وجهان:

---

(1) في (ب): العيون.

(2) في (أ): العبادة.

(3) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(4) في النهج: فإنه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(5) في (ب): في القصة.

(6) في (ب): لكن.

(7) لسان العرب 680/3 وقال في نسبته: وأنشد الأخفش لعدي بن زيد، وقيل: هو لسوادة بن زيد بن عدي، ثم ذكر البيت، وقوله هنا: (شيء)، في اللسان: (شيئاً).

(822/3)

أحدهما: أن يكون داعيه مرفوعاً على الفاعليه لأسمع، أي صار داعيه ذا إسماع(1) لمن دعاه.

وثانيهما: أن يكون منصوباً على المفعولية، أي أسمع الموت من دعاه.

(وأعجل حاديه): الحادي هو: الذي يسوق الإبل ويحدو بها، ويكون إما مرفوعاً أي صار حاديه ذا عجل، وإما منصوباًعلى أنه مفعول، أي أن الموت أعجل حاديه، وأزعجه في السوق.

(فلا يغرنَّك سواد الناس من نفسك): أي لاتغتر بكثر تهم عليك، فيكون ذلك سبباًلجهلك بحال(2) نفسك، وإما لاتغتر(3) بسوادهم عليك فيشغلوك عن المقصود الأهم من دينك، وإما لاتشتغل بأمورهم وأحوالهم فيشغلوك عما يخص نفسك.

(وقدرأيت من كان قبلك): من الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(ممن جمع المال): من حلِّه وغير حلِّه وكنزه(4).

(وحذر الإقلال): وكان من الإقلال على وَجَلٍ وخوف منه.

(كيف نزل به الموت): على حالة عظيمة لا يمكن وصفها.

(فأزعجه): الإزعاج هو: السوق بشدة.

(عن وطنه): الذي هو مستقره، وموضع راحته.

(وأخذه): على غفلة، كقوله تعالى: {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً}[الحاقة:10].

(من مأمنه): موضع أمانه الذي يستقر فيه خاطره، كما قال تعالى: {أَبْلِغْهُ(5) مَأْمَنَهُ}[التوبة:6].

(أَمِنَ العواقب):جمع عاقبة، وهي: التي تعقب من مكاره الدهر وفجائعه.

(طول أمل): أي أَمِنَهَا من أجل طول أمله، وانتصابه على المفعول من أجله.

(واستبعاد أجل): أي وأمنه(6) لها من أجل ما يستبعد من أجله.

(كيف(7) نزل به الموت محمولاً): حال من قوله: نزل به الموت.

---

(1) في (ب): سماع.

(2) في (أ): بحالك.

(3) في (ب): لاتكثر.

(4) في (أ): وكثره.

(5) في (أ): فأبلغه.

(6) في (أ): ومنه، والصواب كما أثبته وكما هو في (ب).

(7) قوله: كيف سقط من (أ).

(823/3)

(على أعواد المنايا): وهي الأسرَّة والنُّعوش.

(يتعاطى به الرجال الرجال(1)): أي يقومون به، من قوله: {فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}[القمر:29] أي قام على أصابع رجليه ثم رفع يده فضربها.

(حملاً على المناكب): جمع مَنْكِب، وهو: مجمع الكتف بمنزلة المنسج من الفرس.

(وإمساكاً بالأنامل): أي يشدونه لئلا يذهب من فوقهم، وكنى بذلك عن زوال القوة والتصرف، فلا يستطيع شيئاً من ذلك.

(أما رأيتم الذين يأملون بعيداً): أي من كانت آمالهم طامحة بعيدة لا ينالونها(2) لبعدها.

(ويبنون مشيداً): أي يزخرفون القصور المشيدة، والأبنية العالية الرفيعة.

(ويجمعون كثيراً): أي(3) معايش الأموال وكثيرها.

(أصبحت بيوتهم قبوراً): أي صارت خراباً أجداثاً بمنزلة القبور.

(وما جمعوا بوراً): أي هالكاً(4)، والبور هو: الرجل الهالك الذي لا خير فيه، قال الله تعالى: {وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً}[الفتح:12] أي هلكى وهو جمع بائر مثل حائل وحُول.

وحكى الأخفش: أنه لغة وليس جمعاً لبائر، وهذا جيد لأن فاعل صفة لا(5) يجمع على فعل، قال عبد الله بن الزبعرى(6):

يا رسولَ المليكِ إنَّ لساني

____

(1) قوله: الرجال، الثانية سقط من (ب).

(2) في (ب): لا ينالوها.

(3) قوله: أي، زيادة في (ب)، وقوله هنا: معايش، في نسخة أخرى: نفائس..

(4) في (أ): هالك.

(5) في (ب): لم.

(6) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد، المتوفى نحو سنة 15هـ، شاعر قريش في الجاهلية، كان شديداً على المسلمين إلى أن فتحت مكة فهرب إلى نجران ثم عاد إلى مكة فأسلم، ومدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمر له بحلة (الأعلام4/87).

(824/3)

راتقٌ ما فتقت إذ أنا بور(1)

(وصارت أموالهم للوارثين): أي للذين ورثوهم من بعد موتهم من أقاربهم.

(وأزواجهم لقوم آخرين): نكحت بعدهم، وخلفوا عليها.

(لا في حسنة يزيدون): لانقطاع ذلك بالموت، وفي الحديث: ((إذا مات ابن آدم انقطع عنه سائر عمله)).

(ولا من سيئة يستعتبون): استعتبته أي طلبت(2) رضاه.

(فمن أشعر قلبه التقوى(3)): خوف الله ومراقبته في جميع أحواله.

(برز مهله): أي ظهر انتظاره الموت واستعدَّ لهجومه عليه، من الاستمهال: وهو الانتظار.

(وفاز عمله): الفوز: الظفر والنجاة؛ أي نجا بعمله وظفر بجزائه.

(فاهتبلوا هَبَلَها): الضمير للتقوى المذكور أولاً، وأراد فاغتنموا غنمها(4).

(واعملوا للجنة عملها): الذي يحق لها ويكون صالحاً؛ لأن تكون جزاءً له.

(فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام): لتسكنوا فيها، وتقيمون(5) عليها.

(بل خلقت مجازاً): المجاز مفعل وهو ها هنا إما مصدر، أي خلقت من أجل تغريبكم(6) عنها، وإما مكان أي خلقت مكاناً تجوزون منه إلى الآخرة.
(لتزوَّدوا منها الأعمال): لتأخذوا في زمانها ما ينجيكم من الأعمال الصالحة.
(إلى دارالقرار): وهي الجنة؛ لأنها موضع لا ينتقل عنه.

---

(1) في النسختين: بورا، وأصلحته من سيرة ابن هشام 39/4. وبعد البيت في سيرة ابن هشام:
إذ أباري الشيطان في سنن الغ

ي ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربّي

ثم قلبي الشهيد أنت النذير

إنني عنك زاجر ثَمَّ حياً
ذ

من لؤيّ وكلهم مغرور

(2) في (ب): استعتبه أي طلب.
(3) في (ب): و في شرح النهج: فمن أشعر التقوى قلبه.
(4) في (أ): غنيمها.
(5) هكذا في النسخ بإثبات النون، ولعل الصواب: وتقيموا.
(6) أي نفيكم.

(فكونوا منها على أوفاز): الوفز: العجلة، والجمع أوفاز، قال الراجز:
أسوقُ عِيْراً مائل الجِهَازِ

صعباً يُنَزِّيني على أَوْفَازِ(1)

(وقربوا الظهور للزيال): للانتقال عنها، وأراد بتقريب الظهور، سرعة الانتقال عنها، والظهر(2): الركاب الذي ينقل عليه الأثقال.

فانظر هذه الخطبة كيف اشتملت على جزل اللفظ ورقيقه، وبديع المعنى وغريبه، وهو باب من علوم البيان، أعني جزالة اللفظ لا يشق غباره، ولا تحصى محامده وآثاره، وأكثر القرآن مختص بما ذكرناه، ومنه قوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}[البقرة:179]، وقوله تعالى: {وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ}[البقرة:194]، وقوله: {فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ}[البقرة:193].

ومن أحسن ماقيل في الجزالة قول بشار(3):

إذا ما غَضِبْنَا غضبةً مُضريَّةً

هتكنا حجابَ الشمس أومطرت دما

إذاما أعزي سيداً من قبيلةٍ

ذرا منبرٍ صلَّى علينا وسلَّما

(124) ومن خطبة له عليه السلام

---

(1) لسان العرب 958/3 بدون نسبة إلى قائله، والنز: الكثير التحرك، وناقة نزة: خفيفة، وبعير نز خفيف، والنزاز بالكسر: المنازعة والمنافسة، والوفز جمع أوفاز: العجلة (انظر القاموس المحيط).

(2) في (أ): والظهور.

(3) هو بشار بن برد العقيلي بالولاء، أبو معاذ [95-167هـ]: أشهر المولدين على الإطلاق، نشأ في البصرة، وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وكان ضريراً، وشعره كثير متفرق، من الطبقة الأولى، جُمِعَ بعضه في ديوان طبع في ثلاثة أجزاء (الأعلام 52/2).

(826/3)

(وانقادت له الدنيا والآخرة بأزمتها): يريد إما انقاد من فيهما لعزته بالخضوع والذلة، وإما أن يكون الانقياد كناية عن نفوذ الأمروسرعة الإجابة، كما قال تعالى: {ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهاً}[فصلت:11].

(وقذفت إليه السماوات والأرضون مقاليدها): أي بمقاليد خزائنها، والمقاليد جمع مقلاد وهو: المفتاح.
(وسجدت له بالغدو والآصال الأشجار الناضرة): الغدو هو: أول النهار، والآصال: جمع أصيل وهو: ما بين العصر إلى غروب الشمس، والنضارة هي: الحسن، وأراد بالسجود للأشجار، إما نفوذ الأمر فيها وانقيادها لأمره بمنزلة من يسجد خضوعاً وتذللاً، وإما أن يريد بسجودها هو تحركها(1) وميلانها عند هبوب الريح بكرة وعشياً.
(وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة): القدح هو: ظهور النار من العيدان، والقضبان: جمع قضيب وهوالشمراخ، وهذا من باهرالقدرة وعجيبها، الجمع بين النار والماء في هذه الأعواد كلها، كما قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ}[يس:80].
(وآتت أُكُلَها بكلماته الثمار اليانعة): الأُكُلُ بالضم مايؤكل، كما قال تعالى: {تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ}[إبراهيم:25] وأراد بكلماته؛ إما بأوامره، وإما بأسمائه التامة الحسنة.
(وكتاب الله بين أظهركم): يقال: هو نازل بين ظهريهم، وظهرانيهم بفتح النون، ولا يقال بكسرها، وفيه وجهان:
أحدهما: أن يريد أنكم لاتعملون بأحكامه، ولا تعولون عليه أخذاً من قوله تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ}[آل عمران:187].
وثانيهما: أن يريد أنه غائب عنكم لا ترونه، بمنزلة ما يكون على الظهر، فأنتم لا ترون له حقاً لغيبته عنكم.

---

(1) في (ب): تحريكها.

(827/3)

(ناطق لا يعيا لسانه): عيَّ في منطقه إذا لم يبين كلامه، وعيَّ في أمره إذا لم يهتد لوجهه، وفي المثل: هو أعيا من باقل(1).
(وبيت لا تهدم أركانه): جوانبه، والتهديم: التخريب.
(وعز لاتهزم أعوانه): الأعوان جمع عون(2)، وأراد أن كل من كان القرآن في صفِّه فإنه لا يهزم(3) ولا ينكسر.
(أرسله على حين فترة من الرسل): يحكى أن الفترة التي كانت بين آدم ونوح ألفان ومائتان وأربعون سنة، ومن نوح إلى إبراهيم أربعمائة وست وثمانون سنة، ومن إبراهيم إلى موسى أربعمائة وست وثلاثون سنة، ومن موسى إلى عيسى ألف وسبعمائة وثلاث وسبعون سنة، وقد تقدمت رواية غير هذه في حال عيسى وموسى، وكان عمر آدم عليه السلام تسعمائة وثلاثين سنة، وعمر نو ح

ألف(4) وأربعمائة وخمسين سنة، وعمر إبراهيم مائة وخمسة وخمسين سنة، وعمر موسى مائة وستة وعشرين سنة، وعمرعيسى إلى أن رفعه الله ثلاثة وستين سنة، وعمر نبينا صلى الله عليه وآله ثلاثاً وستين سنة(5).

---

(1) باقل هو اسم رجل من العرب، وكان اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له: بكم اشتريته، ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه، يشير بذلك إلى أحد عشر، فانفلت الظبي، فضربوا به المثل في العي. (مختار الصحاح ص60).

(2) في (أ): أعوان وهو تحريف.

(3) في (أ): يهدم.

(4) في (ب): ألف سنة و....إلخ.

(5) اختلفت الروايات في تحديد الفترة التي كانت بين الأنبياء عليهم سلام الله، وكذلك في مدة أعمارهم، منها: ما أورده المؤلف هنا، ومنها ما أورده الإمام أبو العباس في المصابيح ص153.152 حيث أورد فيه خبرين تحت الرقم (41) و (42) وهما يختلفان في تحديد تلك الفترة المشار إليها هنا (انظر المصابيح).

(828/3)

(وتنازع من الألسن): أراد إما اختلاف الشرائع؛ لأن كل شريعة إنما تكون بلسان ذلك النبي المرسل إلى قومه، كما قال: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ}[إبراهيم:4] ليفهموا عنه ما يقول لهم، وإما أن يكون مراده اختلاف(1) اللغات، واختلافها في الفصاحة والبلاغة، فكان القرآن هو الغاية والنهاية.

(قفّى(2) به الرسل): أي ختم به الرسالة، وجعله منتهاها وغايتها.

(وختم به الوحي): فلا يكون وحي بعده.

(فجاهد في الله حق جهاده): الاجتهاد الذي يكون منه رضاءً له، وهوتدمير أعدائه وإظهار دينه، كما قال تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ}[الحج:78].

(المدبرين عنه): المخالفين لدينه، والمتولين عن أوامره.

(والعادلين به): إلى غيره، إما إلى شريعة أخرى كأهل الكتابين من اليهود والنصارى، وإما إلى غير شريعة ولا كتاب نحو مشركي العرب وسائر المرتدين.

(وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى): أي(3) هي غايته وقصاراه.

(لا يبصر من(4) ورائها شيئاً): أي لا يلتفت إلى الآخرة، ولا يرعيها طرفاً.

(والبصير(5) ينفذها بصره): أي يجاوزها إلى الآخرة، ولا يكون معرجاً عليها.

(ويعلم أن الدار وراءها): التي ينبغي التعويل عليها، والتي هي الدار على الحقيقة.

(فالبصير منها شاخص): أي خارج، من قولهم: شخص بصر(6) من الدار إذا خرج عنها، ومن ها هنا لابتداء الغاية.

(والأعمى إليها شاخص): أي خارج، أي هي غايته فلا يشخص إلا إليها لا غير.

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: اختلاط.

(2) في نسخة وشرح النهج: فقفى.

(3) قوله: أي زيادة في (ب).

(4) في نسخة و في شرح النهج: مما.

(5) في (أ): والبصيرة.

(6) بصر، زيادة من (ب).

(829/3)

(والبصير منها متزود): أي المستبصر في أمر دينه متزود منها الأعمال الصالحة، ويرجو المتاجر الرابحة.

(والأعمى لها متزود): أي أنه لا يظعن إلا(1) إليها فزاده لا يتجاوزها، بل إنما يكون عاملاً لها لا غير، وهذا من ضد الطباق، ومن رشيقه، حيث ذكر البصير والأعمى، وألحق بكل واحد منهما(2) ما يليق به من معانيه التي تصلح فيه.

(واعلموا أنه ليس من(3) شيء إلا ويكاد صاحبه يملُّ منه(4)): تلحقه منه سآمة، وملالة ويشبع منه.

(إلا الحياة): فإنها من بين سائر الأشياء المشتهاة، والأمور اللذيذة لا تمل أبداً.

(فإنه لا يجد له في الموت راحة): لانقطاع سائر المنافع واللذات عنه.

(وإنما ذلك بمنزلة الحكمة): إنما هذه تفيد الحصر حيث وجدت(5)، كما قال تعالى: {إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ}[طه:98] لأن المعنى ما إلهكم إلا الله، وذلك إشارة إلى القرآن المتقدم ذكره في أول كلامه، وإنما أتى باللفظ المستعمل في الإشارة لما كان بعيداً، لما تقضَّى تنبه(6) ذكره، والمتقضي(7) في حكم البعيد، وذلك مبتدأ، وقوله: بمنزلة الحكمة خبره(8)، ومعناه: وإنما القرآن بمنزلة الحكمة:

(التي هي حياة للقلب الميت): الغافل عن الموعظة، كما قال تعالى: {شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ}[يونس:57].

(وبصر للعين العمياء): التي ليس لها نظر إلى الآخرة فهي بمنزلة العين العمياء.

(وسمع للأذن الصماء): التي لا تصغي إلى ما ينفعها من المواعظ والآداب والحكم.

---

(1) قوله: إلا سقط من (أ).

(2) في (أ): منها.

(3) قوله: من سقط من (أ).

(4) في النهج: إلا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله.

(5) في (أ): وجد.

(6) في (أ): لما يقضي تنبه، وقوله: تنبه، سقط من (ب).

(7) في (أ): والمتقصر.

(8) في (أ): خبر.

(830/3)

(وري للظمآن): العاطش.

(وفيها الغنى كله): الضمير للحكمة، أي أن فيها منافع الدين والدنيا، فلا يفتقر معها(1) إلى شيء سواها.

(والسلامة): عن أخطار الدين والدنيا؛ لأن مع الحكمة تقع السلامة عن ذلك.

(كتاب الله [تبصرون به](2)): أي هو كتاب الله، أو يكون بدلاً من اسم الإشارة، ويجوز نصبه مفعولاً لتبصرون.

(وبه تنطقون(3)): أي تتكلمون بما يكون مطابقاً له.

(وتسمعون به): أي ولا يكون حقيقاً بالاستماع من كلامكم كله إلا ما كان موافقاً له.

(وينطق بعضه ببعض): في الصدق في جميع ما تضمنه، أو يكون مراده وينطق بعضه ببعض في الصحة، وعدم المناقضة والفساد، كما قال تعالى: {لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ}[فصلت:42].

(ويشهد بعضه علىبعض): في تأييد الأحكام وتقريراتها من أن يعتريها(4) نقص، أو يرتمى إليه خلف ومدافعة.

(ولا يختلف في الله): إما أن يريد نفي اختلافه فيما يكون منه دلالة على ذات الله كنفي الرؤية واستحالتها على الله تعالى، وإثبات الوحدانية له، وغير ذلك مما يكون مستنده الشرع من الإلهيات، وإما أن يريد به(5) نفي اختلافه فيما أخبر به عن الله من العلوم الغيبية، من القصص وسائر

الأخبار التي تضمنها.

---

(1) في (أ): فيها.
(2) سقط من (أ).
(3) في النهج: وتنطقون به.
(4) في (ب): من غير أن يعتريها.
(5) به، زيادة في (ب).

(831/3)

(ولا يخالف بصاحبه عن الله): أي مهما كان الاعتماد على القرآن للإنسان في كل أحواله فإنه لا يخالف، ولا يكون مجاوزاً لمقصود الله تعالى ومراده منه، وقد ورد عن الرسول ما يطابق ما قاله ها هنا في القرآن، كقوله: ((هو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل))(1).

(قد اصطلحتم على الغل): ما يكون في الصدورمن الأحقاد، وأراد أن أحوالهم جميعاً قد استوت على أن كل واحد منهم في قلبه حقد وغل على صاحبه، وهو لايحكم على قلبه ولا يرى له أثر على وجهه.

(فيما بينكم): في خاصة(2) نفوسكم وذواتها.

(ونبت المرعى على دِمَنِكم): الدِّمَنُ جمع دِمْنَة، وهي: الحقد، وجعل نبات المرعى كناية عن دوامها، وثبوتها في أحوالكم.

(وتصافيتم على حبِّ الآمال): المصافاة مفاعلة، وأراد(3) أن كل واحد منكم ودَّه لأخيه لأجل كثرة آماله وبُعْدها، أو أراد الموافقة، أي أنكم اتفقتم على الآمال الطويلة، والإعراض عن الآجال وقربها.

(وتعاديتم في كسب الأموال): أي أن كل واحد منكم يحسد أخاه على ما وصل إليه من رزق الله، حتى صار ذلك سبباً للمعاداة منكم، وحصول البغضاء فيكم.

(لقد استهام(4) بكم الخبيث): ذهب بكم الشيطان مذاهبه الردية، من قولهم: هام إذا ذهب.

---

(1) أخرجه من حديث عن أبي سعيد الخدري الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية الحديث رقم (5) ص 18-19، وقوله: ((من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل)) أخرجه الترمذي في سننه 172/5 من حديث عن الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين عليعليه السلام، والدارمي في سننه 526/2، والبزار في مسنده 72/3.

(2) في (ب): وخاصة.

(3) الواو في قوله: وأراد سقط من (ب).

(4) في (أ): استهامكم.

(832/3)

(وتاه بكم العدو(1)): أراد حيَّركم في المهالك.

(والله المستعان على نفسي): دفع شرنفسي.

(وأنفسكم): دفع(2) شر أنفسكم.

وليس يخفى ما تضمنته هذه الخطبة من الاستطرادات العجيبة، فبيناه يتكلم في حال السماء، إذ(3) خرج إلى حال القرآن، إذ خرج إلى وصف الرسول، إذ خرج إلى حال الدنيا.

(125) ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في الخروج إلى الروم

(وقد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة): صار معتمداً لأهل الإسلام يلجأون إليه في كل ما نابهم من الشدائد، من قولهم: اتكلت على رأي فلان أي اعتمده، والحوزة: الناحية، وحوزة الملك بيضته أي بإعزاز جانبهم وحماية(4) خططهم.

(وستر العورة): العورة من الرجل والمرأة: سوآتهما، والعورة: كل خلل(5) يتخوف منه في ثغر أو حرب، وهذا هو مراده ها هنا.

(والذي نصرهم، وهم قليل لا ينتصرون): لأجل قلة عددهم فهم لا يمتنعون من(6) كل أحد.

(ومنعهم): عن الأعداء.

(وهم قليل): أي عددهم قليل.

(لا يمتنعون): من أجله.

(حي): مرفوع على أنه خبر عن الذي في أول كلامه(7).

(لا يموت): يستحيل عروض الموت على حياته؛ لأنها حاصلة للذات فلا يتغير بحال.

(وإنك): خطاب لعمر.

(متى تسر إلى العدو بنفسك): بذاتك من غير استخلاف غيرك.

(فتلقهم(8)): الضمير لمن يقصدونه من الكفار.

(فتنكب): فيصيبك نكبة، وهما مجزومان عطفاً على فعل الشرط، وهو تسر.

(لا تكن للمسلمين): وهو جواب الشرط.

---

(1) في النهج: الغرور.

(2) في (ب): أي دفع...إلخ.

(3) في (أ): إذا.

(4) في (ب): وحمآءة.

(5) في (ب): حال.

(6) في (ب): عن.

(7) في (أ): الكلام.

(8) في النهج: فتلقهم.

(833/3)

(كانفة): كنفت الشيء أكنفه إذا حطته ومنعته(1)، والكانفة إما مصدر بمعنى الكنف كالكاذبة بمعنىالكذب، وإما أن تكون صفة أي حالة كانفة.

(دون أقصى بلادهم): أراد أنه هوالغاية للمسلمين والنهاية، فإذا هزموه لم يستقتلوا نفوسهم إلا بالوصول إلى بلادهم، ولا يكون لهم عز ومنعة(2) دونها.

(ليس بعدك مرجع): أي بعد خروجك مستند يلوذ به المسلمون إذا نابتهم نائبة.

(يرجعون إليه): يكون غاية لهم.

(فابعث إليهم رجلاً مجرباً): له تجربة وحنكة في الحروب، وتقدم فيها، أو (محرباً) بالحاء المهملة، والمحرب: كثير المعاودة في الحرب، والمعالجة لأحوالها، والجيم هو سماعنا.

(وأحفز إليه(3)): عجِّل إلى نصرته.

(أهل البلاء): إما أهل الاختبار [والتجارب](4) في الأمور، وإما أن يريد أهل الامتحان والصبر على الشدائد.

(والنصيحة): له ولك.

(فإن أظهرالله): عليهم بالنصر وأعانهم.

(فذاك ما تحب): من الأمور التي أردتها وقصدتها.

(وإن تكون الأخرى): بأن الدايرة عليكم.

(كنت ردءاً للناس): عوناً لهم يلجأون إليه، كما قال تعالى: {فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي}[القصص:34].

(ومثابة للمسلمين): يرجعون إليك، قال تعالى: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ}[البقرة:125] أي يرجعون إليه من أجل تعظيمه بالحج والاعتمار.

(1) في (أ): وبلغته.
(2) في (أ): ولا يكون لهم عدو دونها، وفي (ب): ولا يكون لهم عز وقلعة دونها، وما أثبته من نسخة أخرى.
(3) في النهج: معه.
(4) سقط من (ب).

(834/3)

---

(126) ومن كلام له [عليه السلام](1) يخاطب به المغيرة بن الأخنس(2)
وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة: أنا أكفيكه، فقال له أمير المؤمنين(3):

(1) سقط من (ب).
(2) هو المغيرة بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، المتوفى سنة 35هـ، حليف بني زهرة، كان أبوه الأخنس بن شريق من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلهم في المؤلفة قلوبهم الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة من الإبل من غنائم حنين يتألف بها قلبه، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنينعليه السلام يوم أحد كافراً، وهو أخو المغيرة هذا (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 301/8).
(3) في شرح النهج: وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة، فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة ...إلخ .

(835/3)

(يا ابن اللعين الأبتر): المغيرة هذا هو ولد الأخنس بن شريق، وهو أحد المقتسمين الذين حكاهم الله تعالى في قوله: {كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ}[الحجر:90]، وهم اثنا عشر رجلاً من أسنان قريش ورؤسائها(1)، وهو أنهم اقتسموا مداخل مكة وطرقها، فقعد كل واحد منهم(2) في طريق من طرقها، ينفِّرون الناس عن التصديق برسول الله، وبهتاً له بأنه ساحر، ويقول بعضهم: إنه(3) كذاب، وآخرون إنه شاعر، إلى غير ذلك من التقولات الكاذبة(4)، فأما المستهزئون فهم خمسة نفر: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن

الطلاطلة(5).

وأراد بابن اللعين(6) المطرود عن رحمة الله تعالى، وإنما وصفه بالبتر؛ لأن كل أحد(7) انقطع من الخير أثره فهو أبتر، ولا انقطاع أبلغ من انقطاعه من ثواب الله تعالى وخيره.

(والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع): شجرة الإنسان: قبيلته التي يعتزي إليها، وأراد أنه لاأصل لها(8) فيعرف، ولا فرع لها(9) فيثمر ويورق، كما قال تعالى: {كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ}[إبراهيم:26].

(أنت تكفيني؟): استفهام على جهة التوبيخ والتقريع وروده، وأراد أنه ليس كفواً له ولا مثله يقوم لمثله، وهيهات أين فتيت المسك عن الرغام!، وشتان ما بين أخمص القدم وذروة السنام!.

---

(1) في (أ): ورؤساً لها.

(2) قوله: منهم سقط من (أ).

(3) في (ب): بأنه.

(4) الكشاف 551/2، وانظر سيرة ابن هشام 172/1-173.

(5) الكشاف 552/2، وانظر سيرة ابن هشام 44/2 تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(6) في (ب): باللعين.

(7) في (ب): واحد.

(8) في (أ): له.

(9) قوله: لها سقط من (أ).

(836/3)

(فوالله ما أعز الله من أنت ناصره): أراد أنه ذليل فلا يعتز(1) من كان ناصراً له.

(ولا قام): من عثاره وكبوته.

(من أنت ناهضه(2)): مقيم له عن(3) عثاره، وهذا هو النهاية في ذله وهوانه.

([اخرج عنَّا](4) أبعد الله نواك): فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون مهموزاً(5) والنوء: المطر، وأراد أبعد الله نجم مطرك، وهو كناية عن إذهاب خيره وإعدامه.

وثانيهما: نواك من غير همز(6) وهو سماعنا في الكتاب، وأراد بالنوى ما ينويه المسافر في سفره من قُرْبٍ وَبُعْدٍ.

(ثم ابلغ جُهدك): بضم الجيم(7) وفتحها: الطاقة، وقيل: الجهد بالضم هو الاسم، وبالفتح المصدر

من جَهَدَ يَجْهِدُ جَهْداً، وأراد أبلغ حيث يمكن طاقتك.

(فلا أبقى(8) الله عليك): دعاء عليه، أي لا أبقى(9) الله عليك شيئاً من الخير.

(إن أبقيت!): شيئاً مما تطيقه وتبلغ جهدك فيه.

(127) [ومن كلام له عليه السلام](10)

ثم خاطب أصحابه في حكم البيعة وأمرها، بقوله:

---

(1) في (ب): فلا يغير، ولعله تصحيف.

(2) في شرح النهج: منهضه.

(3) في (ب): من.

(4) زيادة في (ب). و في شرح النهج.

(5) أي نوءك.

(6) في (أ): من غير هم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في(ب).

(7) في (أ): الميم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في (ب).

(8) في (أ) أبقاه، وفي (ب) و في شرح النهج: فلا أبقى، كما أثبته.

(9) في (ب): بقي.

(10) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(837/3)

(لم تكن بيعتكم إياي فلتة): يشير بذلك إلى كلام لعمر قاله في خلافة أبي بكر قال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة من عاد إلى مثلها فاقتلوه(1)، أراد أنها ما كانت هكذا، والفلتة: الفجأة، بل إنما صدرت عن تدبُّر وتفكُّر، ورضا المعتبرين من جُلّة الصحابة وأكابرهم.

(وليس أمري وأمركم واحداً): ليس الأهواء متفقة، ولا الخواطر ملتئمة.

(إني أريدكم لله): عوناً(2) على ما أريد به وجه الله من الدعاء إلى الله وأمر بمعروف أو نهي عن منكر، وإقامة حدود الله.

(وأنتم تريدونني لأنفسكم): لأخذ الأموال والتنعم بها في الدنيا، وأكل الطيبات واستعمالها.

(أيها الناس، أعينوني على أنفسكم): بالانقياد لأمري، وترك المخالفة لي فيما أمرت به، ففي ذلك رضوان الله والفوز بالجنة.

(وايم الله): هي أيمن الله، لكن طرحت نونها تخفيفاً، وفيها لغات كثيرة، وخبرها محذوف تقديره

قسمي.

(لأُنصفنَّ المظلوم(3)): بأخذ حقه له وإنصافه به.

(ولأ قُودنَّ الظالم بخزامته): الخزامة: هي(4) حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشدُّ بها الزمام، ومعها ينقاد سلساً متذللاً.

(حتى أورده منهل الحق): في المناصفة وأخذ الحق منه وإعطاؤه.

---

(1) انظر شرح ابن أبي الحديد 26/2 وما بعدها، وقوله: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة ...إلخ، رواه قاضي القضاة في المغني 339/1/20، والبخاري في صحيحه 6(2505)، وابن حبان في صحيحه 148/2، والهيثمي في مجمع الزوائد 5/6، والبيهقي في السنن الكبرى 272/4، 273، وابن أبي شيبة في مصنفه 431/7، وعبد الرزاق في مصنفه 441/5، 445، والبزار في مسنده 302/1.

(2) قوله: عوناً، سقط من (ب).

(3) في النهج: لأنصفن المظلوم من ظالمه.

(4) قوله: هي، سقط من (ب).

(838/3)

(وإن كان كارهاً): على رغم أنفه، وعنى بذلك التشدد في الإنصاف وأخذ الحق للمظلوم من الظالم، وهذا هو الدين المرتضى(1) والحق الذي لا غبار على وجهه، ولقد كان لايقف لظالم على ظلامة، ولا تأخذه في الله من لائم ملامة {أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[الزمر:3].

(128) ومن كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير

(والله ما أنكروا عليَّ(2) منكراً): أراد أن الذي نقموه عليَّ، وأنكروه من جهتي ليس منكراً ينقمة الشرع ويكرهه، وإنما كان ذلك تجنياً عليَّ، وطلب أمور لا عذر لهم فيها عند الله تعالى.

(ولا جعلوا بيني وبينهم نِصْفاً): بكسر النون، هو الاسم من الانتصاف، وأراد بيان ما حصل من جهتهم من الحيف عليه، والميل إلى غيره لغير وجه يكون مقتضياً لذلك.

(وإنهم ليطلبون حقاً هم(3) تركوه): يشير إلى طلحة والزبير وعائشة بذلك، وأنهم هم(4) الذين خذلوا عثمان، وتركوا حقه في القيام معه.

(ودماً هم(5) سفكوه): أراقوه بأيديهم.

ويحكى أن أمير المؤمنين لما تصافا الفريقان يوم الجمل، خرج في إزار وعمامة متقلداً لسيف رسول الله، راكبا على بغلته دلدل، فنادى الزبير، فقالوا: تخرج إليه يا أمير المؤمنين حاسراً(6)، فقال: (ليس

عليَّ منه بأس)، فخرج إليه الزبير، فقال:

(ما حملك على ما فعلت يا أبا عبد الله).

فقال: الطلب بدم عثمان.

---

(1) في (ب): المرضي.

(2) عليَّ، زيادة في النهج.

(3) هم، زيادة في النهج.

(4) هم، زيادة في (ب).

(5) هم، زيادة في (ب). و في شرح النهج.

(6) الحاسر: الذي ليس عليه درع.

(839/3)

فقال له(1): (أنت وأصحابك قتلتموه، أنشدك بالذي أنزل القرآن على محمد أليس رسول الله قال لك يوماً: ((أتحب علياً))، فقلت: وما يمنعني من ذلك وهو بالمكان الذي علمت؟ فقال لك: ((أما والله لتقاتلنه في فئة وأنت له ظالم))).

فقال الزبير: اللَّهُمَّ، نعم، ثم قال له: (أمعك نساؤك)؟

قال: لا.

فقال له: (هذا قلة إنصاف أخرجتم حليلة رسول الله، وصنتم حلائلكم...) إلى كلام طويل.

قال: فبكى الزبير من ذلك، ثم أتى عائشة فقال لها: يا أمه، ماشهدت موطناً قط في جاهلية ولا إسلام إلا ولي فيه داعٍ غير هذا الموطن، مالي فيه بصيرة، وإني لعلى باطل، فقالت له: يا أبا عبدالله، حذرت سيوف بني المطلب وابن أبي طالب ، ثم قال له ابنه: لا والله ما ذاك زهداً منك، ولكن رأيت الموت الأحمر فلعن ابنه، وقال: ما أشأمك من ابن!(2).

وعن عمران بن الحصين(3)، أنه قال لعائشة لماقدمت البصرة: يا أم المؤمنين، أبعهد من الله خرجت من بيتك، فقالت: جئنا نطلب بدم عثمان، فقال لها: ليس في البصرة أحد من قتلة(4) عثمان فلماذا جئتم إليها؟

فقالت: لكنهم مع علي فجئنا لنقاتلهم، فيمن يتبعنا من أهل البصرة؟

---

(1) له، زيادة في (ب).

(2) انظر الرواية في المغني 87/2/20 وهي هنا باختلاف يسير.

(3) هو عمران بن الحصين بن عبيد أبو نُجَيد الخزاعي البصري، أسلم عام خيبر، وشهد ما بعد ذلك، وكان من فضلاء الصحابة، مات بالبصرة سنة 52هـ، وأخرج له الجماعة وأئمتنا الخمسة إلا الجرجاني، عنه أبو رجاء العطاردي، وعبد الله بن بردة، وأبو نضرة، والحسن البصري (لوامع الأنوار 153/3).

(4) في (أ): قبيلة، وهو تحريف، والصواب كما أثبته، وكما هو في (ب).

(840/3)

فقال لها: ما أنت وذاك! وقد أمرك الله أن تقرِّي في بيتك، وتلا عليها كتاب الله، وقال لها: اتقي الله يا أم المؤمنين(1)، واحفظي علياً وقرابته من رسول الله(2).

(فإن كنت شريكهم فيه): قاتلاً له معهم.

(فلهم(3) نصيبهم منه): فأراهم يضيفونه إليَّ ويتهمونني به.

(وإن كانوا ولوه دوني): استبدوا به.

(فما(4) الطلبة إلا قبلهم(5)): فهم الغرماء دوني.

وروي عن الزبير أنه قال عند نزول البصرة: والله ما كان أمرقط إلا عرفت أين أضع قدمي فيه، إلا هذا الأمر، فإني لأدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟

فقال له ابنه: لا، ولكنك خشيت رايات ابن أبي طالب، ورأيت الموت الناقع تحتها، فقال له الزبير: مالك أخزاك الله!(6).

(وإن أول عدلهم للحكم على أنفسهم): أراد إن كانوايعدلون وينصفون من أنفسهم، فأول ذلك وأمارته الحكم على أنفسهم، والنظرفي القضية فإن الحجة عليهم قائمة.

---

(1) اللفظ من هنا في المغني: فإن الله إنما عظّمك في أعين الناس ببني هاشم، فاحفظي عليًّا وقرابته من رسول الله، فقد بايعه الناس كما بايعوا أباك.

(2) المغني 20/2/81-82.

(3) في النهج: فإن لهم ...إلخ.

(4) في (أ): فبا، وفي النهج: فما، وما أثبته من النهج ومن (ب).

(5) في (أ): قبيلة، وهو تحريف، والصواب كما أثبته.

(6) شرح ابن أبي الحديد 166/2، والمغني 20/2/86.

(841/3)

وروي أن رجلاً من أهل البصرة قال(1) لطلحة والزبير، فقال لهما: إن لكما فضلاً وصحبة فأخبراني عن مسيركما هذا وقتالكما، أشيء أمركما به الرسول عليه السلام، أم رأي رأيتماه؟ فأما طلحة فسكت، وجعل ينكت في الأرض، وأما الزبير فقال له: ويحك!، إن ها هنا دراهم كثيرة فجئنا لنأخذ منها(2).

وروي عن عمار بن ياسر أنه جاء إلى عائشة فقال: سبحان الله! ما أبعد هذا الأمر من الأمر الذي عهد إليك الله، أمرك أن تقري في بيتك.

فقالت: من هذا؟ أبو اليقظان(3)؟ فقال: نعم، فقالت: أما والله ما علمت إلا(4) أنك لقوَّال بالحق.

فقال: الحمدلله الذي فضحك(5) على لسانك(6).

(وإن بصيرتي لمعي): البصيرة هي: الاسم من الاستبصار؛ أراد أني عالم بما أنا(7) فيه من ضلالهم واستصواب قتالهم.

(ما لبست): على أحد خدعته عن الدين واستزللته.

(ولا لُبِّسَ عليَّ): أمري ودخل في عقلي بالإضلال، وأراد أني ما خدعت أحداً ولا خدعني.

---

(1) كذا في (أ) وفي نسخة أخرى وفي (ب) وكتب فوقها في (ب) بقوله: ظ: أي قام.

(2) المغني 89/2/20، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 317/9-318 والرواية فيه عن المغني.

(3) في (أ): أبو الطيقان، وهو تحريف، والصواب كما أثبته: أبو اليقظان.

(4) إلا، سقط من (أ).

(5) في المغني: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك.

(6) المغني 89/2/20.

(7) في (أ): اتى.

(842/3)

(وإنها للفئة الباغية): الضمير للقصة، وأراد من خالفه من أعدائه أي الجماعة التي خالفت أمرالله في حربي وقتالي، ويشير(1) بكلامه هذا، إلى ما قاله الرسول لعمار: ((تقتلك ياعمار الفئة الباغية))(2)

---

(1) في (ب): أو يشير.

(2) حديث إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية حديث شهير، وللحديث عدة طرق وروايات وأسانيد منها ما أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 350/2 برقم (328) بسنده عن أنس بن مالك بلفظ: ((عمار تقتله الفئة الباغية))، وبرقم (829) عن عبد الله بن أبي الهذيل بلفظ: ((عمار –ولم يقل: ويحك ولا ويلك– يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية)) وله فيه عدة طرق وروايات، وبلفظ: ((تقتل عماراً الفئة الباغية)) برقم (840) عن جابر بن سمرة، وانظر تخريجه فيه. وأورد الإمام القاسم بن محمدعليه السلام في الاعتصام 48/1-53 عدداً من روايات الحديث وذكر مصادرها (انظرها فيه)._ ...
_وقال البدر محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في التحفة العلوية ص 84-85 ما لفظه: ومن المعجزات في قتاله القاسطين ما تواتر عن أئمة النقل من أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأنه يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وهذا الحديث متواتر متفق عليه بين الطوائف.انتهى. فذكر الحديث.
_ ... _وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 106/10 عن ابن عبد البر النمري في الاستيعاب ما لفظه: قال أبو عمرو: وتواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((تقتل عماراً الفئة الباغية)) وهذا من إخباره بالغيب، وأعلام نبوته صلى الله عليه وآله، وهو من أصح الأحاديث. انتهى. وأخرجه مسلم في صحيحه 4 رقم (2236)، والحاكم في المستدرك 162/2، والترمذي في سنده 669/5، والهيثمي في مجمع الزوائد 242/7، وأحمد بن حنبل في مسنده 161/2، 5/3.

(843/3)

.

(فيها الحمى(1)): الحرارة.

(والحُمة): سم الأفاعي.

(والشبهة المغدفة(2)): والخطة(3) المشتبهة على أهلها، والمحارة العظمى لهم فيما هم فيه من الأمر، والمغدفة بكسر الدال هي: المظلمة من أغدف الليل إذا كان مظلماً، وبفتحها المجعولة كثيراً، من قولهم: غدفت العين إذا كانت غزيرة(4)، وسماعنا بالكسر فيها.

ويحكى عن ابن عباس أنه قال لعائشة: ألست [إنما سميت](5) أم المؤمنين بنا؟

قالت: بلى، فقال: أولسنا أولياء زوجك؟

فقالت: بلى، فقال لها: فَلِمَ خرجت بغير إذن منَّا؟

فقالت له: أيها الرجل، كان فِصاداً(6) من خديعة(7).

فهذه الروايات كلها دالة وموضحة أنهم فيما أتوا على غير بينة عادلة، ولا هم على حجة واضحة.

(وإن الأمر لواضح): في دعائي إلى الحق، ودعائهم إلى الضلالة.

(وقد زاح الباطل عن نصابه): بعد عن موضعه ومستقره(8).

(وانقطع لسانه عن شغبه): كثرة(9) لجاجه بما لا يجدي، وأراد بذلك استظهاره عليه(10)، وغلبته إياهم بما أعطاه الله من النصر والظفر.

---

(1) في النهج: الحمأ.

(2) في النسخ: المغدقة بالقاف، وما أثبته من النهج ومن شرح النهج لابن أبي الحديد.

(3) في (ب): والخطيئة.

(4) ويصح على هذا التفسير أن تكون الكلمة: المغدقة بالقاف، وهو التفسير الذي ذكره الشريف علي بن ناصر الحسيني رحمه الله في أعلام نهج البلاغة.

(5) سقط من (أ).

(6) فِصاداً، أي خروجاً، يقال: فصد المريض أي أخرج مقداراً من دم وريده بقصد العلاج.

(7) في المغني: أيها الرجل كان أمر قضاء وأمر خديعة. وانظر الرواية فيه 90/2/20.

(8) في (ب): ومسنده.

(9) في (ب): كثير.

(10) في (ب): عليهم.

(844/3)

(وايم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه): فرط الحوض إذا ملأه، والمتح: النزع للماء، وجعل ذلك كله كناية عما أوقعه بهم من القتل، ونصب لهم من الحرب العظيمة، والقتالات الشديدة.

(لا يصدرون(1) عنه بريّ): لا يروون بعده؛ والري هو: زوال الشهوة للماء.

(ولا يعبُّون بعده في حسيّ): العبُّ هو: شرب الماء من غير مص، والحسي: جمع حسوة، وهو فعول لكنها قلبت فيه الواوان يائين على جهة التخفيف، كما فعلوا في نحو دلي وأصله دلو، يروى بضم الحاء وكسرها، والحسوة: حفير في الرمل ينشف الماء فإذا وصل إلى تراب صلب أمسك الماء فيحفر فيؤخذ منه الماء، وعنى بذلك استئصال شأفتهم بالقتل.

(فأقبلتم إليَّ): أراد بعد قتل عثمان للبيعة والقيام بالأمر.

(إقبال العوذ المطافيل على أولادها): العوذ جمع عائذ وهي: الناقة القريبة العهد بالنتاج، والمطفل: الظبية التي لها ولد وهي قريبة العهد بالولادة أيضاً، وأراد بذلك سرعة إقبالهم إليه للبيعة كإسراع العوذ والمطافيل إلى أولادها.

(تقولون: البيعة البيعة!): أي خذ البيعة علينا، وإنما ثنّاه تأكيداً ومبالغة كما يقال: الدرهم الدرهم.

---

(1) في (أ): ولا يصدرون.

ويحكى أن أميرالمؤمنين أمر ابن عباس إلى الزبير يوم الجمل، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رأيت مني مما استحللت فيه قتالي(1).

(قبضت يدي): رغبة عن الأمر.

(فبسطتموها): لأخذ البيعة منكم.

(ونازعتكم يدي): مرة بعد مرة.

(فجاذبتموها): وأبيتم إلاالبيعة.

(اللَّهُمَّ، إنهما): يريد طلحة والزبير.

(قطعاني): إما قطعا رحمي بالمقاتلة، وإما قطعا الموالاة لي في الدين بالبغي عليَّ والمحاربة لي.

(وظلماني): أسقطا حقي.

(ونكثا بيعتي): التي أعطياني من قبل هذا.

(وألبَّا عليَّ الناس): جمعاهم من كل صُقْعٍ(2)، ولبسا على الناس أمرهم في استصواب قتالي، وخروجهما بعائشة من أجل ذلك.

---

(1) بعده في المغني: قال: فأجابني: إنَّا مع الجود الشديد لنطمع، وانظر الرواية فيه20/2/87.86، والرواية في شرح ابن أبي الحديد 317/9 بلفظ: وقد روى المدائني أيضاً نحواً مما روى أبو مخنف قال: بعث علي عليه السلام ابن عباس يوم الجمل إلى الزبير قبل الحرب، فقال له: إن أمير المؤمنين يقرئ عليك السلام، ويقول لكم: ألم تبايعني طائعاً غير مكره، فما الذي رابك مني، فاستحللت به قتالي؟ قال: فلم يكن له جواب إلا أن قال لي: إنَّا مع الخوف الشديد لنطمع، لم يقل غير ذلك._ ... _قال أبو إسحاق: فسألت محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: ما تراه يعني بقوله هذا؟ فقال: أما والله ما تركت ابن عباس حتى سألته عن هذا، فقال: يقول: إنا مع الخوف الشديد مما نحن عليه، نطمع أن نلي مثل الذي وليتم. انتهى.

(2) الصقع بالضم: الناحية.

ويحكى عن عائشة أنها لما خرجت للقتال، أرسلت إلى أبي بَكْرة(1) رجلاً فقالت له: ما منعك من إتياني، أعهد عهده إليك رسول الله أم أحدثت بدعة ؟ فأرسل إليها: لا هذا ولا هذاك، ولكن تذكرين يوماً كان رسول الله عندك فبشّر بظفر أصحاب له فخر ساجداً، ثم قال للرسول: حدثني.

فقال: كان الذي يلي أمرهم امرأة.

فقال عليه السلام: ((هلكت الرجال حين أطاعت النساء))(2)، فلما رجع الرسول إليها بكت حتى بلَّت خمارها(3).

(فاحلل ما عقداه): من أمر الحرب والمناصبة.

(ولا تحكم ما أبرماه): من ذلك، حبل مبروم إذا كان جيد الفتل محكماً.

(وأرهما المساءة فيما أمَّلا وعملا): المساءة مفعلة من السوء، كالمسعاة من السعي، وأراد خيب آمالهما، وأذهب ما يعملانه من المكر والخديعة.

(ولقد استتبتهما(4) عن القتال): لما كان قتالهما شبهة في الدين وفتنة فيه، وكان عليه السلام عظيم(5) التأني في حرب أهل القبلة، لا يعجل عليهم بالقتال إلا بعد الاستتابة وإبلاغ المعذرة، كما فعل مع غيرهم من الخوارج وأهل الشام معاوية وأصحابه.

---

(1) هو أبو بَكْرة الثقفي نفيع بن الحارث بن كلدة، وقيل: اسمه مسروح، أسلم يوم الطائف، نزل البصرة، ولم يقاتل يوم الجمل، وقيل: كان مريضاً، وعاتبه أمير المؤمنين لما زاره، روى عنه أولاده، والحسن، توفي بالبصرة، خرَّج له أبو طالب، والمرشد بالله، والجماعة (لوامع الأنوار 175/3).

(2) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 292/10، وعزاه إلى مستدرك الحاكم 291/4، وكنز العمال برقم (44504)، وتأريخ أصبهان لأبي نعيم 34/2، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي 99، وكشف الخفاء 215/2 وغيرها.

(3) المغني 90/2/20.

(4) في النهج: استثبتهما قبل القتال.

(5) في (ب): كثير.

(847/3)

(واستأنيت بهما أمام الوقاع): تربصت بهما قبل القتال رجاء أن يعودا عن غيهما، ويرجعا عن بغيهما.

(فغمطا النعمة): حقرا نعمة الله عليهما بمخالفة أمره.

(وردّا العافية): وهي السلامة عما أصابهما من القتل.

(129) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الملاحم

(يعطف الهوى على الهدى): أي يرد الهوى ويميل إلى الهدى ويدعو إليه.

(إذا عطفوا الهدى على الهوى): إذا عطفوا الحق على الباطل.

(ويعطف الرأي على القرآن): لا يجعل للرأي مع القرآن حكماً، ويعتمد في أمره على كتاب الله تعالى.

(إذا عطفوا القرآن على الرأي): اعتمدوا آراءهم، وتركوا القرآن، يشير بما ذكره إلى خروج المهدي ويذكر حاله في ذلك اليوم.

(حتى تقوم بكم الحرب على ساق): عبارة عن شدتها وصعوبتها ، كما قال تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:42].

(بادياً نواجذها): النواجذ هي: الأسنان.

(مملوءة أخلافها): ضروعها، واحدها خلف.

(حلواً رضاعها(1)): لمن ارتضعه.

(علقماً عاقبتها): العلقم: نبت فيه مرارة عظيمة، وعاقبتها مرفوعة على الابتداء وهو خبرها، وأراد أن عاقبتها وخيمة.

(ألا وفي غد): ألا للتنبيه، وأراد والعجب في غد.

(وسيأتي غد بما لا تعرفون): من العجائب العظيمة، وإنما أظهره في موضع الإضمار دلالة على إعظام الأمر فيه.

(يأخذ الوالي من غيرها عمَّالها): أي يكون المتولي للكوفة من غير أهلها، يأخذ خراجها من عمالها.

(على مساوئ أعمالها): أراد بما فعلوامن الأعمال السيئة، والأفعال القبيحة.

---

(1) في (ب): إرضاعها.

(848/3)

(وتخرج له من(1) الأرض أفاليذ كبدها): الأفاليذ جمع أفلاذ، والواحد منها فلذ وهي: قطع الكبد، واستعار الأفلاذ عبارة عن نفائس الدنيا وممالكها العظيمة، لما كانت الكبد أعز أعضاء الحيوان وأعلاها حالاً في الاغتذاء.

(وتلقي إليه سِلْماً مقاليدها): وسلماً أي استسلاما وانقياداً، وانتصابه إما على الحال أي منقادة

متسلمة، أو على التمييز بعد الفاعل أي تلقي إليه مفاتيحها وأمورها العظيمة.
(فيريكم كيف عدل السيرة): حال السيرة العادلة، ويظهرلكم(2) مواردها ومصادرها.
(ويحيي ميت الكتاب والسنة): ما اندرس من علومهما وأحكامهما.

---

(1) قوله: من، سقط من شرح النهج.
(2) في (أ): ويظهركم.

(849/3)

(كأني به قد نعق بالشام): الضمير في به يحتمل أن يكون عائداً إلى الوالي الذي قد تقدم ذكره، ويحتمل أن يكون عنى به المختار بن أبي عبيد(1)، وقيل: أراد الحجاج بن يوسف، وقيل: أراد عبد الله بن الزبير(2). والله أعلم أي ذلك.
(وفحص براياته في ضواحي كوفان): الضواحي: جمع ضاحية وهي براري المدينة، وصحاريها المنكشفة.
(فعطف عليها(3) عطف الضروس): كرَّ عليها ومال بالأخذ والقتل، والضروس: الناقة المتعصية(4) السيئة الحال، وإنما شبَّهه بها لشدة غضبه على(5) أهلها لسوء أعمالهم.

---

(1) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، المتوفى سنة 67هـ من زعماء الثائرين على بني أمية، من أهل الطائف وانتقل منها إلى المدينة مع أبيه في زمن عمر، وانقطع المختار إلى بني هاشم في المدينة، ثم كان مع أمير المؤمنين عليه السلام بالعراق، وسكن البصرة وهو الذي تتبع عدداً من قتلة الحسين عليه السلام وقتل منهم شمر بن ذي الجوشن، وخولي بن يزيد، وعمر بن سعد، وعبيد الله بن زياد وغيرهم، وقُتِلَ المختار في قصر الكوفة في أحد الوقائع التي جرت بينه وبين مصعب بن الزبير أخي عبد الله بن الزبير، وأخبار المختار كثيرة مبثوثة في كتب التأريخ (وانظر عنه معجم رجال الاعتبار ص 410-411 ت(813)، والأعلام7/192).
(2) ذكر هذه الأقوال الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- ص38، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج9/47 في شرح ذلك ما لفظه: هذا إخبار عن عبد الملك بن مروان وظهوره بالشام وملكه بعد ذلك العراق، وما قتل من العرب فيها أيام عبد الرحمن بن الأشعث، وقتله أيام مصعب بن الزبير. انتهى.
(3) في (أ): عنها، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن النهج.

(4) في (ب): المبغضة.
(5) في (ب): عن.

(وفرش الأرض بالرءوس): أراد به(1) عظم قتله هناك، حتى صارت الرءوس كالبساط الممدود على الأرض.

(قد فغرت فاغرته): فغر فاه إذا فتحه، وأراد أن جنده ظهروا على الناس، وفتحوا أفواههم ليأكلوا الناس، ويأخذوا أموالهم، والفاغرة: نوع من الطيب، وذكروا أنها النيلوفر(2) الهندي، وسميت بذلك لأنها حبٌّ ينفح عند إيناعه وييبسه.

(وثقلت في الأرض وطأته): لعظم حاله وكثرة جنده، وامتداد عسكره.

(بعيد الجولة): تجاول الفرسان في الحرب إذاجال بعضهم على بعض، وأراد أنه لكثرة جنده فتجوالهم في(3) أمكنة بعيدة الأطراف.

(عظيم الصولة): صال عليه إذا استطال، وكان مقتدراً.

(والله ليشردنَّكم): يفرقنَّكم.

(في أطراف البلاد(4)): أقصاها وأدناها.

(حتى لا يبقى منكم): بعد القتل والأسر، والتطريد والتشريد.

(إلا قليل): لا يلتفت إليه ولا يعبأ به.

(كالكحل في العين): في القلة، ولهذا فإنه لا يؤذيها لرقته وحقارته وخفته.

---

(1) في نسخة أخرى: أنه.
(2) في (أ): الينوفر، وفي (ب): اللينوفر، وما أثبته من القاموس المحيط ص625، قال: ويقال: النيفوفر، وذكر في تفسيره أنه ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة، بارد في الثالثة، رطب في الثانية، ملين، صالح للسعال وأوجاع الجنب والرئة والصدر، وإذا عجن أصله بالماء وطُلي به البهق مرات أزاله، وإذا عجن بالزفت أزال داء الثعلب. انتهى.
(3) في، زيادة في (ب).
(4) في شرح النهج: الأرض.

(فلا تزالون كذلك): على ما وصف من حالهم في القتل عقوبة من الله تعالى، وانتقاماً منه، كما قال تعالى: {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ}[الرعد:31] فهذه العقوبات بالقتل والأسر والتسليط، لا يمتنع إنزالها من الله تعالى على جهة العقوبة والانتقام من معاصي قد أسلفوها.

(حتى تؤوب(1) إلى العرب عوازب أحلامها): يرجع إليهم ما ذهب من عقولهم وأحلامهم(2) وبعد عنهم وضل، فيجعلون التقوى وخوف الله تعالى شعارهم، ويفيئون إلى أمر الله باتباع أئمة الدين، وسلوك طريق الرشاد(3).

(فالزموا السنن القائمة): اجعلوها عمدة لكم، ولا تعرضوا عنها، ويمكن حمله على العموم في سنن الأنبياء، وإما على الخصوص في سنة الرسول عليه السلام فإنها كلها أجمع دالة على الرشد.

(والآثارالبينة): من أعلام الهدى.

(والعهد القريب): بالرسول عليه السلام.

(الذي عليه باقي النبوة): آثارها ومعالمها، كما قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}(4) [النساء:26] وهي أعلام التوحيد، وأحكام الإلهية، وعلوم الآخرة.

(واعلموا أن الشيطان إنما(5) يسنِّي لكم(6) طرقه): يقرِّبها ويجعلها سهلة عتيدة(7).

(لتتبعوا عقبه): تسلكوا على أثره فيما يريده من الإغواء، والصد عن الهدى بمبلغ جهده وإمكانه.

---

(1) في (أ): لا تؤوب.

(2) في (ب): واختلافهم، وهو غامض.

(3) في (أ): الطريق الرشادة.

(4) لفظ الآية الشريفة في النسخ: (فالله يريد أن يهديكم سنن الذين من قبلكم) وأثبتها من المصحف الشريف.

(5) قوله: إنما، زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(6) لكم، زيادة في النهج.

(7) عتيدة: أي مهيئة.

(852/3)

---

(130) [ومن كلام له عليه السلام في وقت الشورى](1)

ثم قال بعد ذلك:

(إنه لن(2) يسرع أحد قبلي إلى دعوة حق): أراد أنه أعظم الناس إسراعاً إلى مكارم الأخلاق، وحميد

الشيم، وأنواع المعروف، وأن أحدالَم يسبقه إلى الدعاء إلى الحق إلا الأنبياء.

(وصلة رحم(3)): بالبر لها(4)، والإحسان إليها.

(وعائدة كرم(5)): وعطاء ونعمة تصل وتكون عائدة إلى الْمُحْسَنِ إليه.

(فاسمعوا قولي): سماع قبول وإجابة.

(وعوا منطقي): ما أنطق به من الحكم والمواعظ والآداب، واغتنموا أيامي وما فيها من إحياء السنن، وإماتة البدع.

(عسى أن تروا هذا الأمر): أراد الخلافة بعد موته.

(من بعد هذا اليوم): يشير إلى أيام خلافة بني أمية وبني العباس ومن بعدهم.

(تُنْتضَى فيه السيوف): أراد بالبغي، والفساد، والتجبر، والعناد.

(وتخان فيه العهود): بالفسق وسائر أنواع الفجور.

(حتى يكون بعضكم أئمة لأهل الضلالة): يقتدى به.

(وشيعة لأهل الجهالة): أشاع الأمر إذا أظهره، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم بعضاً فهم شيع.

(131) ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة(6) الناس

(وإنما(7) ينبغي لأهل العصمة): المؤيدين بالألطاف الخفية عن فعل المعاصي.

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(2) في النهج: لم، وقوله: إنه، سقط منه.

(3) في (أ): الرحم، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى ومن النهج.

(4) في (ب): بها.

(5) في (أ): كرمت.

(6) في النهج: عيب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(7) في (ب): فإنما.

(853/3)

(والمصنوع إليهم في السلامة): السالمين عن جميع العاهات إحساناً من جهة الله تعالى، واصطناع المعروف إليهم في ذلك، ومن هذا قوله تعالى لموسى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}[طه:41] أي اختصصتك لما أريد من أغراضي ومقاصدي تشريفاً وإكراماً لك، وعناية بحالك.

(أن يرحموا): فاعل لقوله: ينبغي.

(أهل الذنوب والمعصية): لما يصيبهم من غضب الله تعالى، وسخطه في الدنيا، ولما أعد لهم من العقوبات(1) السرمدية في الآخرة.

(ويكون الشكر هو الغالب عليهم): الكثير من أحوالهم، وطرائقهم على ما خُوِّلُوا من النعم وأكرموا بها.

(والحاجز لهم عنهم): الضمير الأول لأهل العصمة، والضمير الثاني لأهل الذنوب، والمعنى ويكون الشكر لأهل العصمة مانعاً عن أذاء أهل المعصية فيشتغلون بالشكر عن ذلك، فإذا كان هذا هو المتوجه لأهل المعصية على أهل الطاعة والعصمة.

(فكيف بالعائب الذي عاب أخاه): فكيف حال الْمُؤْمِنَيْنِ اللّذَيْنِ يغتب(2) أحدهما صاحبه وينال من عرضه وينقصه بالغيبة له، فاللوم إلى العائب أكثر وما أصابه من النقص في دينه أوفر، فيما ذكر فيه.

(وعيَّره ببلواه): عابه بما ابتلاه الله به من فقر أو غيره من البلاوي في النفوس والأولاد والأموال، وسائر المصائب.

(أما ذكرموضع ستر الله عليه): قدر النعمة وحقها باطلاع الله تعالى على أمور كثيرة.

(من ذنوبه): التي اقترفها وأضمرها عن الخلق، ولو شاء الله لفضحه بها على رءوس الخلائق.

(وهو(3) أعظم من الذنب الذي عابه به!): ربما كان أدخل في القبح(4)، وأعظم في المفسدة من الأمر الذي عاب به أخاه.

---

(1) في (ب): العقوبة.

(2) في (ب): الذي يعيب.

(3) في النهج: مما هو.

(4) في (أ): القبيح.

(854/3)

(فكيف يذمه بذنب قد ركب مثله!): تعجب من حال من يفعل ذلك، والمعنى أن العقول مشيرة وحاكمة بأن أحداً لا يعيب غيره بعيب مثله حاصل فيه، ولقد صدق من قال:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثلَه

عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ(1)

ثم ولو سلمت تقديراً أنه خالي عن ذلك:

(فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه): لعصمة(2) من الله تعالى في ذلك الذنب، أو لغير ذلك من الصوارف عنه.

(فقد عصى الله فيما سواه): بذنوب أخرى اجترحها وفعلها.

(مما هو أعظم منه): عند الله تعالى فهو العالم بصغائر(3) الذنوب وكبائرها، وما يكون أدخل في الاستفساد من الذنوب من غيره، وطريق ذلك كله الشرع، ولا تصرف للعقول في ذلك.

(وايم الله): قسم وهو جمع يمين.

(لئن لم يكن عصاه في الكثير، وعصاه في القليل(4)): ولم يركب صغيرة ولا كبيرة من الذنوب ولا أقدم(5) على شيء من محظورات دينه فعلاً كان أو كفاً.

(لجرأته): إقدامه، واجترأ على الشيء إذا أقدم عليه.

---

(1) البيت هو لأبي الأسود الدؤلي، من جملة أبيات هي:

يا أيها الرجل المعلم غيره

هلا لنفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى

كيما يصح به وأنت سقيم

وأراك تلقح بالرشاد عقولنا

أبداً وأنت من الرشاد عديم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُسْمَعُ ما تقول ويُشْتَفَى

بالقول منك وينفع التعليم

انظر شذور الذهب لابن هشام، وشرحه لمحمد محي الدين عبد الحميد ص 238.

(2) في (أ): لعظمه.

(3) في (ب): بصغار.

(4) لفظ العبارة في النهج: لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير.

(5) في (أ): والإقدام، وهو خطأ.

(855/3)

(على عيب الناس أكبر): أعظم جرماً عند الله، وأدخل في اللائمة من الله، وأراد بالكبر ها هنا إما أنه لا يمتنع ذلك عند الله تعالى أن تكون جرأته أكبر، فإن الأمر في ذلك مستورعنًا لا نعلمه، وإما أن يريد بكبرها تفاحشها(1) عند العقلاء، وعظم ما يكون من النقص بها.

(يا عبد الله): خطاب عام لكل أحد؛ لأن العبودية شاملة لجميع الخلائق ولم يرد أحداً بعينه، ولا شخصاً بنفسه.

(لا تعجل في عيب أحد): نقصه، ولا تسرع إلى ثلمه.

(بذنبه): بما اكتسب من الذنوب، وخالط من المعاصي.

(فلعله مغفور له): ما اكتسبه من تلك المعاصي، وإن كثرت(2) وعظمت.

(ولا تأمن على نفسك): ارتكابك.

(صغير معصية): مما تستحقره في نفسك، ولا تبالي به.

---

(1) في (أ): تفاحشاً، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(2) في (ب): كبرت.

(856/3)

(فلعلك معذب عليه): أراد ما تستصغره في نفسك وتستحقره، وهو عند الله كبير، ولا يحتمل سوى ذلك؛ لأن الصغائر على الحقيقة عقابها مكفَّر في جنب ما لصاحبها من الثواب، وفي الحديث: ((إياكم ومحقرات الذنوب، فإنَّ لها من الله طالباً))(1)، يشير إلى ما ذكرناه(2) مما تستحقره النفوس منها.

(فليكفف من علم منكم عيب غيره): عن(3) أن يذكره بلسانه أويحكيه لغيره، أو يشير إليه بالنقص، إشارة يفهم منها نقصه، أو يكني عن ذلك بما يفهم منه.

(لما يعلم من عيب نفسه): فيقبح في العقول أن تعيب غيرك بعيب مثله فيك، أو أقبح منه وأشنع.

(وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته): أراد وليكن همه الذي يشتغل به الشكر على العافية والقيام بالعبادة لله تعالى، التي هي الشكر على نعم الله تعالى.

(مما ابتُلي به غيره): من الفقر، ومن الآلام والأسقام، أو غيرذلك من المصائب.

(132) [ومن كلام له عليه السلام في النهي عن سماع الغيبة، وفي الفرق بين الحق والباطل](4)

---

(1) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام في تكملة الأحكام ص 117 وقوله هنا: (من)، في تكملة الأحكام: (عند). ورواه العلامة علي بن حميد القرشي رحمه الله في مسند شمس الأخبار2/320 الباب (176)، وقال العلامة الجلال في تخريجه: أخرجه أحمد، وابن ماجة، والحكيم، وأبو يعلى عن عوف بن الحرث الخزاعي ابن أخي عائشة لأمها، قاله في كنز العمال ولفظه: ((يا عائشة، إياك ومحقرات ...))إلخ ما هنا بلفظه. انتهى. وهو بلفظ: ((إياك ومحقرات الذنوب...)) إلخ، أخرجه الدارمي في سننه 392/2، والبيهقي في شعب الإيمان 454/5 ومسند الشهاب 95/2.

(2) في (ب): ذكرنا.

(3) عن، زيادة في (ب).

(4) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.

(857/3)

(أيها الناس، من عرف من أخيه وثيقة دين): صلابة وتشدداً في ذات الله يوثق بها.

(وسَداد طريق): واستقامة على الدين في أحواله كلها من القيام بالواجبات، والانكفاف عن المحرمات.

(فلا يسمعنَّ فيه أقاويل الناس): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد النهي عن سماعها، أي لا يصغي إليها؛ لأنه مع الإصغاء يحصل سماعها لا محالة بالضرورة.

وثانيهما: أن يريد النهي عن تصديقها، أي لا يسمعها(1) سماع قابل لها مصدِّق بها.

(أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام): إذا كان الرمي(2) على غير جهة الاستقامة، وأراد أن

الخبر ربما صدر عن ثقة مع كونه كذباً، بأن يسمعه عمَّن لا يوثق به، فيحكيه كما سمعه.

(ويحيك الكلام): يؤثرفي النفوس تأثيراً عظيماً لا يمكن وصفه، وإن كان كذباً.

(وباطل ذلك يبور): الإشارة إلى ما تقدم ذكره من تصديق كلام الناس، والتعويل عليه في حق من ظاهره الستر والعفاف.

(والله سميع): لما يقال من ذلك من(3) صدقه وكذبه، وسره وجهره.

(وشهيد): إما مشاهد(4) لهذه الأشياء وعالم بها، وإما رقيب عليها وحافظ لها ليجازي عليها.

(أما إنه ليس بين الحق والباطل): فيما يفرق بينهما ويوضح أحدهما عن الآخر.

(إلا مقدار أربع أصابع): وهذا من الكنايات العجيبة، والإشارات الدقيقة التي لم يُسْبَقْ بها، ولم يُزَاحَم عليها.

(فسُئِلَ عن معنى ذلك): الكلام الذي ذكره، وجعله كناية عن غيره.

(فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه): مشيراً بذلك إلى طريق العلم والظن، ثم فسر ذلك بقوله:

(الباطل أن تقول: سمعت): لأن السماع ربما كان كذباً(5) لاحتماله ذلك.

---

(1) في (ب): لايسمع.

(2) في (ب): الرامي.

(3) قوله: من سقط من (ب).

(4) في (أ): مشاهدة.

(5) في (ب): كاذباً.

(858/3)

(والحق أن تقول: رأيت): لأن المشاهدة طريق من طرق العلم فلا يمكن كذبها بحال، وأما في قوله: (أما أنه ليس بين الحق والباطل) بمعنى حقاً، وأن مرفوعة على أنها فاعلة المصدر، أي حقاً أنه ليس بين الحق والباطل إلا ما ذكر من المسافة، وهكذا حالها حيث وقعت على هذه الصفة.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قولك: أما أنك منطلق؟، فقال: على معنى حقاً أنك منطلق، وقد وقع في كلام الرسول ماهو بيان بالإشارة، كما قال عليه السلام: ((الشهر يكون هكذا وهكذا وهكذا، وأشار إلى أصابع يديه ثلاث مرات، وهكذ وهكذا وهكذا وكفَّ واحدة منها))(1)، يشير بالأولى إلى أنه يكون ثلاثين، وبالثانية إلى أنه قد يكون تسعة وعشرين.

(133) [ومن كلام له عليه السلام](2)

(وليس لواضع المعروف في غيرحقه): إعطاؤه على غير وجهه كالإسراف في الإعطاء.
(وعند غير أهله): ممن لايكون مستحقاً له، وليس(3) من أهل من يكون محلاً للاصطناع.

---

(1) الحديث بلفظ: ((الشهر هكذا وهكذا وهكذا بأصابع يديه وقبض في الثالثة إبهامه)) أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص463 برقم (612) بسنده من خبر عن جابر بن عبد الله، وقريباً لما أورده المؤلف هنا، رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في الأحكام 176/6. ورواه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 312/2 وقال: وهذا الحديث في أصول الأحكام والشفاء، إلا أن في اللفظ بعض الاختلاف، وأخرجه مسلم في صحيحه 759/2، 760، وابن خزيمة 207/3، وابن حبان في صحيحه 233/8.
(2) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(3) في (ب): يعني وليس من أهله ممن يكون...إلخ.

(859/3)

([من الحظ فيما أتى](1) إلا مِحمدة اللئام): المِحمدة بكسر الميم هي: الحمد، كالمِعذرة من العذر، وأراد حمد اللئام وثناؤهم عليه لا غير.
(وثناء الأشرار): وإقرارهم بالثناء عليه من غير أمر(2) وراء ذلك.
(ومقالة الجهال): تصريحهم بأنك منعم ومحسن.
(ما دام منعماً عليهم(3) ومحسناً إليهم): بعطاياه، واصلة إليهم غضة طرية.
(ما أجود يده!): بالإعطاء والبذل.
(وهو عن ذات الله بخيل): لا يعطي لوجه الله تعالى شيئاً، وإنما عدَّاه بعن، وكان القياس تعديته بالباء، كماقال تعالى: {بَخِلُوا بِهِ} ولكنه حمله على المعنى؛ لأن البخل منع المال وصرفه في غير وجهه وعلى غيرطريقه، وعلى هذا وردت قراءة الأعمش، في قوله تعالى: {فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ}[البقرة:249] بالرفع على معنى امتنع قليل منهم من الشرب فلهذا رفعه.
(فمن آتاه الله مالاً): مكَّنه منه، وجعله(4) متوسعاً فيه.
(فليصل به القرابة): ينفعهم به ليكون ذلك صلة لهم.

---

(1) زيادة في (ب) و في شرح النهج.
(2) في (أ): أمراً.

(3) عليهم، زيادة في النهج، وقوله: ومحسناً إليهم، سقط منه.

(4) في (أ): وجعلوه.

(860/3)

(وليحسِن به(1) الضيافة): قِرَاء(2) الإخوان وإطعامهم الطعام، وفي الحديث: ((من لذذ أخاه بما يشتهيه رفع الله له ألف ألف درجة، وكتب له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، وأطعمه من ثلاث جنات: من جنة الخلد، ومن جنة الفردوس، ومن جنة المأوى))(3).

(وليفك به الأسير): الموثق بالإسار: وهو القِدّ.

(والعاني): المقيم على الإسار، و الخضوع والذل، ومنه قوله تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ}[طه:111] أي خضعت وذلت.

(وليعطِ منه الفقير): أراد ما يجب فيه من الزكاة، ويحتمل أن يكون أراد الإحسان، والتفضل به على ذي الفاقة.

---

(1) في النهج: منه.

(2) القِراء: الضيافة والكرم.

(3) ورد أوله وهو وقوله: ((من لذذ أخاه بما يشتهي)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي 534/8 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 238/5، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 12/2، وتنزيه الشريعة لابن عراق 129/2، والسلسلة الضعيفة للألباني 107.

(861/3)

(والغارم): المديون أو من لحقه غُرْمٌ من أجل نائبة أصابته، وفي الحديث: ((لا تحل المسألة إلا لثلاثة: لذي غُرْمٍ مُفْظِع، أو دم مُوْجِع، أو فقر مُدْقِع))(1)، والغرام: الهلاك، قال الله تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا}[الفرقان:65]، وقال بشر(2):

ويوم النِّسارِ ويوم الجِفَارِ(3)

كانا عذاباً وكانا غَرَاما(4)

(وليصبِّر نفسه على الحقوق): على أدائها والقيام بها، حقوق الدين ومكارم الأخلاق.

(والنوائب): العظائم من الأمور.

---

(1) رواه الإمام أحمد بن عيسى في كتاب العلوم الشهير بأمالي أحمد بن عيسى بن زيد بن علي" 266/1، بلفظ: ((لا تحل المسألة إلا لذي فقر مدقع، أو دم موجع، أو غرم مفظع)) ورواه عنه الإمام القاسم بن محمد عليه السلام في الاعتصام 272/2، وقال: وهذا أيضاً في مسائل الحسن بن القاسم عليهما السلام، وفي الجامع الكافي، وهو في شرح التجريد.

(2) هو بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل المتوفى نحو سنة 22ق هـ شاعر جاهلي فحل من الشجعان، توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، له ديوان شعر مطبوع (الأعلام 54/2).

(3) في (ب): ويوم اليسار ويوم الخفار. وهو تصحيف.

(4) لسان العرب 981/2 ونسبه للطرمّاح، وأورده أيضاً في الكشاف 298/3 بدون نسبة لقائله.

(862/3)

(ابتغاء الثواب): على الصبر عليها، وفي الحديث: ((ما جرع عبد قط جرعتين أفضل عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل))(1).

(فإن فوزاً بهذه الخصال): التي أشار إليها.

(شرف مكارم الدنيا): حيازة الخصال الشريفة المحمودة.

(ودرك فضائل الآخرة): إحراز(2) فضائلها ومراتبها العالية.

(134) ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء

(ألا وإن الأرض التي تحملكم): تقلكم على ظهرها، كما قال تعالى: {وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}(3)[الإسراء:70].

(والسماء التي تظلكم): فوق رءوسكم كالظلة.

(مطيعتان لله ربكم): منقادتان لأمر الله تعالى، ومحتكمتان(4) لمراده، كما قال تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا}[آل عمران:83].

(وما أصبحتا تجودان لكم(5) ببركتهما): بنموهما وزيادتهما، من جاده إذا أعطاه من نواله.

(توجعاً لكم): توجع له إذا رثى له من وجعه، ونصبه على أنه مفعول له.

(ولا زلفة إليكم): قرباً، وإسراعاً إلى نفعكم.

(ولا لخير ترجوانه منكم): نفع تظنان حصوله من جهتكم.

---

(1) له شاهدان رواهما البيهقي في شعب الإيمان 314/6 الأول برقم (8307) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما جرع عبدٌ جرعة أعظم أجراً عند الله من جرعه غيظ كظمها ابتغاء وجه الله عزوجل)) والثاني برقم (8308) عن معمر عمن سمع الحسن قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم: ((ما جرعة أحب إلى الله من جرعه غيظ كظمها رجلٌ أو جرعة صبرٍ عند مصيبة...)) الحديث إلخ.

(2) في (أ): أحرز.

(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(4) في (ب): ومحكمانه.

(5) لكم، زيادة في (ب) وفي النهج.

(863/3)

(ولكن أمرتا بمنافعكم): إصلاح أحوالكم، وقيام أقواتكم، وتحصيل أرزاقكم.

(فأطاعتا): لأمرالله تعالى من أجل ذلك.

(وأقيمتا على حدود مصالحكم): الدنيوية من المنافع.

(فقامتا): من الاستقامة على ذلك.

(إن الله تعالى يبتلي): يختبر.

(عباده عند الأعمال السيئة): المعاصي التي تسوء صاحبها بإسقاط منزلته عند الله.

(بنقص الثمرات): وهو ما يصيبها عند ذلك من المصائب بالإعصار، وإرسال الهوام من الجراد، وسائر الهوام التي تنقصها وتأكلها وتفسدها.

(وحبس البركات): قبض الزيادات من جهة الله تعالى؛ جزاء بما عملوا من ذلك.

(وإغلاق خزائن الخيرات): منها لطفاً من جهة الله، وتمحيصاً وتعريضاً، وبذلاً للألطاف.

(ليتوب تائب): من ذنبه.

(ويقلع مقلع): من معصيته.

(ويتذكر متذكر): ما أصاب من كان قبلهم من الْمُثُلاَتِ(1)، وحلَّ بهم من العقوبات.

(ويزدجر مزدجر): يتعظ متعظ، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ}[القمر:4] متعظ لمن اتعظ به.

(وقد جعل الله سبحانه الاستغفار): طلب المغفرة بالجؤار إلى الله تعالى، والدعاء إليه بذلك، وذلك

يكون على أوجه خمسة:

أولها: الرغبة إلى الله تعالى؛ بأن تجعل باطن كفك إلى السماء.

وثانيهما: الرهبة؛ بأن تجعل ظاهر كفك إلى السماء.

وثالثها: التبتل؛ بأن تجعل يديك على فخذيك، وتحرك جسدك مرة بعد مرة.

ورابعها: التضرع، وهو أن ترفع يديك، وتميلهما يميناً وشمالاً.

وخامسها: الابتهال، وهو لايكون إلا بالخروج، ورفع اليدين ومدُّهما أشد ما يقدر عليه، فهكذا يكون الأدب في الدعاء.

(سبباً للرزق(2)): إنزاله على الخلق، وإدراره عليهم.

---

(1) المثلات: العقوبات.

(2) في نسخة وشرح النهج: سبباً لدرور الرزق.

(864/3)

(ورحمة للخلق(1)): لطفاً بهم في الإقبال على الطاعة، وإرادة لمنافعهم من ذلك.

(كما قال تعالى): حكاية عن نوح عليه السلام.

({فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا})[نوح:10]: لخطاياكم(2).

({يُرْسِلِ السَّمَاءَ})[نوح:11]: غيثها(3) ومطرها.

({عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا})[نوح:11]: متتابعاً بعضه في إثر بعض.

({وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ})[نوح:12]: يوصلها إليكم من جهته، {وَبَنِينَ}(4).

(فرحم الله امرأً): الرحمة من الله هي اللطف.

(استقبل توبته): جعلها نصب عينيه غير غافل عنها، ولا معرض عن فعلها.

(واستقال خطيئته): طلب من الله الإقالة منها بالمغفرة، والعفو من جهته.

(وبادر منيته!): سابق الموت عن أن يحول بينه وبينها.

(اللَّهُمَّ، إنَّا خرجنا إليك): إلى ها هنا للانتهاء، أي وأنت الغاية لمقصدنا.

(من تحت الأستار والأكنان): من ها هنا لابتداء الغاية، والستر: ما يستر من البيت وما شاكله، والكنُّ: ما وقى من الشمس وغيرها.

(وبعد عجيج البهائم والولدان): عطشاً وفاقة، من ألم القحط والجوع.

(راغبين في رحمتك): حال من الضمير في خرجنا.

(وراجين فضل نعمتك): ومؤمِّلين إفضالك، وكريم نعمتك.

(وخائفين من عذابك ونقمتك): بالقحط وحبس المطر، والرجاء إنما يكون في الأمور المحبوبة، والخوف مخصوص بالأمورة المكروهة.

(اللَّهُمَّ، فاسقنا غيثك): المطر الذي تغيث به خلقك.

(ولا تجعلنا من القانطين): الآيسين من رحمتك.

(ولا تهلكنا بالسنين): المجدبة، فنهلك جوعاً وهزالاً.

___

(1) في النهج: الخلق.

(2) في (أ): لخطابكم، وهو تحريف.

(3) في (أ): أغيثها.

(4) بقية الآية القرآنية الشريفة: {ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا} صدق الله العظيم.

(865/3)

(ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منَّا(1)): الجاهلين بحقك، والغامصين لنعمتك.

(يا أرحم الراحمين): أعظم الراحمين رحمة، وأكثرهم لطفاً، وكيف لا ورحمتهم لما رحموه مأخوذة من رحمتك.

(اللَّهُمَّ، إنا خرجنا(2)): من البيوت شاخصين عنها.

(نشكو إليك): من أحوالنا:

(ما لا يخفى عليك منها): لإحاطة علمك، واشتماله على كل خفية، فخرجنا:

(حين ألجأتنا المضايق الوعرة): لجأت إليه إذا استندت إليه، والتجأت إذا اضطررت، والمضايق: جمع مضيقة، وهو: القفر، والوعرة: الصعبة.

(وفاجأتنا(3)):، من قولهم: فاجأه مفاجأة إذا قابله.

(المقاحط المجدبة): جمع مَقْحَط، و الجدب: نقيض الخصب.

(وأعيتنا المطالب المتعسرة): عيَّ بأمره إذا تحيَّرفيه، والمطالب: جمع مطلب، والعسر: نقيض اليسر.

(وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة): [تلاحمت](4) التصقت بنا،، من قولهم: ألحمت الشيء بالشيء(5) إذا ألصقته به [الفتن](6): الحروب التي يصعب أمرها، ويعظم خطبها.

(اللَّهُمَّ، إنا نسألك): نوجه المسألة إليك، ونطلب إجابتها من جهتك.

(ألا تردنا خائبين): خاب الرجاء إذا بطل، ولم يكن له ثمرة.

(ولا تقلبنا): عن خروجنا هذا، وعن إقبالنا إليك.

(واجمين): وجم الرجل(7) إذا اشتد حزنه، وعظم أسفه.

(ولا تخاطبنا بذنوبنا): تقررها(8) علينا، وتذكرها لنا توبيخاً وتقريعاً.

---

(1) قوله: منا سقط من (أ).
(2) في (أ): اللهم أخرجنا، وفي نسخة أخرى: اللهم خرجنا، في (ب) وشرح النهج ما أثبته.
(3) في النهج: وأجاءتنا.
(4) زيادة في (ب).
(5) قوله: بالشيء، سقط من (أ).
(6) زيادة في (ب).
(7) قوله: الرجل، سقط من (أ).
(8) في (ب): تقدرها.

(866/3)

(ولا تفايشنا(1) بأعمالنا): تكشف غطاءنا بما عملناه(2)، وتزيل عنَّا سترك بأفعالنا.
(اللَّهُمَّ، انشر علينا غيثك): ابسطه ليكون شاملاً لبلادنا.
(وبركتك): زيادتك من عطائك الجمِّ ومنّك الذي عمَّ.
(ورزقك): الذي تفضلت به.
(ورحمتك): التي مننت بها.
(واسقنا سقيا نافعة): كثير نفعها في جميع أحوا لها.
(مروية): للسهل والجبل.
(معشبة): محيية لما قد مات، ورادّة لما قد فات.
(تنبت بها ماقد فات): من الزروع، والأشجار والكلأ.
(وتحيي بها ما قد مات): من الحيوانات برد عوضه، وهبة أمثاله من جودك وعطائك.
(نافعة الحيا): الحيا هو: المطر، وأراد مسكنة للعطش.
(كثيرة المجتنى): إما يكون المجتنى بالنون ومعناه كثير جناؤها وثمرها، وإما أن يكون بالباء بنقطة من أسفلها، أي كثير خراجها وعطاؤها(3)، والأول هو سماعنا.
(تروي بها القيعان): جمع قاع، وهي: الصحاري والأراضي المتسعة.
(وتسيل البُطنان): جمع بطن وهو: أجواف الأودية وعميقها.
(وتستورق بها(4) الأشجار): من ريها وغضارتها.
(وترخص الأسعار): لكثرة الحبوب وسعتها من كثرة(5) المطر.

(إنك على ماتشاء قدير): من ذلك كله.

(135) ومن خطبة له عليه السلام

(بعث الله(6) رسله): إلى الخلق.

(بما خصَّهم به من وحيه): أيدهم به من المعجزات.

(وجعلهم حجة له على خلقه): لما عصمهم به عن(7) القبائح بالألطاف الخفية.

(لئلا تجب الحجة لهم): للخلق على الأنبياء.

(بترك الإعذار إليهم): لولم يرسل الأنبياء.

(فدعاهم): الله.

---

(1) فشا خبره أي انتشر، وفي شرح النهج: ولا تقايسنا.

(2) في (أ): علمناه، وهو تصحيف.

(3) في (أ): وإعطاؤها.

(4) بها، زيادة في (ب).

(5) في (أ): كثر.

(6) الله، زيادة في النهج.

(7) في (ب): من.

(867/3)

(بلسان الصدق): وهم الأنبياء؛ لأنهم صادقون فيما قالوه من ذلك.

(إلى سبل(1) الحق): إلى التوحيد والإلهية، والإقرار بالربوبية.

(إلا(2) أن الله قد كشف الخلق كشفة [مكافاةٍ] (3)): إلا ها هنا للاستثناء المنقطع؛ لا نفصالها عمَّا تقدم، ويجوز أن تكون واردة للتنبيه، كقوله تعالى: {أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[يونس:62] فالأمران محتملان كما ترى، وكشفة منصوب على المصدرية، نحو: ضربت ضربة، وأراد بذلك أنه بيَّن المطيع من هو والعاصي كذلك.

(لا أنه جهل ما أخفوه): ليس كشفه ذلك؛ لأنه قد خفي عليه الأمر فيما أضمروه.

(من مصون سرائرهم(4)): صان الثوب يصونه صوناً، إذا لم يلبسه، وهومجاز ها هنا، وأراد أنه لم يعلمها سواه فهي مصونة عن غيره.

(ومكنون ضمائرهم): مستورها.

(ولكن ليبلوهم): من البلوى، وهي: الاختبار.

(أيهم أحسن عملاً): في الإخلاص والمراقبة، والعمل لوجه الله تعالى.

(فيكون الثواب جزاء): على الأعمال الصالحة.

---

(1) في النهج: سبيل.

(2) في شرح النهج: ألا إن.

(3) سقط من شرح النهج، ومن نسخة أخرى.

(4) في نسخة أخرى، وفي شرح النهج: أسرارهم.

(868/3)

(والعقاب بواءً) أي مساواة، والمعنى أن الحسنة مضاعفة لصاحبها، والعقاب مساو للمعصية من غير زيادة، كما قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا}[الأنعام:160] وهذا من لطف الله تعالى، وعظيم كرمه؛ لأن الجزء(1) الواحد من الثواب يكون جزاءً، والباقي(2) فضل من الله تعالى وزيادة من إحسانه، والبواء: المساواة، يقال: دم فلان بواء لدم فلان أي سواء، قال:

فإنْ تَكُنِ القتلى بَوَاءً فإنَّكُم

فتًى ما قَتَلْتُم آل عَوْفِ بن عَامِرِ(3)

(أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا(4))؟: استفهام خارج مخرج الإنكار والتقرير، وأراد أنه يستحيل أن تكون أقدامهم راسخة في العلم بالله تعالى، ومعرفة أحكام الشريعة، ونحن لا نعلم ذلك، ويزعمون أنهم أحق منَّا به(5) وأولى.

(كذباً): على أنفسهم في قولهم خلاف الحق.

(وبغياً علينا): حيث ادَّعوا ما ليس لهم، وانتصابهما على المصدرية الواقعة موقع الأحوال، كأنه قال: كاذبين في هذه المقالة، وباغين خلاف الحق في هذه الدعوى.

(أن رفعنا الله ووضعهم): من أجل أن رفعنا(6) الله، أي ماكان كذبهم وبغيهم إلا أن الله رفع مراتبنا عليهم، ووضعهم بحيث(7) لم يبلغوا تلك المراتب ولا وصلوها.

(وأعطانا): من فضله وجوده.

(وحرمهم): ذلك.

(1) في (أ) و(ب): الجزاء، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) في (أ): والثاني.

(3) البيت لليلى الأخيلية وهو في شرح النهج 85/9 ، وفي لسان العرب 283/1.

(4) في (أ): دونكا، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من النهج، ومن (ب).

(5) قوله: به، سقط من (أ).

(6) بعده في (ب): ووضعهم.

(7) في (ب): حيث.

(869/3)

(وأدخلنا): في كرامته أو في الولاية على خلقه.

(وأخرجهم): عن ذلك فلا يدخلون فيه.

(بنا يستعطى الهدى): استعطى كذا، إذا طلب أن يعطاه، وأراد أنهم تطلب منهم الهداية، وتؤخذ أحكامها في كل أمر من الأمور الدينية والدنيوية.

(ويستجلى العمى): يطلب جلاؤه، وأراد أن الضلالة لاتُزال إلا بهم وحميد سعايتهم.

(إن الأئمة من قريش): أي في(1) هذه القبيلة من دون سائر القبائل، خلافاً لجميع الخوارج(2) وبعض المعتزلة، وبعض المرجئة(3)، وبعض الإمامية(4)، فإن هؤلاء زعموا أنها في سائر الناس، وهو قول إبراهيم النظام من المعتزلة.

(غرسوا في هذا البطن من هاشم): أراد أنها وإن كانت في قريش، فإنها في بني هاشم من قريش.

(لا تصلح على سواهم): لاتكون الإمامة صالحة على غيرهم.

---

(1) قوله: في، سقط من (أ).

(2) الخوارج: هم الذين فارقوا أمير المؤمنين علياً عليه السلام عند التحكيم وأنشأ مذهبهم عبد الله بن الكواء، وعبد الله بن وهب، ويسمون الشراة، والحرورية، والمحكمة، والمارقة (انظر المنية والأمل في شرح الملل والنحل للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى ص 110،26-112).

(3) المرجئة سميت بذلك لتركهم القطع بوعيد الفساق، وذلك هو جامع مذهبهم، والإرجاء في أصل اللغة التأخير (المصدر السابق 27-120،28-121).

(4) الإمامية فرقة من فرق الشيعة، سميت بذلك لجعلها أمور الدين كلها للإمام وأنه كالنبي، ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا، وسموا رافضة لرفضهم زيد بن عليعليه السلام،

ويسمون اثني عشرية لحصرهم الإمامة في اثني عشر إماماً مذكورين في كتبهم (انظر المصدر السابق ص24-25، 100-102).

(870/3)

(ولا تصلح الولاة من غيرهم): ولا يكون الأئمة صالحين من غيرهم، وهذا مبالغة، وأراد أن الإمامة والأئمة لا تكون صالحة فيمن سواهم.

ثم قال: (آثروا عاجلاً): أراد الدنيا.

(وأخَّروا آجلاً): أراد الآخرة، فإن الدنيا يقال لها: عاجل لحضورها وتعجلها، والآخرة يقال لها: آجل لتأخرها.

(وتركوا صافياً): لا كدر فيه.

(وشربوا آجناً): متغيراً، وعنى بذلك اشتغالهم بأمور الدنيا، وإعراضهم عن أمور الآخرة، فالدنيا آجن لما يعرض فيها من الكدر، وكثرة المحن والأسواء، والآخرة صاف لما يُحْمَد من عاقبتها.

(كأني أنظر): بقرب(1) ذلك، وسرعته.

(إلى فاسقهم): أراد بذلك الحجاج بن يوسف، أو مروان بن الحكم، أو معاوية.

(وقد صحب المنكر فألفه): صاحبه، وتكررعليه فعله مرات كثيرة حتى صار مألوفاً له.

(وبسئ به ووافقه(2)): أنس به وصار موافقاً لطباعه، واستمر على ذلك أزمنةً متطاولة(3).

(حتى شابت عليه(4) مفارقه): من طول فعله له وملابسته إياه.

(وصبغت به خلائقه): امتزجت به امتزاجاً عظيما، حتى لايكاد يبارحه.

(مزبداً(5) كالتيار): أراد الموج، وإزباده: شدة اضطرابه وعظم حركته، وجعل ذلك كناية عن أنه يلابس المنكر بشدة وغلظ.

(لا يبالي ماغرَّق): فيه.

(أو كوقع النار في الهشيم): المتحطم(6) من الزرع.

---

(1) في (ب): تقريب، وفي نسخة أخرى: لقرب.

(2) في (أ): وسبي به ووفقه، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى، ومن شرح النهج.

(3) في (ب): أزمنة طويلة متطاولة.

(4) قوله: عليه زيادة في (ب)، و في شرح النهج.

(5) في (ب) وفي شرح النهج: ثم أقبل مزبداً كالتيار.

(6) في (ب): المحتطم.

(871/3)

(لا يحفل ماحرَّق): وأراد بذلك المبالغة في عظم إتيانه المنكرات، وإسراعه إلى فعلها، ولهذا مثَّله بالموج في تراكمه وبالنار في سرعة إحراقها لما تحرقه.

(أين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى!): في سلوك طريق الدين، وإدراك علوم الآخرة في التوحيد، والعلم بالله والاعتراف بربوبيته.

(والأبصار اللامحة إلى منار التقوى!): المنار هو: علم الطريق، وهذا كله مجاز، وحقيقته هو(1) العلم بالله تعالى وسلوك طريق الجنة.

(أين القلوب التي وهبت لله!): على ما لم يسم فاعله، وأراد التي وهبها أهلها من أجل ثواب الله، وإحراز رضوانه.

(وعوقدت على طاعة الله!): أي عقدها أهلها على القيام بطاعة الله، أي ألزموها ذلك، شبهها في لزومها للطاعة بمنزلة العقد المحكم الذي لا ينحلّ.

(ازدحموا على الحطام): إخبار عمَّن(2) تقدم ذكرهم بقوله: آثرواعاجلاً، وأراد أنهم تزاحموا(3) على متاع الدنيا ونعيمها، الذي لا بقاء له بمنزلة ما تحطَّم(4) واندقَّ.

(وتشاحُّوا على الحرام): أي بخلت به أنفسهم، مع كونه حراماً لايحل لهم أخذه، ولا يجوز لهم تناوله.

(ورفع لهم علم الجنة والنار): طريقهما، شبههما بالعلم المنصوب للطريق، لما فيهما من الإيضاح، ومباينة أحدهما عن الآخر وانفصاله.

(فصرفوا عن الجنة وجوههم): بالإعراض عن أعمالها، والإقبال على الدنيا، فهم بإعراضهم عنها كمن صرف وجهه عن الشيء المبصر فهو لا يدركه.

---

(1) في (أ): هو أن العلم.

(2) في (ب): على.

(3) في (ب): يزدحموا، هكذا بغير إثبات النون.

(4) في (أ): من يحطم أو يدق.

(872/3)

(وأقبلوا إلى(1) النار بأعمالهم): القبيحة، فلهذا كانوا بإيثارهم الأعمال القبيحة بمنزلة من أقبل عليها بوجهه، وقوله: (رفع لهم علم الجنة والنار) مع ما بعدها من تفاصيل أحوالهما، من علم البديع يسمى

اللف والنشر، ألاتراه كيف ضمَّهما في الذكرأولاً، ثم ألحق كل واحدة منهما بما يليق بها من الأحكام، وله في البلاغة موقع عظيم، يعرفه الجهابذة من أهل صناعة البيان.

(دعاهم ربهم): بما قرر في عقولهم من الأدلة الواضحة على معرفته، ووجوب الطاعة له، وبما عهد إليهم على ألسنة الرسل من تصديق ما جاءوا به.

(فنفروا): [عن](2) سماعها.

(وولوا): مدبرين عن العمل بها.

(ودعاهم الشيطان): بالوسوسة والإغواء، والتزيين والكذب، والأماني الباطلة.

(فاستجابوا وأقبلوا!): لدعائه، وأقبلوا على فعل ما يدعوهم إليه من ذلك.

(136) ومن خطبة له عليه السلام

(أيها الناس): خطاب عام لكل أحد.

(إنما أنتم في هذ ه الدنيا غرض): الغرض: مايرمى من قرطاس وغيره(3).

(تنتضل فيكم(4) المنايا): أراد إما ترميكم المنايا،، من قولهم: ناضله إذا رماه، وإما تختاركم بالهلاك،، من قولهم: انتضلت سهماً من كنانتي إذا اخترته ليرمى به.

(مع كل جرعة(5)): من جرعها(6).

---

(1) في (ب): على.

(2) سقط من (أ).

(3) في (ب): أو غيره.

(4) في نسخة وفي شرح النهج: فيه.

(5) في (أ): جزعة، وهو تصحيف.

(6) في (أ): جزعها، وهو تصحيف.

(873/3)

(شَرَقٌ): شرق بريقه إذا غُصَّ به، وفي الحديث: ((يؤخرون الصلاة إلى شرق الموتى))(1) أي إلى أن يبقى من الشمس مقدار ما يبقى من حياة من شرق بريقه عند الموت، قال عدي بن زيد(2):

لَوْ بِغيْرِ الماءِ حَلْقِي شَرَقٌ

كُنتُ كَالغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتِصَارِي(3)

(وفي كل أكلة غصص): الأكلة بضم الفاء ما يؤكل، والغصص بالفتح مصدر غصص الرجل بالطعام إذا اعترض في حلقه فلا يدخل ولا يخرج، والغصص بالضم جمع غصة وهي: الشجا.
(لا تنالون منها نعمة): وهو إدراك ما كان من لذاتها ونعيمها، في مستقبل الأعمار وحاضرها.
(إلا بفراق أخرى): أي لاتقيمون وقتاً من أوقات الدنيا إلاوتفارقون مثله، فما كان في الأول من النعمة فقد مضى، والثاني لا يأتي إلا بعد زوال الأول، وانقطاعه من تلك النعمة، بتقضيها(4) وزوالها.
(ولا يعمر معمر منكم يوماً من عمره): أي ما يقيم ساعة في الدنيا.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 378/1، والهيثمي في مجمع الزوائد 285/7، والبيهقي في السنن الكبرى 83/2، وعبد الرزاق في مصنفه 382/2، وابن أبي شيبة في مصنفه 154/2.
(2) هو عدي بن زيد بن حماد العبادي التميمي، المتوفى نحو سنة 35ق. هـ شاعر من دهاة الجاهليين، كان قروياً من أهل الحيرة فصيحاً، يحسن العربية والفارسية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، اتخذه في خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب، جمع ما بقي من شعره في ديوان مطبوع (الأعلام 220/4).
(3) في (أ): بالماء من اعتصاري، وهو خطاء، والبيت في لسان العرب 305/2 ونسبه لعدي بن زيد أيضاً.
(4) في (ب): بنقصها.

(874/3)

(إلا بهدم آخر من أجله): لأن الأوقات منقضية، والأزمنة متكررة فلا يمكن حصول الغد إلا بذهاب اليوم، فهو لايصل إلىغد من عمره إلا بعد ذهاب اليوم من عمره، فلهذاصدق قوله: (إلا بهدم آخر من أجله) كما ترى.
(ولا تُجدَّد له زيادة في أكلة): الأَكلة بفتح الفاء(1) هي المرة الواحدة، والأُكلة بالضم ما يؤكل، وسماعنا بالفتح، وأراد أنه لايمكنه الوصول إلى أكلة واحدة.
(إلا بنفاد ما قبلها من رزقه): لأنه لا يصل إلى هذه إلا بعد نفاد ما سبقها(2) من الأرزاق.
(ولا يُحْيَا له أثر): من الخصال المحمودة، والمناقب العالية.
(إلا ويموت(3) له أثر): بالاندراس والامحاء؛ لتطاول الأزمان وتكررها، فلهذا يكون الأول منها ذاهباً.
(ولا يتجدد له جديد): من عمره من الأيام.

(إلا بعد أن يَخْلَقَ جديد): لأن غداً لا يأتي إلا بعد ذهاب اليوم، وهو الآن جديد وما بعده يكون جديداً كما ذكرناه، فلهذا قال: لا يتجدد غد(4) إلا بعد أن يخلق اليوم ويكون ماضياً.

(ولا تقوم له نابتة): أي لا ينبت له شيء من أمور الدنيا من رزق ولا عمر.

(إلا وتسقط منه محصودة): إلا ويزول [عنه شيء آخر منها، وجعل النابت عبارة عمَّا ينبت منها، والمحصود عبارة عمَّا يزول](5) منها ويفنى.

(وقد مضت أصول): الآباء والأمهات والأجداد.

(نحن فروعها): لأنهم لولاهم ما كنّا، وهذا هو الفائدة يكون الشيء أصلاً لغيره.

---

(1) في (ب): الأكلة بالفتح في ...إلخ.

(2) في (ب): ما يسبقها.

(3) في (ب): إلا يموت، وفي شرح النهج: إلا مات.

(4) في (أ): غداً

(5) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(875/3)

(فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله؟): ما ها هنا استفهامية، وأراد كيف يبقى فرع مع(1) ذهاب أصله، هذا مستحيل في العقول متعذر.

(وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة): البدعة هي: الحدث في الدين، ثم منها ماهو محمود وما هو أبدع، وليس مضاداً للسنة، ولا مزايلاً(2) لها، ومنها ماهو مذموم، وهوما كان مضاداً للسنة مناقضاً لها فلهذا قال: إحداث البدعة فيه ترك السنة، يشير به إلى ماقلناه.

(فاتقوا البدع): احذروها، وفي الحديث: ((من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة))(3).

(والزموا المهيع): الطريق الواسع.

(إن عوازم الأمور أفضلها): أي ما كان منها متقدماً، وهوجمع عازمة وأراد ما عمل به الأفاضل من القدماء، والعيون من العلماء، فهو حق لا معزل عنه، أو يكون جمع عوزم، وهي: العجوز المسنة، استعارة من ذلك أي ما كان متقدماً معمولاً به من السلف الصالح، فهو حق فيجب اتباعه، ولا يجوز مخالفته.

---

(1) في (ب): بعد.

(2) في (ب): ولا مزيلاً.

(3) رواه في مسند الشهاب 318/1، وفي كشف الخفاء 308/2، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي 151/8 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 196/6، والأسرار المرفوعة لعلي القاري (333).

(876/3)

(فإن(1) محدثاتها شرارها): أي ما أحدث(2) ولم يسبق به عمل أهل الصلاح فهو شر، وأراد ما أحدث مما يكون مخالفاً لما قد عمل عليه الأفاضل من أهل البصيرة، وفي الحديث: ((ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن))(3)، وقال: ((خير الأمور أوسطها(4)، وشرها محدثاتها)).

(137) ومن كلام له عليه السلام يخاطب عمر(5) رضي الله عنه وقد استشاره في حرب الفرس بنفسه

(إن هذا الأمر): يشيرإلى الدين.

(لم يكن نصره لأحد(6) ولا خذلانه): تأييده و لانقصة بعناية، من جهة أحد من الخلق.

(بكثرة ولاقلة): غلبة في الجيوش، ولاقلة منهم.

(وهو دين الله): توحيده، وأوامره ونواهيه.

(الذي أظهره): أعلنه(7) على أَوْجِ(8) الشمس، وعلى رءوس الأشهاد.

(وجنده الذي أعدَّه): للأعداءممن خالف أمره ونهيه.

(وأمدَّه): من عنده بالنصروالتأييد، والغلبة والتثبيت.

(حتى بلغ ما بلغ): إلى حيث لا يمكن حدُّه ولا وصفه، من الاستطالة والعلو.

(فطلع حيث طلع): من الرفعة إلى حيث علم الله.

---

(1) في النهج: وإن.

(2) في (ب): حدث.

(3) أخرجه من حديث عن أبي ذر الهيثمي في مجمع الزوائد 177/1، ورواه موقوفاً على عبد الله بن مسعود الحاكم النيسابوري في المستدرك 83/3، وأحمد بن حنبل في مسنده379/1، وأورده في موسوعة أطراف الحديث 133/9 وعزاه إلى نصب الراية للزيلعي 133/4، وكشف الخفاء 263/2 وغيرها.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: أوساطها.

(5) في (ب): ومن كلام له لعمر.

(6) لأحد، سقط من النهج.
(7) في (ب): أعلاه على برج.
(8) الأوج: ضد الهبوط.

(877/3)

(ونحن على موعود من الله): إما على وعد من الله إن قلنا: إن(1) اسم المفعول في موضع المصدر، وإما على أمر موعود به من جهة الله تعالى في النصر لدينه، وخذلان ماعداه من الأديان ومحوها وإزالتها.

(والله منجز وعده): أنجز وعده إذا أتمَّه، وحصله وصدق فيه.

(وناصر جنده): وهم جند الإسلام.

(ومكان القيِّم بالأمر): القائم بأعباء الخلافة، الصادر عن رأيه جميع أحكام الشريعة والمنفذ(2) لها.

(مكان النظام من الخرز): أراد بمنزلة الخيط الذي ينظم فيه الخرز واللآلئ، فإنه لا محالة:

(يجمعه ويضمه): مخافة ألا يتفرق ويتبدد.

(فإن انقطع النظام): الخيط الذي سلكت فيه هذه الخرز.

(تفرق وذهب): لفقد ما يضمُّه ويجمعه.

(ثم لم يجتمع(3) بحذافيره أبداً): الواحد حذفور، وهن: أعالي الشيء ونواحيه وجوانبه، وفي الحديث: ((إذا بدا علم من أعلام الساعة وأشراطها، تتابعت كنظام انقطع سلكه))(4)، فلهذا تناثر لعدم ما يمسكه.

(والعرب اليوم): أراد به الوقت الذي هم فيه.

(وإن كانوا قليلاً): عدداً قليلاً إذ لم يفش الإسلام، وتنتشر(5) حواشيه:

(فهم كثير(6) بالإسلام): أراد أنهم وإن كان عددهم قليلاً فسلطانهم عظيم بالإسلام، وفي الحديث: ((الإسلام يعلو ولا يعلى)).

(عزيزون بالاجتماع): أراد بالتناصر والمعاضدة، والتعاون، والمرافدة من بعضهم ببعض(7).

---

(1) في (أ): إنه، وما أثبته من نسخة أخرى، و في (ب): إنه اسم مفعول.
(2) في (ب): والمفيد.
(3) في (أ): يجمع.
(4) أخرج الحديث بمعنى مقارب الترمذي في سننه 495/4، والمنذري في الترغيب والترهيب 5/4، وهو في مسند شمس الأخبار 366/2 في الباب (187).

(5) في (ب): وتنتشر.

(6) في النهج: فهم كثيرون.

(7) في (ب): بعض.

(878/3)

(فكن قطباً): القطب هو: المسمار الذي(1) تدور عليه الرحى.

(واستدر(2) الرحى بالعرب): أراد إما اجعلهم رحى(3) لك وأدرها أنت بنفسك، أو أراد كن أنت كالرحى، واطلب إدارتها بهم.

(وأَصْلِهم دونك نار الحرب): واجعلهم يصلونها ما خلاك أي يدخلونها ويلقون شرها،، من قولهم: أصليته النار إذا أدخلته فيها، قال الله تعالى: {جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا}[إبراهيم:29].

(فإنك إن شَخَصت): فارقت مكانك.

(من هذه الأرض): دار الإسلام وحيث إنفاذ حكم(4) الله تعالى، والقيام بأمر المسلمين.

(انتفضت عليك العرب): يحتمل أن يكون بالفاء،، من قولهم: نفضت الثوب أنفضه إذا حركته، ومن نفضت المرأة كرشها إذا كثر(5) ولدها، ويحتمل أن يكون بالقاف، من قولهم: تنقضت(6) الأرض بالنبات إذا تشققت(7) به، وأراد انتشارهم بالمخالفة عليه.

(من أطرافها): أقاصيها البعيدة.

(وأقطارها): جهاتها المتباينة، يطلبون اجتياح دار الإسلام، والغلبة عليها قهراً، ويعظم مكرهم، [وتكبر(8)] استطالتهم بعدك على من وراءك من المسلمين.

(حتى يكون ما تدع وراءك): من دار الإسلام، وحفظ من فيها من العلماء وكافة المسلمين.

(من العورات): الأمور المهمة التي يجب سترها وتغطيتها، وإنما قال لها: عورة لما يظهر عند انكشافها وتغيرها من القبح والمسآءة في الدين.

(أهمَّ إليك): أعظم موقعاً عندك؛ لأنها هي الأصل وماعداها كالفرع بالإضافة إليها.

(مما بين يديك): ممن غزوته وقصدته من هؤلاء.

---

(1) في (أ): التي.

(2) في (أ): واستد، وهو تحريف.

(3) في (ب): رحاك.

(4) في (ب): وحيث الانقياد لحكم الله تعالى.

(5) في (أ): كبر.

(6) في (ب): تنقض.

(7) في (ب): شققت.

(8) سقط من (ب).

(879/3)

(إن الأعاجم): جمع أعجم، وهو: الذي لا يبين كلامه.

(إن ينظروا إليك غداً): في هذه الأوقات المستقبلة.

(يقولوا): يجيلوا أنظارهم، ويضربوا سهام الرأي.

(هذا أصل العرب): قاعدة أمرهم، والذي تدور عليه الرحى، ويقولوا(1) لأنفسهم:

(إذا(2) اقتطعتموه): استأصلتموه قتلاً، وأخذتموه.

(استرحتم): عن الحرب وشنِّ الغارات من كل جهة إذ لا يبقى أحد منهم يقوم مقامه ويسدُّ مسدَّه.

(فيكون ذلك): يشير إلى ما قد قرروه(3) في أنفسهم مما ذكره.

(أشد لكلَبِهم): أعظم لمكرهم، وأدخل في جرأتهم.

(عليك): في قتلك واستئصال شأفتك.

(وطمعهم فيك): ويكون سبباً لأن يطمعوا فيك، فَقَبِلَ ما قاله أمير المؤمنين، وترك عمر الغزو بعد ذلك، وعرف أن هذا هو الأمر بالحزم، والوثيقة بالعزم، وأنه كلام عارف بالحرب ومكائدها، ومحيط منها بأسرارها ومقاصدها.

(فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال(4) المسلمين): لأن عمرقال: إن الفرس قد خرجوا لقتال المسلمين، يؤكد غزوهم إلى بلادهم، فقال له أمير المؤمنين:

(إن الله أكره لمسيرهم منك): فلو شاء لكفَّهم عن ذلك.

(وهو أقدرعلى تغيير ما يكره): ولكنه يريد البلوى والامتحان بالصبر على الجهاد ومشاقه، وعظيم تكاليفه.

(وأما ما ذكرت من عددهم): لأن عمرقال: إنهم عدد عظيم، وجمٌّ غفير، لا يحصي أعدادهم إلا الله، وهم زائدون على العدة التي حكى الله تعالى من أن الواحد يكون للا ثنين، وأراد أن الجهاد والحال هذه مع كثرة عددهم هل يكون واجباً أو يسقط وجوبه؟ فقال له أمير المؤمنين:

---

(1) في (أ): وتقول.

(2) في (ب) والنهج: فإذا.

(3) في (ب): قدروه.
(4) قوله: قتال، سقط من (أ).

(880/3)

(فإنّا(1) لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة): أراد في زمن الرسول في جميع الغزوات كلها، كبدر، وحنين، والخندق، وغيرها من الغزوات.

(وإنّما كنّا(2) نقاتل بالنصر): من جهة الله تعالى بإمداد الملائكة.

(والمعونة): بالألطاف الخفية، كإلقاء الرعب في قلوبهم، وخذلانهم بالفشل والطيش، والهيبة في صدورهم، وغير ذلك مما يكون سبباً في فشلهم، وإرعاد فرائصهم، فترك عمرما في نفسه من ذلك، ولم ير إلى مخالفة أمير المؤمنين في ذلك سبيلاً، لما تحقق وجه الصلاح، وعلم أنه هو(3) الرأي الذي لا يسع مخالفته(4)، وكيف لا وقد لاحت على وجهه مخايل الصواب، وزالت عنه ترجيمات الظنون، وشكوك الارتياب، وقدكان استشاره في غزو الروم أيضاً، فأشار بخلاف ذلك، وقد قدمنا كلامه في ذلك، وقيصر هو ملك الروم، ولما وصل إليه كتاب رسول الله قَبِلَه(5)، وكسرى هو ملك الفرس، ولما وصل إليه كتاب رسول الله(6) مزَّقه، فقالعليه السلام: ((تمزق ملكه))(7)، ثم قال النبي عليه السلام: ((إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده))(8)، يشير بذلك إلى قوة الإسلام، وإبطال أمرهم، فكان كماقال من أخذهم وقتلهم، واستئصال المسلمين لشأفتهم، فقتل الله هذا كسرى أنو شروان بجند الإسلام وأنصاره، وأخذت بنته بوران سبية، وضرب

---

(1) في (أ): فإن.
(2) قوله: كنا زيادة في (ب). وشرح النهج.
(3) هو، زيادة في (ب).
(4) انظر تفاصيل ذلك في شرح ابن أبي الحديد 9/99-101.
(5) في (ب): قبَّله.
(6) في (أ): الرسول.
(7) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 9/177.
(8) أخرجه البخاري في صحيحه 3(1135)، وابن حبان في صحيحه 15/83، والترمذي في سننه 4/497، والهيثمي في مجمع الزوائد 8/289، والبيهقي في السنن الكبرى 9/177.

(881/3)

عليها بالسهام، فسألها عبد الله بن عمر أباه ليطأها فأبى، فأعطاها(1) الحسن بن علي، وقال لابنه(2): إئتني بأب مثل أبيه، وأم مثل أمه، وأنا أعطيك إياها.

(138) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها القرآن

(بعث(3) محمداً صلى الله عليه وآله(4) بالحق): وهو علمه بما للخلق فيه من المصلحة والهداية إلى الدين القيِّم فبعثه الله.

(ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته): من الشرك إلى التوحيد، وأن تكون العبادة خالصة لله تعالى، [ولا تكون لغيره من وثن أو صنم، أو غير ذلك مما يُعْبَدُ من دون الله.

وقوله: (عباده من عبادة الأوثان) من أنواع البديع، يسمى بالتجنيس المطلق، كقوله تعالى](5): {يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ}[يوسف:84] وقوله تعالى: {وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ}[النمل:44]، وهوموجود في القرآن كثير، ومنه قول أبي فراس(6):

فما السُّلاف دَهَتْني بل سوالفُه

ولا الشَّمول ازْدَهَتْني بل شمائلُه(7)

أَلْوِي بِعَزْمِي أصداغَ لوينَ(8) به

---

(1) في (أ): وأعطا.

(2) في (أ): لأبيه، وهو تصحيف.

(3) في النهج: فبعث الله محمداً ...إلخ.

(4) وآله، زيادة في النهج.

(5) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(6) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي، المشهور بأبي فراس الحمداني [320-357هـ] أمير شاعر فارس، وهو ابن عم سيف الدولة، وله وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة، وكان سيف الدولة يحبه ويجله ويستصحبه في غزواته كلها، وقلده منبجاً وحران وأعمالها، وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 155/2).

(7) السُّلاف: الخمر، والسوالف: ناحية مقدَّم العُنُق، والشَّمول: الخمر أيضاً، والشمائل: الأخلاق.

(8) في (ب): ألون.

وعِيْلَ صَبْرِي بما تَحْوِي حلائلُه

وفي الحريريات(1) قوله:

وأَحْوَى حَوَى رِقِّي بِرقة لطْفِهِ

وغَادَرني أَلِف السُّهادَ لغدرِهِ

(ومن طاعة الشيطان): فعل ما يريده من القبائح كلها، والكف عن الواجبات كلها.

(إلى طاعته): إلى فعل ما يريده من ذلك.

(بقرآن): الباء متعلقة بقوله: بعث، أو بقوله: ليخرج، إما على على جهة الآلة، كقولك: كتبت بالقلم، وإما على جهة الحالية، كقولك: دخل علينا بثياب السفر أي لابساً لها.

(قد بيَّنه): إما أظهر مراده منه بما أوضحه فيه من الأحكام، وإما بَّين محكمه من متشابهه ومجمله من مبيّنه، وعامه بخاصه، وغيرذلك من الأحكام المبهمة فيه.

(وأحكمه): إما جعل محكماً لا لبس فيه، وإما جعل فيه الحكمة والشفاء والنور والهدى، كما قال تعالى: {تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ}[النحل:89].

---

(1) في (أ): الجريريان.وهو تحريف، والحريريات هي المعروفة بالمقامات الحريرية نسبة لمؤلفها القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري، المتوفى سنة 516هـ.

(ليعلم العباد ربهم إذ(1) جهلوه): ليعلموا منه الأدلة [الباهرة](2) على وجود الله تعالى، وتوحيده وحكمته، فإن الله تعالى رتَّب الأدلة على وجوده، وباهر حكمته وعجائب مخلوقاته على أكمل ترتيب، وساقها على أحسن سياق، بحيث لا يوجد تحريرها في كتب المتكلمين، ولا يخطر لأحد منهم على بال، وأكثر القرآن مملؤ من الدلالة على التوحيد، وإبطال إلهية غيره، وإثبات الحشر والنشر، وأحوال القيامة، وغير ذلك من العلوم الدينية، ولنذكر من ذلك آية(3) منبهة على غيرها، وهي قوله تعالى في سورة البقرة: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا(4) رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ...} إلىقوله: {خَالِدُونَ}(5)

(1) في (أ): إذا.
(2) سقط من (ب).
(3) في (أ): أنه، وهو تصحيف.
(4) في النسخ: اتقوا، والصواب كما أثبته.
(5) هي خمس آيات قرآنية شريفة في سورة البقرة من الآية (21) إلى الآية (25) وهنّ قول الله عز وجل: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} صدق الله العظيم.

(884/3)

فدلّ أولاً على وجوده بخلقهم، وبخلق آبائهم، وبخلق السماء والأرض، ثم بإنزال المطر، وخلق هذه الثمرات رزقاً للخلق، ثم خرج من ذلك إلى تقرير النبوة بإظهارالمعجز والتحدي به(1)، ثم حذَّر من النار وبشَّر بالجنة، فجمع في هذه الآية من أ صول الديانة، وأحكام الآخرة ما يشهد له ظاهرها(2) بالترتيب اللائق، وتشهد له العقول بالصحة والثبات(3)، وهكذا حال غيرها من الآيات من سورة النحل، وغيرها من السور.

(وليقروا به بعد إذ جحدوه): بإثبات غيره إلهاً.

(وليثبتوه بعد إذ أنكروه): ونفوه، وعلَّقوا هذه الحوادث بغيره من عقل، أو فلك أو نجم، أو غيرذلك من التمويهات الباطلة.

(فتجلَّى لهم سبحانه في كتابه): ظهر بما أودع في كتابه من بيان هذه الأدلة الدالة على وجوده، وإثبات حكمته وباهر قدرته.

(من غير أن يكونوا(4) رأوه): لم يشاهدوه اكتفاء بمشاهدة العقول له، وتحققها لوجوده.

(وبما أراهم من قدرته): من خلق هذه المكونات العظيمة الدالة على باهرالقدرة، كما قال تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[الأنعام:102].

(وخوّفهم من سطوته): عذابه ونقماته، بقوله تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ}[البروج:12]، {إِنَّ رَبَّكَ

لَشَدِيدُ الْعِقَابِ}[الرعد:6].

(وكيف محق من محق بالمَثُلات): محقه إذا أبطله وأفسده، والمثُلات: العقوبات.

(واحتصد من احتصد بالنقمات!): حصده(5) إذا قطعه، قال الله تعالى: {مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ}[هود:100] وأراد وقطع دابر من قطع من الأمم الماضية، والقرو ن الخالية.

---

(1) قوله: به، زيادة في (ب).

(2) في (أ): ظاهره.

(3) في (أ): والبيان.

(4) يكونوا، زيادة في شرح النهج.

(5) في (أ): أحصده.

(885/3)

(وإنه سيأتي عليكم من بعدي): بعد وفاتي وانقطاع أيامي.

(زمان ليس فيه شيء(1) أخفى من الحق):لاندراس أحكامه وامحاء رسومه وأعلامه.

(ولا أظهر من الباطل): لعلوه وارتفاعه.

(و لا أكثر من الكذب على الله وعلى رسوله): فيكذب عليهما، ويقال عليهما ما لا يقولانه.

(وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبورمن الكتاب): بار المتاع إذا كسد، ولم يكن له قيمة ولا وزن.

(إذا تلي حق تلاوته): إذا أقيمت حروفه، وأخرجت من مخارجها، وأظهرت أحكامه، وأقرّت في مواضعها، فمتى كان على هذه الصفة كان بائراً لا يلتفت إليه، ولايعول عليه.

(ولا أنفق منه إذا حرِّف عن مواضعه): أراد أن القرآن إذا بدِّلت أحكامه وغيِّرت رسومه، كانوا أشوق ما يكون إلسماعه، وأقبل ما يكون عليه لماكان ذلك يوافق أهواءهم، وتطيب به نفوسهم، فهم يسرعون إليه غاية الإسراع.

(ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف): لقلة من يعمل به، ويدعو إليه فهو ينكر إذا قصد.

(ولا أعرف من المنكر): لكثرة العاملين به، وإقبال الناس عليه.

(فقد نبذ الكتاب حملته): كنى بذلك عن اطراح أحكامه وإهماله، كما قال تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ}[آل عمران:187].

(وتناساه حفظته): بترك درسه حتى امَّحى عن قلوبهم.

(فالكتاب يومئذ وأهله): عنى بالكتاب القرآن، وبأهله أهل البيت، هو وأولاده، وأراد بقوله: (يومئذ) أي زمان حصول هذه الحوادث التي ذكرها، والتنوين عوض من تلك الجملة المذكورة أولاً.

(منفيان): عن أماكنهما.

(طريدان): عن مستقرهما.

(وصاحبان): لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ لأنهما الثقلان فلايزالان مجتمعين على الحق، كما قال عليه السلام: ((قد خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي)).

---

(1) قوله: شيء زيادة في (ب) وشرح النهج.

(886/3)

(مصطحبان): الاصطحاب: افتعال من الصحبة، وأراد أن اقترانهما من أجل دلالتهماعلى الحق فهما لا يفترقان أبداً.

[(في طريق واحد): وهي طريق الجنة والهداية إلى الدين والتوحيد والإقرار بأمور الآخرة](1).

(لا يؤويهما مؤو): آواه إذا ضمَّه وكفله، قال الله تعالى: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ}[المؤمنون:50] وأراد أنه لايعمل بهما عامل، ولا يميل إليهما مائل أصلاً.

(فالكتاب(2) وأهله): يريد من ذكرناه من أهل البيت والقرآن.

(في ذلك الزمان في الناس): كائنان وحاصلان معهم.

(وليسا فيهم): لعدم من يعمل بهما، فكأنهما في الحقيقة مرتفعان عنهم.

(ومعهم): مصاحبان لهم في جميع الحالات.

(وليسا معهم): أي أنهما بين أظهرهم، وكائنان معهم، وليسا معهم لم يتفقوا على معرفة أحكامهما، وما يتوجه من حقهما فكأنهما في الحقيقة بائنان عنهم بعيدان.

(لأن الضلالة [لا](3) توافق الهدى): لأنهما يدعوان إلى الحق، ويدلان عليه، وهم مكبُّون على الباطل عاملون(4) به، فلا يتلاءمون ولا يتقاربون.

(وإن اجتمعا): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن الضلالة لاتوافق الهدى، وإن اجتمعا فهما في الحقيقة مفترقان؛ لتباينهما في المعنى.

وثانيهما: أن يريد الا ستئناف بالشرط أي إن حصل اجتماعهما.

(واجتمع القوم على الفرقة): أي على مخالفة أمرالدين؛ لأن اجتماعهما على ذلك هوفرقة في الحقيقة.

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(2) في (أ): والكتاب، وأهله وذلك الزمان ...إلخ، وما أثبته من ب وشرح النهج، ومن نسخة أخرى.

(3) سقط من (أ)، وهو في النهج، وقد أثبته من النهج، ومن (ب).

(4) في (ب): فاعلون به.

(887/3)

(وافترقوا على(1) الجماعة): أي(2) وخالفوا ما يجب فيه الا جتماع من أحكام الله وأمره ونهيه، ففعلهم هذا من الاجتماع على الفرقة، والفرقة على الجماعة.

(كأنهم أئمة الكتاب): فيكون تابعاً لهم على ما يهوونه ويريدونه.

(وليس الكتاب إماماً لهم): فيحتكمون لأمره، ويتابعونه على مراده، وينقادون لأمره ونهيه.

(فلم يبق(3) عندهم إلا اسمه): الفاء هذه هي جواب الشرط، أي إن اجتمعا الكتاب وأهله، فليس معهم إلا اسمه، وليسوا(4) عاملين به، ولا يؤثرون شيئاً منه لمخالفتهم له في جميع أحوالهم.

(ولا يعرفون [منه](5) إلا خطه وزبره): ولا يتحققون منه إلا سواد المكتوب وتأليف أحرفه بعضها إلى بعض، فأما أحكامه فلا تخطر لأحد منهم على بال.

(ومن قبل): أي من قبل هذه الأشياء التي ذكرها، من نبذ الكتاب وأهله، واطراحهما من أيديهم.

---

(1) في (ب): عن.

(2) أي، زيادة في (ب).

(3) في (ب): فليس عندهم منه، وفي شرح النهج: فلم يبق عندهم منه...إلخ.

(4) في (أ): وليس.

(5) سقط من (ب) ومن شرح النهج.

(888/3)

(ما مثَّلوا(1) بالصالحين): ما ها هنا مصدرية، أي وتمثَّلوا(2) بالعلماء والأفاضل، وفعلوا بهم كل فعل قبيح من تشريدهم عن البلاد وطردهم، من(3) قولهم: مثَّل به إذا نكَّل به، والمصدر مثلاً، والاسم منه الْمُثْلَةُ، وفي الحديث بعد قتل حمزة: ((والله لأن مكنني الله لأمثلنَّ بسبعين منهم)) فنزلت الآية: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}(4) [النحل:126] فما قام فينا مقاماً بعد ذلك إلا وهو ينهانا عن المثلة.

(كل مثلة): أنواعاً من المثل، وضروباً منها.

(وسمَّوا صدقهم على الله فرية(5)): وقالوا في كل ما صد قوا فيه: إنه كذب على الله افتروه عليه.
(وجعلوا في الحسنة عقوبة السيئة): أراد أنهم عاقبوهم، ومثَّلوا بهم كل مُثْلَة، لما كان دعاؤهم إلى الله واجتهادهم في دينه بمنزلة ما لو كانوا على خلاف ذلك، من تحريف أمر الله والدعاء إلى غيرهم(6)، فما ينالهم على الأول إلا مثل ما نالهم على الثاني من العقوبة.
(وإنما هلك من كان قبلكم(7)): من الأمم والقرون، إنما كان ذلك:
(بطول آمالهم): كثرتها عليهم، وغلبتها على عقولهم بالتغطية والإعماء.

---

(1) في (أ): ما مثلوه.
(2) في نسخة أخرى: ومثلوا.
(3) في (ب): وقولهم.
(4) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 187/2 بسنده عن ابن عباس، والحاكم في المستدرك 218/3، والهيثمي في مجمع الزوائد 119/6، ورواه باختلاف يسير ابن أبي الحديد في شرح النهج 17/15 عن الواقدي.
(5) في (أ): قوية، وهو تحريف، والصواب: كما أثبته.
(6) كذا في النسخ، ولعل الصواب: غيره، وظنن فوقها في(ب) بقوله: ظ: غيره.
(7) في نسخة: قبلهم (هامش في (ب)).

(889/3)

(وتغيُّب آجالهم): حتى نسوها، وتوهموا الخلود فأعرضوا عن الآخرة، وأهملوها عن قلوبهم.
(حتى نزل بهم الموعود): الأمر الموعود به، وهو الموت الذي لا يكذب خبره، الذي وعدوا به واستيقنوه.
(الذي تُردُّ عنده(1) المعذرة): أي الاعتذار فلا يكون مقبولاً.
(وترفع عنده(2) التوبة): أي لا يكون لها حكم في القبول فهي مرفوعة، وإنما كان الأمر كما ذكر من بطلان الاعتذار، ورفع التوبة؛ لما فيه من الإلجاء بمشاهدة الملائكة وتحقق الأحوال كلها، فلأجل ذلك بطلت التوبة، وارتفع الاعتذار، ويصدِّق ما قلناه قوله تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ}[النساء:18]، فسوَّى الله ها هنا بين من سوَّى هذه التوبة عند الموت، وبين من يموت وهوكافر(3)، في استحقاق العقوبة، وفي هذا دلالة على استعجال التوبة، والتحفظ على تقديمها.
(وتحل معه القارعة والنقمة): وذلك ما يكون بعد الموت من عذاب الله ونكاله وأليم عقوبته.

(أيها الناس، إنه): الضمير هاهنا للشأن؛ لأنه موضع تفخيم ومبالغة.

(من استنصح الله): طلب النصيحة من جهته، بفعل الألطاف الخفية من جهته.

(وُفّق): إما للأعمال الصالحة، وإما للثواب الجزيل، ورفع المنزلة عند الله، وكل ذلك فيه إحراز رضوان الله وكريم مآبه.

(ومن اتخذ قوله دليلاً): جعل القرآن إماماً له فيما يأتي ويذر في جميع أموره فلا يورد ولا يصدرإلا به.

---

(1) في شرح النهج: عنه.

(2) في (ب): و في شرح النهج: عنه.

(3) في (ب): وبين من يموت كافراً.

(890/3)

(هُدي للتي هي أقوم): هداه الله للخصلة المرضية عنده المستقيمة المؤدية إلى الجنة.

(وإن جارالله آمن): المستند إليه في أموره، المعتمد عليه في أحواله، المتوكل عليه آمن من كل ما يخافه من الشرور والبلاوي، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}[الطلاق:3]، من كل ما يخاف ويحذر.

(وعدوه خائف): والمعادي لله(1) بترك طاعته، الكائن من حزب الشيطان فهو خائف، إما من نقمةالله تعالى له؛ لأجل معصيته، وإما من تسليط من يقهره ويذله ويقطع دابره، وفي الحديث: ((من اتقى الله أخاف الله منه كل شيء، ومن عصى الله خوفّه الله من كل شيء)) (2) ومصداق ما قلناه من ذلك، قوله تعالى: {لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}[المنافقون:8]، وقوله تعالى في حق المنافقين: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ}[المنافقون:4] أي لا صيحة إلا وهم يخافونها إذا سمعوها كأنها واقعة بهم.

---

(1) في (ب): له.

(2) عزاه في موسوعة أطراف الحديث 15/8 إلى إتحاف السادة المتقين 211/9 وأورد قريباً منه بلفظ: ((من اتقى الله أهاب الله منه كل شيء)) وعزاه إلى الدر المنثور للسيوطي 99/6، وإتحاف السادة المتقين 621/8، وكنز العمال برقم 5883، والحديث بلفظ ((من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 146/10.

(وإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعظَّم): لأن عظمة الله تعالى بلا نهاية، ولا لها حد ولا لها غاية، فمن عرفها حق معرفتها فما سواها يكون حقيراً لامحالة، بالإضافة إليها، وفي الحديث: ((الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني أحدهما قصمته))(1)، وفي حديث آخر: ((من تواضع رفعه الله، ومن تكبر أهانه الله))(2) فسبحان من يكون التكبرنقصاً إلافيه، ومن لايحمد على المكروه إلاهو!.

(فإن رفعة الذين يعلمون ما عظمته): أي أن ارتفاع العالمين بقدر العظمة لله تعالى، ويتحققون كنه حقيقتها فنهاية أمرهم:

(أن يتواضعوا له): لأن هذا هو فائدة علمهم بالعظمة، وجدوى تحققهم لها.

(وسلامة الذين يعلمون ماقدرته): كيفية القدرة، وحقيقتها، والإحاطة بماهيتها، فغايتهم وكمال معرفتهم بها:

(أن يستسلموا له): أن ينقادوا لأمره، ويعترفوا بحقه، وإذا كان الأمر كما قلناه في ذلك، فعليهم الاحتكام لأمر الله.

(فلا ينفروا(3) من الحق): أي لا يبعدون منه سواء كان عليهم أو لهم.

---

(1) الحديث بنفس اللفظ في فيض القدير 484/4، وعون المعبود 89/3، وأخرجه واللفظ في آخره: ((فمن نازعني في أحدهما ألقيته في النار)) ابن حبان في صحيحه 35/2، والهيثمي في موارد الظمآن 42/1، وأبو داود في سننه 59/4، وابن ماجة في سننه 2(1397)، وأحمد بن حنبل في مسنده 376/2، 414، وهو في مسند الشهاب 330/2.

(2) له شاهد بلفظ: ((من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر قصمه الله)) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد 82/8 من حديث عن عمر بن الخطاب، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 104/11 وفيه: ((ومن تكبر خفضه الله)).

(3) في (ب): وفي شرح النهج: فلا تنفروا.

(نفار الصحيح من الأجرب): لأنه يعافه، وتشمئز منه نفسه، وتنفر طباعه.

(والبارئ من ذي السقم): لتباين حالهما(1)، وافتراق ما بينهما من ذلك.

(واعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد): الرشد مصدر رَشَدَ يَرْشِدُ رُشْداً وَرَشَاداً، وهو: الهداية إلى دين الله، والعمل بمراضيه(2).

(حتى تعرفوا الذي تركه): موقعه(3) من سخط الله، وما يحلُّ به من غضبه ونكاله.

(ولن تأخذوا بميثاق(4) الكتاب): تمتثلوا بأحكامه، وتمتثلوا أوامره ونواهيه.

(حتى تعرفوا الذي نقضه): كيف حاله، وأين بلغ به نقض الكتاب، وتغييره وتبديله.

(ولن تمسَّكوا به): تواظبوا على فعل أحكامه، كما قال تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ}[الزخرف:43].

(حتى تعرفوا الذي نبذه): وراء ظهره، بإهمال أحكامه وإطراحها.

سؤال؛ الشيء في نفسه معروف بأحكامه وما هيته، فكيف قال: لا يُعْرَفُ الرشدُ إلا بعد معرفة من تركه، ولا يُعْرَفُ الميثاق إلا بعد معرفة من نقضه، وهكذا سائر ما ذكره؟

وجوابه؛ هو أن تعريف الشيء بلازمه وحكمه آكد، من تعريفه بذاته؛ لأن تعريفه بحكمه يفيد معرفة ذاته وحكمه، وتعريفه بذاته لا يفيد إلا معرفة ذاته لا غير، فإذا عرفنا حكم تارك الرشد وما تحقق(5) به من فعله، ومايتعلق به من الذم واللائمة، كانت معرفتنا للرشد أبلغ، ويكون محله في النفوس آكد وأوقع، وهكذا القول في سائر ما قاله من الميثاق، والتمسك بالحق.

(فالتمسوا ذلك): يشير به إلى معرفة من ترك الرشد، والناقض للحق، والنابذ له وراء ظهره حتى يحصل العلم بنقائضها على كمال وتمام.

---

(1) في (أ): حالهم.

(2) في (ب): بمرضاته.

(3) في (ب): مواقعه.

(4) في (ب): لميثاق.

(5) في (ب): وما يتحقق.

(893/3)

(من عند أهله): العالمين به المحيطين بحقائقه، والمستولين على أسراره، وأراد أهل البيت هو وأولاده.

(فإنهم عيش العلم): إما لا يحيا إلابهم، وإما أنهم الغذاء للقلوب ، كما أن العيش غذاء الأجسام.

(وموت الجهل): لأن حياة كل شيء إماتة لنقيضه، فما كان حياة للعلم كان إماتة للجهل.

(هم(1) الذين يخبركم حكمهم عن علمهم): أي أمارة تبحرهم في العلوم، وإحاطتهم بها فحكمهم على

الصواب يخبر عن باهرالعلوم(2)، ونفوذ البصيرة.

(وصمتهم عن منطقهم): أي أنهم لا يصمتون إلا عن حكمة وصواب، فهكذا يكون نطقهم إذا نطقوا، لأن الصمت ربما كان عن عيٍّ كما يكون عن حكمة، فإذا كان الصموت في حقهم حكمة، فالنطق أدخل في ذلك، وأدلُّ على فضلهم من الصمت.

(وظاهرهم عن باطنهم): وما يظهرعلى ألسنتهم من الصواب والحكمة، دال على ما ستروه(3) من الحكمة، والاحتمال والإغضاء على المكاره كلها.

(لا يخالفون الدين): يجانبون طريقه بل يقتفون آثاره، ويسلكون طريقه ومنهاجه.

(ولا يختلفون فيه): يخالف بعضهم بعضاً في ذلك.

(فهو): الضمير للدين.

(بينهم شاهد مصدق(4)): لايخالفوه في كل ما شهدبه، ودلّ عليه.

(وصامت): لاينطق بلسان.

(ناطق): يخبر عن الله بما ركب في العقول من الدلالة على توحيده وإلاهيته وبما قرر الشرع من ذلك.

سؤال؛ كيف قال: لا يختلفون في الدين، والمعلوم أن الخلاف واقع بين أهل البيت فيما بينهم في كل عصر، في المجتهدات والصفات الإلهية، وغير ذلك من الاختلاف في المسائل الدينية؟

---

(1) قوله: هم، سقط من (أ).

(2) في (ب): العلم.

(3) في (ب): يستروه.

(4) في (ب) والنهج وشرح النهج: صادق.

وجوابه؛ أما المجتهدات فلا مقال(1) في جوازالخلاف فيها؛ لأن الإصابة لا تختص فيها بأحد دون أحد، وأما اختلافهم في الصفات الإلهية فذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون الخلاف واقعاًفي أصل حقيقة الصفة، في إثباتها ونفيها، كأن يقول واحد منهم: هو قادر، والآخر يقول: إنه ليس قادراً، فما هذا حاله فهم منزهون عن وقوع الخلاف بينهم فيه؛ لأن من نفاها على هذا الاعتبار فهوكافر لا محالة.

وثانيهما:أن يكون الخلاف واقعاً بعد إثبات حقائق هذه الصفات، ثم يقول بعضهم: القادرية حالة، وبعضهم يقول: هي حكم، وبعضهم يقول: هي نفس الذات، فهذا الخلاف، وإن كان أحد القولين خطأ

لامحالة، لكنه لايكون خطاءً(2) يوجب كفراًولا فسقاً، وإنما يحكم فيه بالخطأ لا غير؛ لأن الحق في هذه المسائل واحد لا غير، فغرض أمير المؤمنين نفي اختلافهم في الدين فيما يكون فيه خطر في الدين، وخروج منه، فأما هذا الخلاف فإنه ليس خطراً، ولا يكون صاحبه خارجاً عن الدين.

(139) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر أمر أهل البصرة وحالهم

(كل واحد منهما): يعني طلحة والزبير.

(يرجو الأمر له): يريد بما فعله الخلافة والأمر له دون صاحبه

(ويعطفه عليه): ويرد الدولة على نفسه.

(دون صاحبه): فيضنُّ بها عليه، ولا يريدها له أبداً.

(لا يمتَّان إلى الله بحبل): المتُّ هو: التوسل بقرابة فيما أقدما عليه وأمَّلاه.

(ولا يمدان إليه بسبب): فيما رجواه من ذلك وأراداه، وإنما هو البغي والمخالفة، والنكوص على الأعقاب.

---

(1) في (ب): فلا خلاف.

(2) قوله: خطاءً سقط من (أ).

(895/3)

(كل واحد منهما حامل ضَبٍّ لصاحبه): الضَبُّ: الحقد، وأراد أن كل واحد منهما مبطن للعداوة والحقد لصاحبه، وكيف لا ولم يكن التئامهما إلا للدنيا، ومخالفة أمرالله وإيثار حطام عاجل!، وفي الحديث: ((كل صحبة تكون في غير الله، آخرها يكون عداوة)).

(وعمَّا قليل يُكشف قناعه به): وعلى قُرْبٍ من الزمان في أمرهما يظهرالحقد الذي كانا يضمرانه، ويكتمان حاله، ويبديان ما كانا يخفيانه منه، كما قال في موضع آخر:

(كل يدَّعي الأمر له دون صاحبه، لا يرى طلحة إلا أن الأمر له والخلافة؛ لأنه ابن عم عائشة، ولا يرى الزبير إلا أنه أحق به؛ لأنه خَتَن عائشة(1)): لأنه ابن أختها؛ لأن أم الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي خالته.

(والله لئن أصابوا ما يريدون): من الاستظهار عليَّ والقهر لي.

(لينزعنَّ هذا نفس هذا): [بالقتل(2) أحدهما لصاحبه.

[(وليأتينَّ هذا على هذا)](3): بأخذ الروح ، كما قال في موضع آخر:

(والله لئن ظفروا بما يريدون، ولا يرون ذلك ليضربنَّ طلحة عنق الزبير، أو الزبير عنق طلحة، بغياً

وحسداً، وإيثاراً للدنيا وعاجلها(4)) وفي هذا دلالة باهرة على أنهما فيما أقدما عليه على زلزال وقدم غير راسخة، ولهذا قال لهما في مو ضع آخر:

(والله إن طلحة والزبير ليعلمان أنهما مخطئان، وما يجهلان ذلك، ولربَّ عالم قتله جهله، ولم ينفعه علمه)(5).

(قد قامت الفئة الباغية): يشير إليهما، وإلى عائشة.

(فأين المحتسبون!): الباذلون نفوسهم لله(6)، والبائعون لها بالجنة منه.

---

(1) المغني 87/2/20.

(2) في (أ): بما يقتل، وما أثبته من نسخة أخرى.

(3) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(4) المصدر السابق 87/2/20-88.

(5) المصدر السابق .

(6) في (ب): فيه.

(896/3)

(قد سُنَّت لهم السنن): أوضحت لهم الطرق، وأقيمت عليهم الحجج.

(وقُدِّمَ لهم الخبر): يشير بذلك إلى أمور ثلاثة:

أولها: ما روي أن أمير المؤمنين نادى الزبير يوم الجمل، فقال له: (أنشدك الله(1) الذي أنزل الفرقان على نبيه، أما تذكر يوم قال لك رسول الله: ((يازبير، أتحب علياً)) فقلت: وما يمنعني يارسول الله من حبه، وهو ابن خالي؛ لأن أمه صفية بنت عبد المطلب، فقال لك: ((أما إنك ستخرج عليه وأنت له ظالم))).

فقال الزبير: اللَّهُمَّ، بلى قد كان ذلك(2).

وثانيهما: ما روي أن أمير المؤمنين قال له: (أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، أما تذكر يوم جاء رسول الله من بني عمرو بن عوف، وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته أنا، فسلم عليَّ وضحك في وجهي، وضحكت إليه، فقلت(3): إنه لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال لك رسول الله: ((مهلاً يازبير، فليس به زهو، ولتخرجنَّ عليه وأنت ظالم له))) فقال الزبير: اللَّهُمَّ، بلى، ولكن أنسيت، فأما إذا ذكَّرتني ذلك، فوالله لأنصرفنَّ عنك ولو ذكرت ذلك لما خرجت عليك، ثم رجع عن حربه وترك القتال(4).

وثالثها: ما روي عنه صلى الله عليه أنه قال: ((تقتلك ياعمار الفئة الباغية)) فهذا مراده(5) بقوله:

(وقدِّم لهم الخبر) يشير إلى ما ذكرناه.

---

(1) في (ب): بالله.
(2) رواه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- ص39، وأخرج قريباً منه العلامة ابن الأمير في الروضة الندية ص 68.
(3) في (ب): فقلت له.
(4) رواه الشريف علي بن ناصر في المصدر السابق ص39، وانظر قريباً منها شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 167/2، وانظر تأريخ الطبري 37/3.
(5) في (أ): مراد.

(897/3)

(ولكل ضلَّة علة): [أراد أن كل من أخطأ فلا بد له من علة في خطأه] (1).
(ولكل ناكث شبهة): النكث: نبذ العهد، أراد أن كل من نكث فهو يعتل بشبهة يدلي بها، وهويشير بذلك إلى بطلان معاذير أهل الجمل فيماأتوه، وأنه لاعذر لهم عند الله، وفي المثل: لن يعدم الخير فاعله.
(والله لا أكون كمستمع اللدم): اللدم هو: ضرب الوجه بالكف في النياحة، كما تفعله النساء.
(يسمع الناعي): وهو الذي يخبر بموت من مات.
(ويحضر الباكي): لميته، وقريبه، و صاحبه.
(ثم لا يعتبر): لا يكون له اتعاظ وتذكرة، وأراد بهذا أنه بعد بغيهم عليَّ وتأهبهم لقتالي، وإجماعهم على حربي، فلا أسكت بعد ذلك، وأنتظرقتلهم لأصحابي فأسمع نعيهم، وأحضر بكاءهم، ولكن أوقع بهم السيف، وأشرع نحورهم الأسنة، وأوجه إليهم الرماح وأقطع دابرهم، وأنكِّل بهم جزاءً على بغيهم وشقاقهم، كما فعل بنصر الله له وتأييده.

(140) [ومن كلام له عليه السلام قبل موته](2)
(أيها الناس، كل امرئ يلاقي(3) ما يفر منه): من الموت الذي يخافه.
(في قراره(4))): في مستقره، ومكانه، ومستوطنه.
(والأجل): منقطع الحياة، وغايتها.
(مساق النفس إليه): الذي تساق إليه.
(والهرب منه موافاته): يعني أن الهرب منه إنما يكون بطول مدة الحياة، وطولها بنفسه هو نفس

الوصول إليه؛ لأن الأيام مسير إليه، وقطع لمسافته.

(كم أطردت الأيام): فيه روايتان:

أحدهما: رفع الأيام، والتاء للتأنيث، أي كم تتابعت الأيام،، من قولهم: اطَّرد(5) الليل والنهار، أي تتابعا.

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(2) زيادة في نسخة أخرى، و في شرح النهج.

(3) في النهج: لاق.

(4) في شرح النهج: فراره.

(5) في (أ): طرد.

وثانيهما: نصب الأيام، والتاء ضمير لنفسه، أي كم أتبعت الأيام نظري وفكري، وسماعنا بالثاني، والأول أقعد في المعنى، قد كان الرسولعليه السلام أخبره بأنه سيقتل، وقال له: ((أشقى الناس اثنان: عاقر الناقة أحيمر ثمود،والذي يضربك على هذه فيبل منها هذه))(1) يشير إلى لحيته، ولكنه لم يبين له وقت ذلك على التعيين، فلهذا قال: كم أطردت الأيام.

(أبحثها): أستخبرها.

(عن مكنون هذا الأمر): عمَّا علم الله من أمرالقتل ووقته.

(فأبى الله إلا كتمانه): إخفاءه عني لسر ومصلحة استأثر(2) بعلمها.

(هيهات!): بعد ذلك أن يعلم من علم الله مالم يعلمه أحد من خلقه، أو يطلع على سره ومكنونه، كما قال تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}[الجن:26-27].

(علم مخزون): عند الله.

---

(1) الحديث بلفظ: ((ألا أخبركما بأشقى الناس رجلين؟)) قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: ((أحمير ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده على رأسه، حتى يبل منها هذه ووضع يده على لحيته)) أخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق 348/3 تحت الرقم (1398) بسنده عن عمار بن ياسر، قال المحقق في تخريجه: والحديث رواه أيضاً النسائي في الحديث (149) من كتاب الخصائص ص129ط2، ورواه أحمد بن حنبل في عنوان (بقية حديث عمار بن ياسر) من كتاب

المسند263/4 ثم ساق في تخريجه عدداً من إسناداته ومصادره انظرها هناك. وانظر الرقم (1399) من ابن عساكر أيضاً.

وروى الحديث الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل 342/2 تحت الرقم (1104)، وابن هشام في السيرة النبوية 237/2.

(2) في (ب): استأثر الله بعلمها.

(899/3)

(وأمر مكنون): لا يطلع عليه إلا هو.

يحكى أنه لما ضربه اللعين عبد الرحمن بن مُلجم على قرنه، جاء الطبيب إليه، فأدخل رئة على رأس المجس، ثم أخرجها فوجد مخ الدماغ عليها، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد بلغ(1)، فعرف ذلكعليه السلام فقال:

(أما وصيتي فلا تشركوا بالله شيئاً(2)): أي لا تتخذوا من دونه شريكاً [له] (3) في العبادة، كما قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}[النساء:36].

---

(1) الرواية في شرح النهج لابن أبي الحديد 119/6-120 بلفظ: قال أبو الفرج: ثم جمع له أطباء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هانئ السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم، فلما نظر أثير إلى جرح أمير المؤمنين دعا برئة شاة حارة، فاستخرج منها عرقاً، وأدخله في الجرح، ثم نفخه، ثم استخرجه، وإذا عليه بياض الدماغ، فقال: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك. انتهى.

(2) لفظ العبارة في شرح النهج: أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً.

(3) سقط من (ب).

(900/3)

(ومحمداً صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته): أي لا تتركوها ضائعة عن العمل بها فإن ((من رغب عن(1) سنتي فليس مني))(2)، قاله صلى الله عليه وآله.

(أقيموا هذين العمودين): جانب الله تعالى، وجانب رسوله.

(وأوقدوا هذين المصباحين): واستعار لهما اسم المصباحين؛ لما فيهما من النور والهداية في الدين والدنيا.

(وخلاكم ذم): أي والذم بريء عنكم لا يخالطكم، وجاوزكم(3).

(ما لم تشردوا): عنهما بالتفرق(4)، والخلاف فيهما.

(حمّل كل امرئ مجهوده): أراد حمَّل الله كل أحد من التكاليف ما يطيقه وسعه من غير زيادة على ذلك {لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}[البقرة:286]، وطاقتها.

(وخُفِّف عن الجهلة): أي أن الله تعالى خفَّف عن الجهَّال من أجل جهلهم، وأن حالهم يخالف حال العلماء لأجل علمهم، وفي كلامه هذا دلالة علىأن حكم الله علىالجهَّال أخف، وأن حكمه على العلماء أثقل وأرزن، {هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}[الزمر:9] ولهذا فإن جرم طلحة، والزبير، وعائشة، ليس كجرم غيرهم من أجلاف أهل الشام، وأهل الغباوة منهم عند الله.

(رب رحيم): مالك رءوف بهم.

(ودين قويم): مستقيم على الحنيفية، لا ميل فيه.

---

(1) في (ب): عن شيء من سنتي.

(2) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه 99/1، وابن حبان في صحيحه 190/1، وعبد الرزاق في مصنفه 167/6، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 280/8 وعزاه إلى مصادر كثيرة منها: البخاري 2/7، ومسلم في النكاح (5)، وسنن النسائي (المجتبى) في النكاح الباب (4)، وسنن الدارمي 133/2، ومسند أحمد بن حنبل 158/2، 241/3، والسنن الكبرى للبيهقي 77/7 وغيرها.

(3) في (ب): ويجاوزكم.

(4) في (ب): بالتفريق.

(901/3)

(وإمام عليم): يعني نفسه، إما عليم بمايصلحهم من ذلك، وإما ذو علم ودراية بما يأتي ويذر، فهذه الأمورالثلاثة، هي التي خففت على الجهَّال الأمرفي تكاليفهم رحمة من الله، ولطفاً بهم(1).

(أنا بالأمس صاحب لكم): يشير إلى ما مضى من عمره معهم، ونعم ما كانت صحبته(2) لهم بالرفق بهم، والرحمة لهم، وبذل النصيحة من أجلهم.

(وأنا اليوم عبرة لكم): موعظة لانقلابي إلى الآخرة، والموت أعظم موعظة لمن اتعظ بها، واستيقظ من فجيعتها.

(وغداً مفارق لكم!): مفارقة لا يرجى لها اجتماع وموافقة.

(غفرالله لي): ما أسلفته من ذنوبي.

(ولكم): ما اجترحتم منها، ومقالته هذه تشبهاً بأخلاق الأنبياء، كما قال يوسف لأخوته: {يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}[يوسف:92] فأكرم بهذه الخلائق فما ألطفها، وأرقها بالخلائق وأرحمها.

(إن تثبت الوطأة): أراد أنه(3) إن استقرالقدم.

(من(4) هذه المزلة): بالكسر والفتح، وهي: المكان الد حض الذي تزلق فيه القدم، وأراد بذلك خلاصه من ضربة اللعين، واستقرار قدمه وانتعاشه منها، وبرءه عنها.

(فذاك): إشارة إلى الثبوت، أي فذاك الذي أريده، وتهواه النفس، وتتوق إليه.

(وإن تدحض القدم): دحوض القدم: زلله وميلانه، وكنى بذلك عن نفاد العمر، وزواله.

(فإنَّا كنا في أفياء أغصان): الفيء هو: الظِّلال للشجر، ولكل غصن ظِلال يظل ما تحته، ويستره من الشمس.

(ومهاب ريح(5)): اختلاف جهاتها تارة بالقبول والصِّبا، وتارة بالدبور، وتارة من الجنوب(6) والشمال.

---

(1) في (ب): لهم.

(2) في (ب): محبته.

(3) في (ب): به.

(4) في شرح النهج: في.

(5) في شرح النهج: رياح، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(6) في (ب): بالجنوب.

(902/3)

(وتحت ظل غمام): جمع غمامة، وهي: القطعة من السحاب.

(اضمحل في الجو متلفقها): أي تقشَّع ما كان منها متلفقاً متلائماً، والضمير للغمام.

(وعفا في الأرض مخطها): أراد بذلك اندرس في الأرض أثرها؛ لأن ظل الغمام يقع على الأرض، فإذا تفرَّق امَّحى مكان الظل وتلاشى، وأراد بذلك لبثه في أيام الدنيا وبقاءه فيها، ثم صار بعد ذلك إلى تغيُّر هذه المحاسن بالبلاء وتحكُّم الهوام فيها، وتقطيعها بالتراب والثرى.

(وإنما كنت جاراً): لكم في الدنيا أياماً منقطعة.

(جاوركم بدني أياماً): وإنما قال: بدني؛ لأن مجاورته إياهم فيها؛ إنما كان بجسده وشبحه لا بروحه؛

لأن روحه عليه السلام كان متعلقاً بمحبة الله تعالى وشوقه إليه، لإعراضه عن الدنيا ومتاع غرورها وكذبها، وإقباله إلى الآخرة ونعيمها، فلهذا قال: جاوركم شبحي يشير به إلى ما قلناه، وسيأتي لكلامنا هذا مزيد تقرير عند وصفه للمتقين من عباد الله.

(وستُعقبون مني جثة): الجثة: عبارة عن الجسم بعد ذهاب روحه، وأراد ويعقبكم مني جسم لا روح فيه.

(خلاء): عن الروح الذي هو قوامها ومعناها.

(ساكنة بعد حراك): بعد تحرك، إما تحرك في القلب، وتيقظ في الخاطر(1)، وإما تحرك واضطراب في الجوارح.

(وصامتة بعد نطق): أي مختوماً على لساني بعد أن كان مفوهاً ينطق بالحكم والآداب والمواعظ نطقاً وأي نطق.

(ليعظكم هدوئي): أي ليكون موعظة لكم، بالغة في العظة، والهدوء السكون، يقال: هدأ إذا سكن.

(وخفوت إطراقي): الخفوت ضعف الصوت، والإطراق هو: السكوت يقال: أطرق إذا سكت مفكراً.

(وسكون أطرافي): أعضائي كلها وجوارحي.

(فإنه أوعظ للمعتبرين): أدخل في الموعظة، وأوقع في الزجر للمتعظين.

(من المنطق البليغ): البالغ في الموعظة.

---

(1) في (أ): الخاطرة.

(903/3)

(والقول المسموع): الذي يقرع الأسماع، ويسمع الآذان؛ لأن المنطق إنما هو خبر و(1) هذا معاينة، وقد قيل في المثل: (ليس الخبر كالعيان)(2)، ولا ما يرى بالعين كالذي يسمع بالأذن.

(ودعتكم(3) وداع امرئ مرصد للتلاقي!): معد للتلاقي، من أرصدته إذا أعددته لكذا، وأراد الملاقاة.

(غداً): يوم القيامة، كماقال تعالى: {يَوْمَ التَّلاَقِ}[غافر:15] لأن كل واحد من الخلائق يلقى غريمه.

(ترون أيامي): فيكم وإقامتي بين أظهركم.

(ويكشف لكم عن سرائري): عمَّا كنت أضمره من النصيحة لكم والاجتهاد في حقكم.

(وتعرفونني): وتحققون(4) حالي وأمري.

(بعد خلو مكاني): انقطاعي عن الدنيا وتدبيري لأحوالكم فيها.

(وقيام غيري مقامي): ممن يليكم بعدي، وأراد أنه إنما يعرف كُنْهُ حاله في جميع ما ذكره ويمتحن إذا وليهم غيره؛ لأن امتحان العقلاء إنما يكون بمقارنة الجهلاء.

وأقول: لقد خلف عليهم بعده من لا يرشد نفسه، فكيف يرشدهم! ومن لا عهد له بخوف ومراقبة، معاوية ويزيد وغيرهما!

(141) ومن خطبة له عليه السلام في ذكر الملاحم

(وأخذوا يميناً وشمالاً): أراد أهل الفتن التي تأتي بعده، يشير إلى فتنة بني أمية وغيرها من الفتن.

(ظعناً في مسالك الغي): إسراعاً إليها، وأراد طرق المهلك.

(وتركاً لمذاهب الرشد): إعراضاً عنها.

(فلا تستعجلوا ماهو كائن مرصد): واقع منها معدٌّ لكم مهيَّأً.

(ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد): مما هو كائن في الأزمنة المستقبلة، وجعَل غداً(5) عبارة عنها.

---

(1) الواو، سقط من (أ).

(2) بل صح في الحديث: (ليس الخبر المعاينة). هامش في (ب).

(3) في شرح النهج: وداعي لكم وداع ...إلخ.

(4) في (ب): وتتحققون.

(5) في (أ): غد.

(904/3)

(فكم(1) من مستعجل ما(2) إن أدركه ودَّ أنه لم يدركه): أراد أن كثيراً ممن يستعجل شيئاً في إدراكه، ثم إذا حصل له تمنى أنه لم يكن حصل؛ لما يلاقي فيه(3) من الألم والغم، وعظم المحنة، وسوء العاقبة.

(وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ!): والتباشير هي(4): البشرى، وتباشير الصبح: أوائله، وهكذا في كل شيء.

(ياقوم، هذا إبَّان): أي وقت، وإبَّان الفاكهة: وقت إيناعها.

(ورود كل موعود): من حصول هذه الفتن ووقوعها.

(ودنو من طلعة ما لاتعرفون): واقتراب من طلوع(5) ما لا تعرفون من أحوالها.

(ألا وإن من أدركها منَّا): الضمير راجع إلى قوله: طلعة ما لا تعرفون، وقوله: (منَّا) أراد أهل البيت.

(يسري فيها بسراج منير): بصيرة في الأمور نافذة.

(ويحذو فيها على مثال الصالحين): يقفو أثرهم ويقتدي بآرائهم الصائبة.

(ليُحِلَّ فيها ربقاً): قد أحكمت للضلالة، وهي: جمع رِبْقَة، وهو: حبل فيه عدة عرى تشدُّ فيها أولاد الغنم.

(ويعتق رقَّاً): قد أوثقوه في الجهالة.

(ويصدع شَعْباً): قد رأبوه بآرائهم الخاطئة.

(ويشعب صَدْعاً): قد فرقوه بأهوائهم المبتدعة؛ وعنى بذلك أنه يفرق جمع الضلالة، ويجمع شتات الهدى.

(في سترة من(6) الناس): أي يعملون ذلك، ويصنعونه في خفية من الناس وسر.

---

(1) في (ب): وكم.

(2) في شرح النهج: بما.

(3) قوله: فيه، سقط من (أ).

(4) في (ب): هو.

(5) في (ب): طلعة.

(6) في نسخة وشرح النهج: عن.

(905/3)

(لا ينظر(1) القائف أثره): القائف هو: الذي يشبِّه الولد بأبيه فيلحقه به، والقائف هو: الذي يعرف زجر الطير(2)، وأراد أن مكرهم وخدعهم دقيق لا يدرك لدقته بالكهانة والقيافة.

(ولو تابع نظره): ولو بالغ في نظره، وتابعه مرة بعد مرة لدقته وغموضه.

(وليُشحذنَّ فيها قوم): شحذ النصل: تحديده، أي ليضربنَّ بالبلاوي ويحك(3) سرائرهم في هذه الفتن، والمراد بما ذكره ظهورقوم من عباد الله الصالحين.

(شحذ القين النصل): القين: الحداد، مبالغة في شدة ما يلقونه.

(تجلى بالتنزيل أبصارهم): يتلونه حق تلاوته، ويجلّون بذكره بصائرهم، ويُصَفُّوْنَ به عقولهم عن أن ترين عليها الغفلة، أو يغلب عليها السهو.

(ويُرمى بالتفسير في مسامعهم): يسمعون كلام الله تعالى فيقع مراده في آذانهم فلا يخالفونه.

(ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح): أي يشربونها غدواً وعشياً، والغبوق: شرب العشي، والصبوح: شرب البكرة، وأراد أن الحكمة صارت غذاء لهم تطيب عليه أنفسهم وتنمو عليه أجسامهم.

(وطال الأمد(4) عليهم): يعني أهل هذه(5) الفتن المضلة.

(ليستكملوا الخزي): من الله تعالى بما فعلوه، وارتكبوه من هذه الآثام الموبقة.

(ويستوجبوا الغير): التغيير في أحوالهم، وإزالة ما هم فيه من النعم بحلول النقم عليه، وإدالتها(6) بنقائضها(7) من البلاوي.

---

(1) في نسخة وشرح النهج: لا يبصر.
(2) وقال ابن الأثير في النهاية 121/4: القائف: الذي يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه والجمع: القافة.
(3) في (أ): ويحيك.
(4) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: الأمد، كما أثبته، وفي (أ، ب): الأمر.
(5) قوله هذه، سقط من (أ).
(6) أي ودورانها.
(7) في (ب): بنقيضها.

(906/3)

(حتى إذا اخلولق الأجل): اخلولق السحاب إذا صار خليقاً بحصول المطر منه، وأراد قرب الأجل وإسراعه، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فاستمروا على ذلك واطمأنوا إليه حتى جاء الأجل.
(واستراح قوم إلى الفتن): اطمأنوا إليها، وصارت أفئدتهم متعلقة بها ولا راحة لهم في(1) غيرها.
(واشتالوا عن لقاح حربهم): اشتالت الناقة ذنبها إذا رفعته، ليعلم بذلك لقاحها، وأراد أنه لما طالت الآماد في الفتن استأنس الناس بها، وهيجوا أسباب الحرب حتى لقحت واشتالت.
(لم يمنوا على الله بصبرهم(2)): أراد هؤلاء الصالحين الذين قدّم ذكرهم.
(ولم يستعظموا بذل أنفسهم في حق): لما يعلمون من(3) ثواب الله، وجزيل عطائه.
(حتى إذا وافق وارد(4) القضاء): اتفق ما يرد من أقضية الله تعالى ومقاديره.
(انقطاع مدة البلاء): زوال ماهم فيه من البلاء بهذه الفتن، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره فصبَّروا نفوسهم على ذلك حتى إذا وافق.
(حملوا بصائرهم على أسيافهم): وقاتلوا بالسيوف أمام(5) البصائر.
(ودانوا لربهم): عاملوه(6) بهذه المعاملة بالجهاد في ذاته، والقيام بأمره في ذلك، من قولهم: كما تدين تدان.
(بأمر واعظهم): [إمامهم، وصاحب أمرهم، وولايتهم] (7).

---

(1) في، سقط من (أ).

(2) في نسخة وشرح النهج: بالصبر.

(3) في (ب): في.

(4) في (أ): وفق وأراد.

(5) في (أ): أيام.

(6) في (أ): عملوه، وفي (ب): عاملوه، وما أثبته من (ب).

(7) ما بين القوسين سقط من (ب).

(907/3)

(حتى إذا قبض رسول الله(1) رجع قوم على الأعقاب): حتى هذه متعلقة بأمر محذوف، كما مر في نظائرها تقديره: فأقاموا على ذلك حتى إذا قبض رسول الله [رجع قوم على الأعقاب](2) ارتدوا وكفروا.

(وغالتهم السبل): ختلتهم الطرق(3) السيئة وخدعتهم.

(واتكلوا على الولائج): الدخائل السيئة، أراد أنهم اعتمدوا عليها فكانت سبباً للهلاك.

(ووصلوا غير الرحم): رحم الرسول عليه السلام.

(وهجروا النسب(4) الذي أمروا بمودته): حيث قال: {قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}[الشورى:23].

(ونقلوا(5) البناء عن رصِّ أساسه): إحكام بنائه، والرصُّ: إحكام البناء فلا يزيد بعضه على بعض، كما قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ}[الصف:4].

(فبنوه في غيرموضعه): حوَّلوه إلى غير مكانه الذي وضعه الله فيه، وأقرَّه عليه.

(معادن كل خطيئة): فتطلب الخطايا فلا توجد إلا فيهم، وتفقد إلا عندهم.

(وأبواب كل ضارب في غمرة): أي أنهم لكل من كان في ذهول وغفلة من أمره؛ كالأبواب يدخل فيها من أي باب شاء.

(قد مَارُوا في الحيرة): مار يمور موراً إذا تحرك واضطرب، أي اضطربوا في تحيرهم في هذه الفتن.

(وذهلوا في السكرة): الذهول: فساد العقل وتغيِّره، وهم في ذلك:

(على سُنَّة من آل فرعون): أي هم فيما أتوه من ذلك يشبهون آل فرعون في كل أحوالهم، ثم هم أصناف:

---

(1) في (ب): و في شرح النهج: حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

(2) زيادة في (ب).
(3) في (أ): الطريق.
(4) في نسخة وشرح النهج: السبب.
(5) في (أ): وثقلوا، وفي (ب) والنهج: ونقلوا، وما أثبته من (ب) والنهج.

(908/3)

(من منقطع إلى الدنيا راكن(1)): لايخطر على باله شيء من أمور الآخرة فهو راكن إلى الدنيا مطمئن إليها.
(أو مفارق(2) للدين مباين): لا يلتفت إلى شيء من أحواله أبداً.
سؤال؛ من يعني بهذا الكلام، وما مراده منه؟
وجوابه؛ أنه أراد به قوماً كانوا أسلموا، ثم ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وظهرت منهم الكراهة لأهل بيت النبوة فهلكوا بذلك.

(142) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أمر الفتنة
(وأستعينه على مداحرالشيطان): المداحر: جمع مدحر، وأراد مدافعه التي يدفع بها، من قولهم: دحره إذا دفعه ومنعه.
(ومزاجره): التي تزجره عنا، أي تمنعه أن لايكون له سلطان بالإغواء علينا.
(والاعتصام): الامتناع، ومنه عصام القربة، وهو: ما يمنع الماء عن الخروج منها.
(من حبائله): التي يصطاد القلوب بها.
(ومخاتله): الختل: الخدع والمكر.
([وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له](3)، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): اصطفاه على سائر الخلق بالرسالة.
(ونجيبه):كريمه من بين سائر العالمين.
(وصفوته): مختاره(4) أيضاً من بينهم.
(لا يؤازى فضله): أي لا يماثل فضله فضل أحد من الخلق.
(ولا يجبر فقده): أي أن فقده عن الدنيا لا يجبر بشيء قط بل هو نقصان وثلم لا ينسدُّ أبداً.
(أضاءت به البلاد): أشرقت أنوارها بنور الإسلام والهداية.
(بعد الضلالة المظلمة): الكفر المسودِّ، وإضاءة البلاد، والإظلام بالكفر من باب الاستعارة، كما قال تعالى: {لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}[إبراهيم:1].

(1) قوله: راكن، سقط من (أ).

(2) في (أ): ومفارق.

(3) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(4) في (أ): مختار.

(909/3)

(والجهالة الغالبة): وهي عبادة الأوثان، وقطع الأرحام، وحصول البدع، والضلالات الكثيرة.

(والجفوة الجافية): بالفتن العظيمة، وقوله: الجفوة الجافية مبالغة [في ذلك](1)، ويقال: لهذا التجنيس(2) المطلق، وقد مرَّ غيرمرة في كلامه.

(والناس يستحلون الحريم): المحرَّم من الفواحش كلها.

(ويستنزلون(3) الحكيم): الفاضل من الأولياء والصالحين، لا يرون لهم قدراً، ولا يَزِنُون(4) عندهم قلامة ظفر.

(يحيون على فترة): انقطاع من الرسل والوحي.

(ويموتون على كفرة): عبادة الأوثان والأصنام، والشرك بالله وغيره.

(ثم إنكم(5) معاشر(6) العرب): منصوب على الاختصاص.

(أغراض بلايا): الغرض: ما يرمى من قرطاس وغيره، والبلايا جمع بلية كرسالة ورسائل.

(قد اقتربت): دنا حصولها وهجومها عليهم.

(فاتقوا سكرات النعمة): عن أن تخرجكم إلى الأشر والبطر، فَتُزَالَ عنكم.

(واحذروا بوائق النقمة): البوائق: الدواهي، والنقمة هي: الاسم من الانتقام.

(وتبينوا): خذوا(7) البيان.

(في قتام العشوة): القتام هو: الغبرة، والعشوة هو: ركوب الأمرعلى غير بيان ووضوح.

(واعوجاج الفتنة): لأنها تأتي على غير الاستواء فهي معوجّة.

(عند طلوع جبينها(8)): حدوث أوائلها.

(وظهور كمينها): ما كان منها كامناً أي مستوراً لايؤبه له، ولا يعلم حاله فيحذر منه.

(وانتصاب قطبها): استواء أمرها.

(ومدار رحاها): انتظام أحوالها كلها.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في (ب): الجناس.
(3) في نسخة أخرى والنهج: ويستذلون، و في (أ): ويستزلون، وفي (ب) ما أثبته.
(4) في (أ): ولا يزن.
(5) في (أ): أنتم.
(6) في شرح النهج: معشر، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(7) في (ب): تحروا.
(8) في النهج: جنينها.

(910/3)

(تبدأ في مدارج خفية): المدارج هي: المذاهب، وأراد أن أوائلها تكون في أمور خفية دقيقة مسالكها، وقوله: تبدأ من بدأ في الأمر يبدأ على فَعَلَ يَفْعَلُ بالفتح للعين فيهما إذا شرع فيه، وإنما كان كذلك لأن لامه حرف حلق.

(وتؤول إلى فظاعة جلية): وترجع عاقبتها إلى أمر شديد واضح، من قولهم: فظع الأمر إذا اشتدَّ الخطب فيه وعظم، قال لبيد(1):

وهم السّقاة إذا العشيرة أَفْظَعَتْ

وهمُ فوارسُها وهم حكَّامُها(2)

(شَبَابُها كَشَبَاب الغلام): لزيادتها فهي إلى نمو واستعلاء؛ لأن الغلام عند مراهقته للبلوغ يظهرفيه الشباب ظهوراً واضحاً.

(وآثارها): في أهلها وزمانها، يعني الفتنة.

(كأكلام(3) السِّلام): جمع سلمة، وهي: الحجارة من شدة كلمها لهم وتأثيرها فيهم، واحدها سَلِمة بكسر اللام، قال:

يرمي ورائي بِامْسَهمِ وَامْسَلِمه(4)

---

(1) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، المتوفى سنة 41هـ، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويعدُّ من الصحابة ومن المؤلفة قلوبهم، وهو أحد شعراء المعلقات السبع، سكن الكوفة، وعاش عمراً طويلاً، وله ديوان شعر مطبوع (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص 357).

(2) شرح المعلقات السبع للزوزني ص 93، وأول البيت هناك:

وهم السعاة....إلخ

(3) في (أ) وشرح النهج: كآثار السلام.

(4) صدره:

ذاك خليلي وذو يواصلني_ ... _وأورده ابن هشام الأنصاري في قطر الندى ص 114 (ش37) ولم ينسبه إلى قائل معين) ويقال: إن الصواب في إنشاده هكذا:

وإن مولاي ذو يعاتبني

لا إحنة عنده ولا جرمه

ينصرني منك غير معتذر

يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

_ ... _(انظر المصدر السابق من ص 114-115، وفيه شاهد نحوي وهو إبدال الألف واللام ميماً في قوله: بامسهم وامسلمة، وهي لغة حميرية، والأصل: بالسهم والسلمة.

(911/3)

(يتوارثها الظلمة): الضمير للدولة، والمعنى اتخذوها وراثة بمنزلة المال الموروث إذا مات واحد خلف عليها آخر.

(بالعهود): أي يعهد هذا إلى غيره عند موته، ويعطيها إياه كأنها تراث أبيه، أو كأن الحكم إليه فيها.

(أولهم قائد لآخرهم): إمام لهم يتّبعونه.

(وآخرهم مقتدٍ بأولهم): تابع له يسلك على أثره ويأتمُّ به.

(يتنافسون): أي(1) يرغبون، ومنه قوله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[المطففين:26].

(في دنيا دنية): حقيرة نازل قدرها.

(ويتكالبون على جيفة مريحة): التكالب: شدة المنازعة، وعظم الشجار، والجيفة: شبح الإنسان عند الموت، والمريحة: ذات الرائحة الخبيثة.

سؤال؛ ما وجه تشبيه الدنيا بالجيفة والرائحة الخبيثة، وكيف استعير لها ذلك؟

وجوابه؛ هو أنه لما وصف أهلها بالتكالب عليها، والتهالك في حبها، والحرص عليها وجعلهم بمنزلة

الكلاب فيها، ألحق ذلك بما يناسبه، وهي الجيفة المنتنة التي تجتمع الكلاب عليها وتتهارش عند أكلها، وهذا من علم البيان يلقَّب بتوشيح الاستعارة، وله موقع عظيم في البلاغة، وهو مما يزيد الكلام حسناً ورشاقة.

(وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع): وبعد انقطاع الدنيا على القرب والسرعة، و(2)يصيرون إلى الآخرة تنقطع العُلْقة(3)، ويتبرأ هذا من هذا كما(4) قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}[البقرة:166].

(والقائد من المقود): والداعي من المدعو، حتى صار كل واحد منهم منقطعاً عن الآخر غاية الانقطاع.

---

(1) قوله: أي زيادة في (ب).

(2) الواو، سقط من (ب).

(3) في نسخة أخرى: الغفلة.

(4) قوله: كما، سقط من (أ).

(912/3)

(فيتزايلون بالبغضاء): زيَّلته فتزيل إذا فرَّقته، والمزايلة: المباينة، أي يتزايلون بغضاً وعداوة فيما بينهم.

(ويتلاعنون عند اللقاء): هذا يلعن هذا وهذا يلعن ذاك، وإنما قال: عند اللقاء؛ مبالغة في سوء حالهم حيث أقاموا اللعن والأذية فيما بينهم مقام المسرة، والتحية عند المواجهة.

(ثم يأتي بعد ذلك): إشارة إلى حالتهم هذه المكروهة.

(طالع الفتنة): أولها ومبدأها.

(الرجوف): التي ترجف القلوب لها، أي تضطرب، ويشتد قلقها خوفاً منها.

(والقاصمة):، من قولهم: قصم ظهره إذا كسره.

(الزحوف): الزحف هو: المشي إلى قدام بسرعة ونشاط.

(فتزيغ قلوب(1)): تميل عن الدين وتزول عنه.

(بعد استقامة): ثبوت كان منهم قبل حصولها.

(وتضل رجال): عن سواء(2) السبيل.

(بعد سلامة): عن الزيغ والضلال.

(وتختلف الأهواء): الخواطر والقلوب فزعاً منها.

(عند هجومها): عند وقوعها، والضمير للفتنة.
(وتلتبس الآراء): يختلط بعضها ببعض فشلاً وروعة.
(عند نجُومها): نجم القرن(3) إذا طلع.
(من أشرف لها قصمته): خاض في أمرها قطعته.
(ومن سعى إليها): بالدخول فيها.
(حطمته): والحطم: الكسر، وسميت النار حطمة؛ لكسرها للظهور والعظام.
(يتكادمون فيها): الكدم: هوالعض بمقدم الأسنان.
(تكادم الحمير(4)): هذا يكدم هذا، وهذا يكدم ذاك.
(في العانة(5)): القطيع من حمرالوحش بمنزلة الثلة من الناس.
(قد اضطرب معقود الحبل(6)): تلاشى ما أبرم من الأمور المحكمة، والحبل المعقود(7) من أجلها.

---

(1) في (أ): القلوب.
(2) قوله: سواء، سقط من (ب).
(3) في (ب): القران.
(4) في شرح النهج: الْحُمُر.
(5) في (أ): الغاية، وهو تصحيف.
(6) في (ب): الحيل.
(7) في (ب): والحيل المعقودة.

(913/3)

(وعَمِيَ وجه الأمر): فلا يهتدى للصواب في أمرها، ولايدرى من أين تؤتى.
(تغيض فيها الحكمة): غاض الماء إذا ذهب، وأراد إما تذهب فيها الآراء المحكمة، وإما تطيش فيها أحلام أهل الحكمة فزعاً منها.
(وتنطق فيها الظلمة): أي ويكون من يتكلم فيها هم الظلمة، وهذا مما يؤيد الاحتمال الثاني في الحكمة.
(وتدقُّ أهل البدو): الشطار وأهل السلاح والشجاعة، فإذا كان [هذا](1) حالها في هؤلاء فكيف في غيرهم(2) من أهل الأمصار وغيرهم، ولهذا خص البدو.
(بمسحلها): المسحل هو: المبرد، ويقال أيضاً: للخطيب المصقع، ويقال أيضاً: للحمار الوحشي، ومراده ها هنا المبرد، وتدقهم أي تجعلهم دقاقاً(3) كدقاقة الخشب، والحديد إذا برد بالمبرد(4).

(وترضهم): الرضُّ: الدقُّ، يقال: رضَّ النوى إذا دقَّه.

(بكلكلها):كلكل الجمل: صدره.

(يضيع في غبارها الوُحدان): أراد أنها لشدتها وعظمها، وفخامة شأنها تبطل في أثنائها أعلام الرجال، الوحدان: الذين كل واحد منهم واحد زمانه وإنسان أوانه.

(ويهلك في طريقها الركبان): فإذا كان حال الركبان فيها الهلاك؛ فكيف حال من يمشي على قدمه، هوأسرع لامحالة إلى العطب والهلاك.!

(ترد): تطلع على أهلها.

(بمرِّالقضاء): بما قد سبق في علم الله تعالى مما تكرهه(5) النفوس، وتمرها من القتل والأخذ والسلب.

(وتحلب عبيط الدماء): دم عبيط إذا كان خالصاً لا يشوبه شيء من الكدورة؛ لما يكثرفيها من القتل، وإراقة الدماء على غير وجهها.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): فكيف حال غيرهم.

(3) في (ب): دقا.

(4) قوله: بالمبرد، سقط من (ب)، وبرد الحديد بالمبرد والبرادة بالضم ما سقط منه (مختار الصحاح ص46).

(5) في (ب): تكره.

(914/3)

(وتَثْلِم(1) منارالدين): المنار: علم الطريق، وأراد أنها تهدم أعلامه لما يحصل بسببها من الزيغ عنه وإهماله.

(وتنقض عقد(2) اليقين): ما أبرم من العقود اليقينية.

(يهرب منها الأكياس): أهل الكياسة من المؤمنين الجامعين لخصال الفضل.

(ويديرها(3) الأرجاس): ويتولى أمرها، ويدبِّرحالها الفسقة من الخلق.

(مرعادٌ مبراق): مبالغة فيما يحصل فيها من شدة الأمر، أخذاً لذلك من شدة الرعد والبرق والصواعق.

(كاشفة عن ساق): هذه الكلمة لا تستعمل إلا في الداهية العظيمة، والأمور المكروهة، كما قال تعالى في وصف القيامة: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:42] كناية(4) عن عظم الأمر وتفاقمه.

(تقطع فيها الأرحام): الأقارب بالهجران، وترك المواصلة لهم.

(ويفارق عليها الإسلام): أي من كان مجتهداً فيها فقد برئ عن الإسلام، وخلى عنه.

(بريئها سقيم): مهزول عن الدين لادين له.

(وظاعنها): الخارج عنها.

(مقيم): واقف عليها، وأراد أن الهارب عنها فهو(5) مقيم فيها لا ينفعه هربه عنها؛ لا نتشارها وسعتها(6)، أو أن الهارب منها بجسمه وهو مريد لها بقلبه كا لمقيم لا ينفعه الهرب من الخطأ والخطر.

(بين قتيل مطلول): طل الدم فهو مطلول، إذا ذهب هدراً لا ثائر له.

(وخائف مستجير): بغيره لا يأمن وحده فيها.

(يختلون بعقد الأيمان): من الختل وهو: الخدع، يقال: ختله إذا خدعه؛ لما يظهرونه من التغليظ(7)، والتعقيد في الأيمان الكاذبة جمع يمين.

---

(1) في (ب): وينثلم.

(2) في (أ): عند، وهو تحريف.

(3) في شرح النهج: ويدبِّرها.

(4) في (ب): وكنى به.

(5) قوله: فهو، سقط من (أ).

(6) في (ب): وسعيها.

(7) في (أ): التغلظ.

(915/3)

(وبغرور الإيمان): وبما يأخذون الناس من الغرر بإظهار النسك، والتقشف والعبادة والزهد، وغير ذلك مما يكون من أمارة الدين.

(فلا تكونوا): نهي وتحذير.

(أنصارالفتن(1)): ناصرين لها ولأهلها.

(وأعلام البدع): بمنزلة الأعلام لكل خصلة مبتدعة في الدين تضاد السنة وتخالفها.

(والزموا): أمر وحث.

(ما عُقد عليه حبل الجماعة): فإن يد الله مع الجماعة، وكما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً}[آل عمران:103] وأراد التمسك بالدين وأسبابه.

(وبنيت عليه أركان الطاعة): لله ولرسوله؛ فإنها إنما تؤسس على التقوى، والتزام العرى الوثيقة.
(واقدموا على الله): من قولهم: قدم علينا من سفره، وأراد القدوم على القيامة.
(مظلومين): مأخوذة أموالكم مستحلة أعراضكم، فإن الله تعالى يكون هو المنتصف لكم، وكفى به ناصراً لكم(2) ومنتصفاً.!
(ولا تقدموا عليه ظالمين): لأحد من الخلق في عِرْضٍ ولا مال، فيكون الله تعالى هو المنتصف منكم، والآخذ لكم بإجرامكم.
(واتقوا مدارج الشيطان): مذاهبه التي يذهب فيها في الخدع للخلق والمكر بهم.
(ومهابط العدوان): إما المعاداة للخلق، وإما التعدي عليهم، فكله هلاك للدين، وإبطال له.
(ولا تدخلوا بطونكم لُعَق الحرام): اللعقة: ما يلعق أي مأكولاته ومطعوماته، وفي الحديث: ((كل مغصوب حرام)).

---

(1) في النهج: أنصاب.
(2) قوله: لكم سقط من (ب).

(916/3)

(فإنكم بعين من حرَّم عليكم المعصية)(1): لاتخفون عليه، وهذه اللفظة من كلماته البديعة القصيرة، التي أنافت على الغاية في وصف الإحاطة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ}[آل عمران:120]، وقوله: {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس:12]، وكما قال النابغة الذبياني:
وإنَّك كا لليلِ الذي هو مُدْرِكِي

وإن خلت أن الْمُنْتَأعنك واسعُ(2)

ولقد أجاد فيما قال، ولكنه قاصر عن كلام أمير المؤمنين في المبالغة والرقة، فأما كلام الله تعالى فقد فاق على الكلامين جميعاً لذة وحلاوة، وبهجة وطلاوة.

(143) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الأئمة
(الحمد لله الدال على وجوده بخلقه): أراد أن الدلالة على وجود الله تعالى هو حدوث الخلق؛ لما قد(3) تقرر في العقول وبدائهها أن الْمُحدَث، وهو(4): الحاصل بعد أن لم يكن فلا بد له من مُحدِث، إذ(5) يستحيل في العقول أن يكون حاصلاً لا لأمر ولا من جهة مُحدِث، وكيف والعقول

شاهدة بأن الواحد منّا لو دخل منزلاً فوجد فيه كوزاً(6) فيه ماءٌ بارد فإنه يضطر لا محالة أنه لا بد له من واضع، ولا يخالجه في ذلك شك، فكيف ما يشاهده من أحوال العالم العظيمة من اختلاف الليل والنهار، وجري الشمس والقمر، والزروع والفواكه، والغيوم والأمطار، فيضطر لامحالة أنه لا بد لهذه الأشياء من مدبِّر وفاعل، تعالى شأنه وعظم سلطانه.

---

(1) بعده في شرح النهج: وسهّل لكم سبل الطاعة.

(2) لسان العرب 560/3.

(3) قوله: قد، سقط من (ب).

(4) في (ب): هو.

(5) في (أ): أو وهو خطأ.

(6) في (ب): يوجد فيه كوز.

(917/3)

(وَبِمُحْدَثِ خلقه على أزليته): يعني وإذا تقرر أنها مُحْدَثَةٌ وأن لها مُحدثاً فمُحدثُها لا بد من(1) أن يكون أزلياً، وإلا كان مفتقراً مثلها إلى مُحْدِثٍ يُحدثه، و[في ذلك](2) تسلسل الأمر إلى غير غاية، وقد تقرر في العقول بطلان وجود حوادث لا أول لها، فإذا بطل ذلك وجب القضاء بقديم لا أول له، وهو الله خالقها ومدبرها.

(وباشتباههم على أن لا شبه(3) له): المكونات الوجودية لا تنفك عن الاشتباه، ثم ذلك الاشتباه لا يخلو حاله إما أن يكون في الجنسية كاشتباه الإنسان والفرس والأسد في الحيوانية، أو يكون الاشتباه واقعاً في النوعية كاشتباه زيد وعمرو، وبكر وخالد في الإنسانية، أو يكون اشتباههما في الكمية والكيفية، وسائر المقولات العرضية، وكل هذه الاشتباهات مستحيلة على الله تعالى، لأنها كلها من توابع الجسمية والعرضية، وهما مستحيلان على الله تعالى، فلهذا قال: بجعله إياها مشتبهة لم يكن مشبها لها، إذ لوأشبهها لكان جسماً أو عرضاً مثلها، وذلك مستحيل عليه.

(لا تستلمه(4) المشاعر): مشاعر الإنسان: حواسه؛ لأنها طريق للشعور، وهو العلم بمدركاتها كالسمع والبصر، وسائر الحواس فلهذا سميت مشاعر.

(ولا تحجبه السواتر): تغطيه الحجب الكثيفة المانعة عن البصر، والإدراك؛ لأن ذلك لو جاز لكان جسماً يحجب بغيره، وهو مستحيل عليه.

---

(1) قوله: من، زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(2) سقط من (ب). .

(3) في (ب): شبيه.

(4) في (ب): لا تشمله، و في شرح النهج وفي نسخة أخرى: لا تستلمه كما أثبته، وفي (أ): لا تشتمله.

(918/3)

(لافتراق(1) الصانع والمصنوع): اللام هذه هي لام التعليل، وأراد أن هذه الأحكام من امتناع الإدراك عليه، وامتناع الاشتباه به، وأنه لا تستلمه(2) المشاعر من أجل أنها مصنوعات ومحدثات، ومن حق ما كان مصنوعاً أن يكون مخالفاً لصانعه، فإذا كانت المصنوعات أجساماً وأعراضاً، كانت العرضية والجسمية مستحيلة عليه تعالى.

(والحاد والمحدود): لأنه تعالى هو الذي حدَّ الأشياء، وجعل لها(3) حدوداً تنتهي عندها، وتقف عليها فلا بد من مخالفته لها.

(والرب والمربوب): لأنه إذا كان رباً لها فلا بد من تميزه عنها، وإلا استحالت الربوبية له.

(الأحد): أي الواحد من كل جهة، وعلى كل وجه.

(لا بتأويل عدد): أي(4) وليس معدوداً من جملة الأشياء؛ لأن الواحد أصل للأعداد من حيث كان يبتدأ(5) به في عدد الأشياء، فهو وإن كان واحداً فلا يتناوله العد(6) معها، وإلا لوجب أن يكون من جنسها.

(الخالق): إما الموجد كما تقوله الأشعرية، وإما المقدر كما يقوله أصحابنا المعتزلة(7).

(لا بمعنى حركة ونصب): أراد أنه وإن كان فاعلاً، فإنه في فعله لا يوجده(8) بحركة في نفسه وتعب كما يكون غيره من الفاعلين.

(السميع): الحي الذي لا آلة له على ما يقوله المتكلمون، من أن السميع هو الذي يصح أن يدرك عند وجود مدركه، وظاهر كلامه ها هنا أنه لا فرق بين السميع والسامع، وظاهر كلام المتكلمين التفرقة بينهما، والكلام فيه قريب المأخذ.

(لا بأداة): أي لاأذن له فيكون سامعاً بها.

---

(1) في (أ): لاقتران، وهو تحريف.

(2) في (ب): لاتشمله.

(3) لها، سقط من (أ).

(4) الواو زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.

(5) في (ب): يبدأ.

(6) في (أ): العدد.

(7) في نسخة أخرى: والمعتزلة.

(8) في (أ): توجده.

(919/3)

(البصير): إما الذي يصح أن يبصر على ما يزعمه أهل الكلام، وإما المبصر كما هو ظاهر كلامه.

(لا بتفريق آلة): تفريق الآلة ها هنا يعني به كيفية الإبصار، وفيه اختلاف بين المتكلمين، فعلى رأي أصحاب أبي هاشم لابد من تفريق الشعاع وامتداده نحو المرئي، وعلى رأي بعض النظَّار من المعتزلة لا بد من الانطباع للمرئي في الحاسة، وعلى رأي الفلاسفة لابد من تكيف الهواء بنور العين في الهواء المتوسط بين العين والمرئي، إلى غير ذلك من الاضطراب في كيفية الإدراك لما تدرك العين، وعلى كل حال فإنه تعالى مبصر لا على هذه الكيفيات؛ لأنها إنما تكون مختصة بالعين، وهو محال في حق الله تعالى، فلهذا قال: (مبصر لا بتفريق آلة) يشير إلى ما قلناه.

(الشاهد): الرقيب على كل شيء، والعالم به، والمختص بحقائقه.

(لا بمماسَّة): أي أنه وإن علم الأشياء كلها فإنه غير مفتقر إلى مماستها.

(البائن): البعيد عن الأشياء.

(لا بتراخي مسافة): أراد أن كل شيء بان عن شيء آخر غيره وبَعُدَ عنه، فإن ذلك إنما يكون لمسافة وَبُعْدٍ وتراخي، وبُعْدُه تعالى عن الأشياء ليس كذلك؛ وإنما هو يكون(1) باختصاصه بأوصافه الثابتة له لا غير.

(الظاهر): المنكشف بالأدلة والبراهين، وما خلق من المصنوعات الدالة على ظهوره، وثبوته في الوجود.

(لا برؤية): لأن ظهور الأشياء إنما يكون بالرؤية لها(2)، وهو تعالى مخالف لها فيظهربالعلم، ولا يرى بالحاسة لاستحالتها عليه؛ لأنه لا بد فيها من المقابلة، وهي مستحيلة عليه.

(الباطن): أراد إما العالم ببواطن الأشياء، وخفياتها وسرائرها، وإما الباطن عن إدراك الأبصار فلا تدركه.

---

(1) قوله: يكون، زيادة في (ب).

(2) في (أ): بها.

(لا بلطافة): بمعنى(1) أنه وإن كان باطناً؛ فليس لطفة(2) من أجل أنه أصغر المقادير وأَرقَّها(3)، كالجزء الذي لا يتجزَّأ، أو كالأشياء(4) اللطيفة، كالهباء(5) فإنها وإن كانت لطيفة لكنها أجسام، ويستحيل كونه جسماً.

(بان من الأشياء): تميَّز عنها وخالفها.

(بالقهر لها): بأن قهرها وكانت مطيعة له، واقفة على حسب إرادته، وعلى وفق داعيته.

(والقدرة عليها): بالإيجاد، والإنشاء، والاختراع.

(وبانت الأشياء(6) منه): وكانت متميزة عنه على خلاف ذلك ونقيضه.

(بالخضوع له): الاستصغار لأمره، والتذلل له.

(والرجوع إليه): في الابتداء لها، والانتهاء منها، كما قال تعالى: {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}[هود:123]، {أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ}[الشورى:53].

(مَنْ وَصَفَهُ): بالصفات التي تؤذن بالجسمية كالحصول في الجهة والكون فيها(7)، أو تكون ذاته محلاً للأعراض، أو بالصفات التي تؤذن بالعرضية نحو حلوله في محل، أو غير ذلك من صفات الأجسام والأعراض.

(فقد حدَّه): لأنه إذا كان بهذه الصفات صار محدوداً لا محالة، له غاية وله نهاية، وشكل ومقدار، وانحصار وتعدد.

(ومن حدَّه): جعل له حداً بما ذكرناه.

(فقد عدَّه): جعله واحداً من هذه الأشياء المحدثة، وجعله مجانساً لها كمجانسة بعضها لبعض.

---

(1) في (ب): يعني.

(2) ظنن عليها في (ب) بقوله: كونه باطنا.

(3) في (ب): وأدقها.

(4) في (ب): أو كالأجسام.

(5) الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. (مختار الصحاح ص689).

(6) قوله: الأشياء، زيادة من شرح النهج.

(7) بعده في (ب): أو تكون فيها.

(ومن عدَّه فقد أبطل أزله): لأنه إذا صار مجانساً لها مشاكلاً لماهياتها فقد صار مثلاً لها، فإذا كانت مُحدَثة كان مُحْدَثاً مثلها، وفي ذلك بطلان كونه أزلياً، فقد ظهر مصداق مقالته بهذا التقرير الذي ذكرناه.

(ومن قال: كيف): أي ومن سأل عنه بالكيفية فقال: كيف هو؟

(فقد استوصفه): إما طلب الوصول إلى كنه حقيقته وهو محال، وإما طلب أن يكيِّفه بشيء من هذه الكيفيات المحدثة الحسية(1)، وكله غير لائق بذاته.

(ومن قال: أين): أي ومن سأل عنه بالأينية، فقال: أين هو؟

(فقد حيَّزه): أي جعله مختصاً بالحيز، والمكان والجهة؛ لأن أين سؤال عن جهة.

(عالم): في الأزل بالحقائق كلها التي هي بلا نهاية فإنه سيوجدها، وأنها ستكون(2) بتكوينه.

(إذ لامعلوم): موجود، لأن الأوقات(3) الأزلية يستحيل حدوث حادث فيها.

سؤال؛ المعلوم من حقيقة كون العالم عالماً، فكيف(4) أثبته عالماً، وأبطل معلومه؟

وجوابه؛ الأمر على ما قلته فإنه يستحيل في العقل عالم ولا معلوم هناك، وإنما أراد بالمعلوم في الأزل الأمور الموجودة؛ لاستحالة وجودها كما ذكرناه، فأما أن يكون مراده إثبات عالم ولا معلوم هناك مطلق فقدره أشرف وأعلا من أن يقصد ذاك، وكيف وهو شيخ الصناعة الكلامية، واستاذ هذه العلوم الإلهية، في فنائه كان محط رحالها، وعليه كان تعويل(5) رجالها.

(وربٌّ): مالك للخلائق(6) كلها وإله لهم.

(إذ لا مربوب): يعني أنه مستحق للربوبية، والإلهية في الأزل، ولا مربوب هناك يوجد لاستحالة وجوده.

---

(1) في (ب): الجسمية.

(2) في (أ): وأنه سيكون.

(3) في (ب): أوقات.

(4) في (ب): وكيف.

(5) في (ب): يعول.

(6) في (ب): للخلق.

(وقادر): موصوف بالقادرية ومن حيث كانت قادريته هي ذاته وذاته حاصلة في الأزل، فلهذا حكمنا عليه بالقادرية في الأزل.

(إذ لا مقدور): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد إذ لافعل هناك في الأزل؛ لا ستحالة وجوده هناك.

وثانيهما: أن يريد أنه لا مقدور هناك؛ لأن من حق المقدور أن يكون(1) مما يصح إيجاده، ويكون ممكناً، وهذا غير حاصل في الأزمنة الأزلية فإنه لا يصح فيها حدوث حادث أصلاً، وفيه بحث دقيق يليق بالمقاصد الكلامية، وقد ذكرناه(2) بالكتب العقلية، وأنهينا فيه القول نهايته.

(قد طلع طالع): أراد بذلك ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله.

(ولمع لامع): بالخير والإرشاد إلى طريق الهداية.

(ولاح لائح): بمعالم الدين، وأحكام الشريعة.

(واعتدل مائل): أراد واستقام به من الدين ما كان مائلاً لولاه بتوحيد الله دون عبادة الأوثان، وبعبادته دون الإشراك بغيره، ولا اعتدال أعظم من هذا.

(واستبدل الله قوماً بقوم) (3): بالمؤمنين عن(4) الكافرين، وبأهل الجاهلية أهل الشريعة المحمدية، وبمن عبد الطاغوت والأوثان من وحدَّ الله وعبد الرحمان.

---

(1) في (ب): أن يكون ما يصح مما يصح إيجاده.

(2) في (أ، ب): ذكرنا، وما أثبته من نسخة أخرى.

(3) في (ب) و شرح النهج: واستبدل الله بقوم قوماً.

(4) في (ب): غير.

(923/3)

(وبيوم يوماً): أيام الجاهلية وبدعها، أيام الإسلام وسننها، أوبأيام النيروز والسعانين(1) يوم الجمعة وأيام العيدين، أوبيوم عاشوراء شهر رمضان.

(وانتظرنا الغير): أراد بأهل مكة في أول زمان النبوة فإنهم كانوا يومئذ في ضيق وضنك منهم، ومشقة من علاجهم، فانتظروا بهم غِيَر الدهر وتقلباته فأدال(2) الله منهم وصغَّرهم، وأذلَّهم بالإسلام.

(انتظار المجدب المطر): فإن انتظاره له انتظار حاجة، والفرج يكون أكثر.

(وإنما الأئمة قوام الله على خلقه): يستقيم بهم أمر الله تعالى ونهيه، ويمضي بهم أحكام الشريعة، ويؤخذ بهم للضعيف من القوي، ويتقوى بهم الإسلام والدين قوة ظاهرة، ومن ثمَّ عظم أمرهم عند الله، وكانوا عنده في أعلى المراتب، وفي الحديث: ((السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه كل مطرود

ملهوف))(3).

(وعرفاؤه على(4) عباده): العريف هو: الرئيس لكل جماعة، وفي الحديث: ((لكل قرية عريف، والعرفاء في النار))(5).

---

(1) النيروز لفظ معرَّب وأصله فارسي وهو يعني أول يوم من السنة (وانظر القاموس المحيط ص677)، والسعانين: عيد للنصارى وهو سرياني معرَّب، قال ابن الأثير في النهاية 369/3 ما لفظه: وفي حديث النصارى: ((ولا يخرجوا سعانين)) وهو عيد لهم معروف قبل عيدعم الكبير بأسبوع وهو سرياني معرَّب، وقيل: هو جمعٌ، واحدُه سعنون. انتهى.

(2) في (أ): فادل.

(3) رواه في مجمع الزوائد 196/5، ومسند الشهاب 201/1، وشعب الإيمان للبيهقي 16/6.

(4) قوله: على، سقط من (أ).

(5) رواه في مجمع الزوائد 234/5، وسنن البيهقي الكبرى 361/6، وسنن أبي داود 131/3، ومصنف ابن أبي شيبة 342/5.

(924/3)

(لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه): يشير بذلك إلى أن نصب الإمام واجب على المسلمين، فإنه يجب عليهم طلبه والاهتمام بأمره، ويجب عليهم معرفته لما عليهم فيه من التكاليف العظيمة، من نصرة الدين والجهاد معه لأعدائه، فمن قام بهذه الواجبات كان مستحقاً للجنة لا محالة.

(ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه): أراد أنهم إذا لم ينظروا في وجوب نصب الإمام أو يكون قائماً، ولا ينصرونه ويعضدونه(1)، ولا يعرفون حاله، فإن ذلك يكون منهم تركاً لما وجب عليهم، ويحصل لهم الإثم(2) في ذلك، فلا يمتنع استحقاقهم للنار بذلك إذا كان عند الله كبيرة.

(وإن الله خصهم بالإسلام): بإظهار أحكامه، وتقوية قواعده، وتأسيس أركانه، والنصرة له، والذب عنه(3)، والجهاد لأعدائه.

(واستخلصهم له): إما اختصهم الله لنفسه بأن أكرمهم ورفع درجاتهم عنده، وإما اختصهم للإسلام وجعلهم أمناء عليه، وكل ذلك عناية من الله لهم في كلتا الحالتين، يقال: استخلص هذا لنفسه إذا كان مختصاً به(4).

(وذلك): إشارة إلى الاستخلاص.

(لأنه اسم سلامة): الضمير للإسلام، أراد أن اشتقاق الإسلام من السلامة فسمي إسلاماً(5) من أجل ذلك.

(1) في نسخة أخرى: ويقصدونه.
(2) في (ب): ويحصل بهم الألم.
(3) في (أ): منه، وفي (ب): عنه، وما أثبته من (ب).
(4) قوله: به، سقط من (أ).
(5) قوله: إسلاماً، سقط من (ب).

(925/3)

(وجماع كرامة(1)): الجماع: ما ضمَّ أعداداً متفرقة، محمودة كانت أو مذمومة، كما ورد في الحديث: ((الخمر جماع الإثم))(2) أي أنه جامع لخصال كريهة.
(اصطفى الله منهجه): اختار الله طريقه فجعلها من أيمن الطرق وأوضحها، وجعل أسبابه أقوى الأسباب وأوضحها.
(وبيَّن حججه): أظهرها وأوضحها للناظرين في صحتها واستقامتها، وجعله على وجهين:
(من ظاهر علم): أي علم ظاهر لا يحتاج إلى نظر واستدلال.
(وباطن حكم): أي وحكمة باطنة تحتاج إلى استثارة بدقيق(3) الأنظار وخفيها.
(لا تفنى غرائبه): أسراره ومعانيه الغريبة.
(ولا تنقضي عجائبه): أحكامه العجيبة، ومراتبه العالية، ومنازلة الشريفة.

(1) في (أ): وجماع إكرامه.
(2) رواه في مسند شمس الأخبار 190/2 وعزاه إلى مسند الشهاب، ورواه في نهاية ابن الأثير 295/1، ومصنف ابن أبي شيبة 106/7، ومسند الشهاب 66/1، والزهد لهناد 286/1، وأورده في موسوعة أطراف الحديث 669/4 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين541/8، ومشكاة المصابيح للتبريزي (5212)، والدر المنثور للسيوطي 225/2، والترغيب والترهيب للمنذري 257/3، وكشف الخفاء للعجلوني 460/1.
(3) في (ب): استيثاره لدقيق.

(926/3)

(فيه مرابيع النِّعم): المرباع هو: الربع، والمعشار هو: العشر، ولم يرد في الأعداد على هذا البناء سواهما، وجمعه مرابيع هكذا، قال قطرب(1): وأحسب أن مراد أمير المؤمنين اشتقاقه من الربيع، وهو أحسن أيام السنة، والمربع هو: منزل القوم في الربيع.

قال لبيد:

رزقت مَرَابِيْعَ النجومِ وصابُها

وَدَق الرواعد جودُها ورهامُها(2)

وأراد أنه أفضل النعم كما أن الربيع أفضل أيام السنة.

(ومصابيح الظلم): جمع مصباح، وهو: السراج.

(لا تفتح الخيرات إلا بمفاتحه(3)): جمع مفتح، أي أن الأعمال الصالحة لا يمكن تحصليها إلا به من حيث كان أصلاً لها، وقاعدة لمهادها.

(ولا تكشف الظلمات إلا بمصابحه(4)): جمع مصبح، وأراد أن الظلمات الكفرية لا يمكن إزالتها وإبعادها إلا بالتلبس به واستعماله.

---

(1) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، المتوفى سنة 206هـ، نحوي عالم بالأدب واللغة من أهل البصرة من الموالي، وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وقطرب لقب دعاه به أستاذه سيبويه فلزمه، وله تصانيف منها: معاني القرآن، والنوادر، والأزمنة وغيرها (انظر الأعلام 95/7).

(2) في شرح المعلقات السبع للزوزني: فرهامها، انظر البيت فيه صـ73. ومرابيع النجوم: الأنواء الربيعية، وهي المنازل التي تحلها الشمس فصل الربيع، الواحد: مرباع، والصوب: الإصابة، والودق: المطر، والجود: المطر التام العام، والرهام: جمع رهمة وهي المطرة التي فيها لين (راجع المصدر المذكور).

(3) في (أ): بمفاتيح، و في شرح النهج: بمفاتيحه.

(4) في شرح النهج: بمصابيحه.

(927/3)

(قد أحمى(1) حِماه): أي جعله الله حمىً لا يمكن استباحته(2) لأحد، وفي الحديث: ((لا حمى إلا لله ولرسوله))(3).

(وأرعى مرعاه): أي جعله مرعى ينعم فيه أهله، من أهل الدين والتقوى.

(فيه شفاء المشتفي): أي الشفاء لمن اشتفبه من كل داء يصيبه.

(وكفاية المكتفي): أي وكفاية لمن استكفى به عن غيره من الأديان.

واعلم: أن كلامه في هذه الخطبة فيه دلالة على وجوب نصب الأئمة، ولا خلاف في وجوبه إلا ما يحكى عن شذوذ لا عبرة بهم، مسبوقون بالإجماع، وإنما الخلاف في طريقها، فقائل: بالعقل، وقائل: بالشرع، وقائل: بهما جميعاً، ولا خلاف بين من أوجبها أنها واجبة بالشرع، وأقوى برهان على ذلك من جهة الشرع، هو أن الصحابة رضي الله عنهم تركوا ماهو الأهم من دفن رسول الله، وغسله وأبكروا (4)

---

(1) في (أ): حما.

(2) في (أ): استساحته.

(3) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 241/7، وعزاه إلى عدة مصادر منها: مسند أحمد بن حنبل 71/4، 73، والسنن الكبرى للبيهقي 146/6، ومصنف ابن أبي شيبة 303/7، والمعجم الكبير للطبراني 95/8، وسنن الدارقطني 238/4 وغيرها.

(4) حاشية في (ب) لفظها:

لكنه يقال: لادلالة فيما فعله أهل السقيفة من الإبكار والمسارعة إليها؛ لأن ذلك من بعض الصحابة، وفعل البعض ليس بحجة، وإنما الحجة من حيث اتفق كل الصحابة من حضرها ومن لم يحضرها على أنه لابد من إمام، فأما إيثار أهل السقيفة العقد لأبي بكر على دفن رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم فلا كرامة، وأمير المؤمنين عليه السلام- اشتغل بتجهيز رسو الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كان ما فعله أهل السقبفة هو الصواب لبادر إليه أمير المؤمنين عليه السلام-، فتدبر إن كنت ممن يتدبر، وإلى الله المصير في يوم المحشر. تمت.

(928/3)

إلى السقيفة، ثم أقبلوا على الاشتوار فلولا فهمهم لوجوب ذلك، وحرجهم بتركه لما فعلوا ذلك، فهذا دليل قاطع على وجوب نصبه لا محالة.

(144) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها الآخرة

(وهو في مهلة من الله): إمهال نفَّسه الله له، وهو تأخر الأجل وامتداده، وأراد ابن آدم.

(يهوي): هَوِي بالكسر يهوى بالفتح، إذا أحبَّ، وهوى بالفتح يهوي بالكسر إذا سقط أو سار، وأراد ها هنا أنه يسير:

(مع الغافلين): عن الله وعمَّا يتوجه من الطاعة له.

(ويعدو): بالعين، والغين(1) كلاهما وسماعنا بهما، وأراد أنه ينتقل.

(مع المذنبين): الجامعين للذنوب، الحاملين لها على ظهورهم فهو على هذه الحالة ينقلب:

(بلا سبيل قاصد): من غير أن يسير على طريق عادلة.

(ولا إمام قائد): له إلى الخير، والتزام أمر الله وطاعته.

(حتى إذا كشف لهم): حتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره: فهم مستمرون على ما هم عليه من المخالفة حتى إذا ظهر لهم من الله.

(عن جزاء معصيتهم): من العقاب في الآخرة.

(واستخرجهم من جلابيب غفلتهم): جلابيب: جمع جلباب، وهو رداء غامر لمن ارتدى به، وأراد أن الله استخرجهم مع شمول الغفلة لهم في الدنيا، وانهماكهم في الذهول عمَّا يراد منهم فيها.

(استقبلوا مدبراً): إما أقبلوا إلى الدنيا مع إدبارها عنهم، وإما استقبلوا ندامة غير نافعة لهم الآن.

(واستدبروا مقبلاً): إما الآخرة أعرضوا عنها مع إقبالها، وإما تركوا الأعمال الصالحة مع تمكنهم من فعلها في الدنيا.

(فلم ينتفعوا بما أدركوا من طَلِبَتِهِم): الطَلِبَة هي: الطلب، وأراد أنهم فيما أحرزوه من اللذات في الدنيا ما عادت عليهم بنفع.

---

(1) فبالعين كما هو مثبت، وبالغين أي يغدو.

(929/3)

(ولا بما قضوا من وطرهم): الوطر: الحاجة، أي ولا نفعهم ما قضوه من أوطارهم فيها؛ لفوات ذلك من أيديهم، وانقطاعه الآن عن أنفسهم.

(وإني أحذركم ونفسي هذه المنزلة): قدَّم في التحذير أنفسهم جرياً على عادته في المبالغة في النصيحة، وإبلاغ الموعظة، وعنى بهذه المنزلة ما أصبحوا فيه من انقطاع الدنيا ولذتها، وبقاء تَبِعَتِها، وإقبال الآخرة وثواب نعيمها، فنعو ذ بالله من الخذلان، وخسارة الأنفس.

(فلينتفع امرؤ بنفسه): ينفعها بالإقبال على ما يكون فيه إحراز الآخرة، والفوز بها.

(فإنما البصير): إما العاقل لأنه ذو بصر، وإما المبصر بعينيه(1) العظات.

(من سمع): هذه المواعظ، أو(2) أخبار الأولين من القرون الخالية.

(فتفكر(3)): فيها وفي عاقبة أمره، وما يؤول إليه حاله.

(ونظر): بقلبه في الأمور أو تأمل بعينيه(4) إلى تصرفات الدهر، وتقلباته بأهله.

(فأبصر): إما استبصر بعقله، أو أبصر(5) بعينيه.

(وانتفع بالعبر): جمع عِبْرة، وهو ما يراه من هذه المواعظ فإنها نافعة لمن اتعظ بها وتذكَّر(6) لمن أقبل عليها بقلبه.

(ثم سلك جدداً): طريقاً مستوياً.

(واضحاً): جلياً من مسالك الهدى، وطرق السلامة عن الهلاك والردى.

(يتجنب فيه الصرعة في المهاوي): جمع مَهْواة، وهي: الحفرة العميقة.

(والضلال في المغاوي): جمع مَغْواة، من قولهم: غوى عن الطريق إذا لم يهتد لصوابها وسلوكها، وغرضه من هذا كله هو الاستقامة(7) على الدين واتباع آثاره.

---

(1) في (ب): بعينه.

(2) في (ب): وأخبار.

(3) في (ب): فيفكر.

(4) في (ب): تقلبه في الأمور أو قابل بعينيه على تصرفات الدهر وتقلباته بأهله.

(5) في (ب): أو أدرك بعينه.

(6) في (ب): وتذكرة.

(7) في (ب): استقامة.

(930/3)

(ولم يعن على نفسه الغواة): أي أن السلامة إنما تكون بفعل ما ذكرناه، وبأن لا يكون عوناً لمن كان غاوياً، حائداً عن الطريق من الخلق، على نفسه بأفعال يفعلها إما:

(بتعسف في حق): بالعدول عن الحق، إما بأخذ حق غيره، وإما بالزيادة على حقه فيكون ظالماً في الحالين جميعاً.

(أو تحريف في نطق): كذب، إما في شهادة زور(1)، وإما يقول على الغير مالم يفعل(2).

(أو تخوف من صدق): أو يخاف خوفاً من الصدق فيدعوه ذلك إلى الكذب على الله، أو على رسوله، أو على المؤمنين فارتكاب هذه الخصال كلها مُعِيْنَةٌ لا محالة للغواة على النفس بإهلاكها.

(فأفق أيها السامع عن(3) سكرتك): لهذه المواعظ الشافية عن سكرة الغفلة.

(واستيقظ عن(4) غفلتك): اطلب اليقظة عن الإعراض بالتغافل عمَّا حذّرت منه.

(وأنعم الفكر(5)): من قولهم: نَعُمَ الشيء بالضم يَنْعَمُ نُعُوْمَةً إذا صار ناعماً ليناً، وأراد استقامة الفكر والتحذير عن الزلل فيه؛ فإنه كثير ما يعرض، ومن ثمَّ عظم الخطأ لسائر الفرق إلا من وفق الله وعصمه.

(فيما جاءك على لسان النبي الأمي): من الحكم والمواعظ والإخبار عمَّا كان وعمَّا هو كائن في الكتاب والسنة، فإنهما كلاهما مأخوذتان عنه.

(مما لا بد منه): من الأرزاق والآجال والأمورالكائنة.

(ولا محيص عنه): من الأقضية والمقادير.

(وخالف): جانب.

(من خالف ذلك): واتبع خلافه، وعدل عنه.

(إلى غيره): فإنه باطل لا ثمرة له ولا طائل تحته.

---

(1) في (ب): الزور.

(2) في (ب): يقل.

(3) في شرح النهج: من.

(4) في (ب) وشرح النهج: من.

(5) بعده في شرح النهج: واختصر من عجلتك.

(931/3)

(ودعه وما رضي لنفسه): من ذلك، وهذا فيه دلالة على وجوب الالتفات إلى صلاح الإنسان لنفسه، ووجوب إصلاح الخلق؛ إنما هو على طريق الكفاية، كما قال تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[المائدة:105].

(وضع فخرك): افتخارك على الناس، فإن الفخر كله في تقوى الله دون غيره، كما قال تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات:13].

(واحطط كبرك): تكبرك وتعاليك على الناس، وفي الحديث: ((ما من آدمي إلا وفي رأسه حَكَمَة(1) بيد ملك، فما تواضع إلا رفعه، ولا تكبر إلا وضعه)).

(واذكر قبرك): وحشته، وظلمته، ورائحته، ودوده، وبلاه وعظائمه.

(فإن عليه ممرك): بكرة وعشياً في الأرض، وعن قريب وأنت كائن فيه ومُضَمَّنٌ إياه.

(وكما تدين تدان): تجازي تجازى، أي كما تفعل من خيرأو شر يفعل بك مثله، قال تعالى: {أَإِنَّا لَمَدِينُونَ}[الصافات:53] أي مجزيون محاسبون.

(وكما تزرع تحصد): فمن يزرع الشر يحصد الندامة، ومن يزرع المعروف يحصد الكرامة.

(وما قدمت اليوم): من عمل سيء، أو حسن في الدنيا.

(تقدم عليه غداً): على جزائه في الآخرة من ثواب أوعقاب.

(فامهد لقدمك): مهِّد المكان إذا وطَّأه، أي وطِّئ الأرض لتستقر قدمك عليها كيلا يعظم عثارك، وهو مجاز ها هنا في الأعمال الصالحة.

---

(1) الحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه، تمنعه عن مخالفة راكبه (النهاية لابن الأثير1/420)، والحديث في نهاية ابن الأثير، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف9/225 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 8/351، 354، وكنز العمال برقم (5729) و(5743).

(932/3)

(وقدم ليومك): أراد وقدم أعمالك من أجل يومك الذي توعد به وهو يوم القيامة.

(فالحذر الحذر): إغراء بالتحذير في الأمور كلها، وانتصابه بإضمار فعل أي الزم الحذر.

(أيها السامع): لما قلته(1) من هذه المزال(2) المردية والوقوع فيها.

(والجدَّ الجدَّ(3)): جدَّ(4) في الأمر إذا بالغ فيه، واهتم بحاله أي الزم الجدّ(5).

(أيها الغافل): عمّا يراد به من ذلك.

سؤال؛ أراه ها هنا خصَّ السامع بالتحذير، وخصَّ الغافل بالجدِّ، فما وجه التفرقة بينهما، وكل واحد منهما يحتاج إلى الحذر والجدِّ فيما هما(6) بصدده؟

وجوابه؛ هو أن إغفال الموعظة بعد سماعها إعراض عنها، وترك لها بعد وجوب الحجة عليه بها، فلهذا خصَّه بالحذر لما فيه من مزيد المبالغة في التحرز عن ذلك، بخلاف الغافل عن سماعها، فإنه لا محالة أقلّ جرماً لمَّا لم تجب عليه الحجة بسماعها، فلهذا خصَّه بالجدِّ في إزالة الغفلة والتحفظ عنها.

({وَلاَ يُنَبِّئُكَ}): عن هذه اللطائف، ويكشف عن هذه الأسرار البديعة.

({مِثْلُ خَبِيرٍ}[فاطر:14]): بها، عالم بحقائقها وتفصيلاتها، ولله دَرُّ أمير المؤمنين فما أشفى مواعظه [وأجلاها] (7) لصدأ القلوب، وأعظم إزالتها لتطخية(8) الخواطر.

---

(1) في (ب): قبله.

(2) المزال جمع المزلَّة بفتح الزاي وكسرها المكان الدحض وهو موضع الزلل. (مختار الصحاح

ص274).

(3) في (أ): والحذر الحذر، وما أثبته من (ب)، ومن النهج.

(4) في (أ): حذر.

(5) في (أ): الحذر.

(6) في (ب): هو.

(7) زيادة في (ب).

(8) الطخية: الكرب على القلب، والطخياء: الليلة المظلمة. (انظر القاموس المحيط ص 1684).

(933/3)

(إن من عزائم الله): عزم الأمر إذا قطعه، ولم يتردد فيه، قال الله تعالى: {وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}[طه:115] أو من واجباته التي أوجبها.

(في الذكر(1) الحكيم): الكتاب المحكم المتضمن للحكم، أو السالم عن الزلل والقبيح(2).

(التي عليها يثيب): يعطى ثوابه.

(وعليها يعاقب): يكون عقابه في الآخرة.

(ولها يرضى ويسخط): يكتب رضاه وسخطه.

(أنَّه لاينفع عبداً): أن هذه هي(3) المفتوحة، وهي وصلتها في موضع رفع على الابتداء فلما دخلت أن كانت منصوبة بها، وعبداً منصوباً على المفعولية.

(وإن أجهد نفسه): بفعل الأعمال الصالحة وأتعبها بذلك وأنصبها.

(وأخلص فعله): عن كل ما يشوبه من الرياء وسائر المحبطات له.

(أن يخرج من الدنيا لا قياً ربه): أن هذه في موضع رفع على الفاعلية لقوله: ينفع.

(بخصلة من هذه الخصال): واحدة من هذه الكبائر.

(لم يتب منها): يكون نادماً على فعلها في الدنيا، لأن الندم والتوبة لا معصية معهما، وهما يمحوان كل كبيرة كفراً كانت أو فسقاً.

(أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته): أن في موضع جر بدلاً من قوله: (بخصلة(4) من هذه الخصال) لأنه بيان له، أو عطف بيان عليه، ولهذا معنيان:

أما أولاً: فيريد الشرك بعبادة غير الله من وثن أو صنم.

وأما ثانياً: فيريد بالشرك الرياء بالعبادة فإنه يكون شركاً، لأنه إنما يفعل [من](5) تلك العبادة من أجل الغير فقد أشرك غير الله في عبادة الله؛ بأن فعلها لمكانه(6) كالعابد لغير الله.

---

(1) في (ب): في الذكر، كما أثبته وفي (أ): والذكر.

(2) في (ب): والتنتيح هكذا وهو غامض.

(3) هي، سقط من (ب).

(4) في (أ): خصلة.

(5) سقط من (ب) وفي نسخة أخرى: إنما فعل من تلك..إلخ.

(6) في (ب): لمكان غيره.

(934/3)

(أو يشفي غيظه(1) بهلاك نفس(2)): كأن يقتل من لا جرم [له](3) تشفياً للغيظ ومساعدة للنفس في ذلك.

(أو يقر بأمرفعله غيره): كأن يقول: أنا قتلت فلاناً، وهو يعلم أن غيره قتله فيقتل به، فيكون كالقاتل لنفسه بذلك لما كذب على نفسه.

(أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهاربدعة): أو تكون له حاجة إلى غيره لأفناء الناس فيطلب نجاحها من جهته، فلايمكنه ذلك إلا بإظهار بدعة في الدين وارتكابها.

(في دينه): نحو تبديل دينه بالخروج إلى غيره أو ارتكاب فسق لا خلاف في كبره، أو يدعو إلى بدعة يكون فيها ترك للسنة وإبطال لها.

(أو يلقى الناس بوجهين): يحسِّن إلى هذا ما فعله من القبيح، ويقبِّح إلى هذا مافعله من الحسن، خدعاً ومكراً وتمرداً.

(أو يمشي فيهم بلسانين): يبلِّغ إليك من صديقك ما تكره سماعه منه، ويبلِّغ إلى عدوك فيك ما يحب سماعه منه، فهذه الخصال كلها مهلكة للدين قاطعة له، وظاهر كلامه ها هنا أنها كبائر؛ لأنه جعلها مع الشرك بالله، ولا يقرن بالكبيرة صغيرة(4) ليس مثلها؛ لأنه قال: لا ينفع معها شيء من الأعمال، ولن يكون الأمركما قال إلا وهي كبائر مهلكة لمن ارتكبها، لا شك في ذلك.

(اعقل ذلك): أي افهمه وتدبره؛ فإن من ذكرناه لك ممن هلك أو نجا بأفعاله مماثل لك ومشابه، فخف مما خافوه من ذلك، وارجُ ما كانوا يرجونه منه.

(فإن الْمِثْلَ دليل على شبهِهِ): فلما بينهما(5) من علقة المشابهة كان دليلاً عليه.

---

(1) في (أ): عطفه، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب) والنهج.

(2) في (أ): نفسه،

(3) في (أ): لا، وهو تحريف.

(4) في (أ): ولا يقرن بالكبيرة والصغيرة وليس مثلها.
(5) في (ب): فلما وجد بينهما...إلخ.

(935/3)

(إن البهائم همُّها بطونُها): لا همَّ لها في شيء من الأمور إلا قضاء أوطارها من الشهوات من الأكل والشرب، وحطَّ عنها ما سوى ذلك.

(وإن السباع همُّها العدوان على غيرها): لا همَّ لها سواه لما خلقت عليه من الضراوة، وشكس الخلقة، فطبعها التعدي على غيرها كالأسد فإن همَّه الافتراس، وهكذا سائر السباع.

(وإنَّ النساء همُّهُن زينة الحياة الدنيا): ولهذا قال صلى الله عليه وآله: ((النساء حبائل الشيطان))(1)، وفي حديث آخر: ((ما خلفت على أمتي أضر من النساء))(2)، ولقد صدق من قال(3):

يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ عَلِمْنَهُ

وَشَرخُ الشبابِ عندهنَّ عجيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مالُه

فليس له في وِدِّهنَّ نصيبُ

فلا غرض لهنَّ إلا ما كان من زينة الدنيا، ومتاعها وغرورها.

---

(1) الحديث في مصنف ابن أبي شيبة 106/7، ومسند الشهاب 66/1، والزهد لهناد 286/1، وأورده في موسوعة أطراف الحديث 101/10، وعزاه إلى الترغيب والترهيب للمنذري 257/3، وكشف الخفاء 436/2، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 96/3.
(2) الحديث بلفظ: ((ما تركت على أمتي بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)) في موسوعة أطراف الحديث وعزاه إلى مصنف ابن أبي شيبة 65/15، والدر المنثور للسيوطي 180/4، وتفسير ابن كثير 139/5، قلت: وهو في صحيح مسلم 4 رقم (2098)، والبخاري 5 رقم (1959)، وصحيح ابن حبان 306،308/13، وسنن الترمذي 103/5.
(3) هو علقمة الفحل، وقد سبقت ترجمته.

(والفساد فيها): إما بالدعاء إلى أنفسهنَّ بالفجور والزنا، وإما بالدخول في الأطماع والمكاسب الخبيثة رغبة فيهنَّ، وإما من أجل تهييج الحرب(1) بدعائهن، فالفساد في الدين يدخل من هذه الأوجه وغيرها.

(إنَّ المؤمنين مستكينون): خاضعون ذليلون، من الاستكانة وهي: الذلة لربهم.

(إنَّ المؤمنين مشفقون): خائفون لله وجلون منه.

(إنَّ المؤمنين خائفون): لعذاب الله وأليم سخطه.

سؤال؛ إنَّ المؤكدة إذا تكررت مصدَّرة في أول الجمل، فقد تأتي بالواو كقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}[الأعراف:167] وقد تأتي بغير واو ، كما قاله ها هنا في هذه الجمل، فهل بينهما(2) تفرقة؟

وجوابه؛ هو أن الواو إذا جاء ت فإنها دالة على الجمعية، وإن لم يُؤْتَ بها كان كل واحد من هذه الجمل على استقلال وانفراد، من غير إشعار بالجمعية، وهذا يسمى التجريد، وقد جاء التجريد في الصفات، كقوله تعالى: {الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}[الحشر:24] وغير ذلك.

(145) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الظاهر والباطن

(وناظر قلب اللبيب): الناظرهو: الحافظ للشيء، أي قلب اللبيب حافظ للأشياء متقن لها بخلاف قلب الأحمق.

(به يبصر أمده): الضمير للقلب، أراد أنه يعرف غايته ومنتهاه به.

(ويعرف غوره ونجده): الإغوارهو: السير في بطون الأودية، والإنجاد هو: السير في الأماكن المرتفعة، وهو كناية ها هنا عن معرفته بحال نفسه في جميع أموره كلها.

(داعٍ دعا): إلى الحق ومنهاج الرشد.

---

(1) في نسخة أخرى: الحزن.

(2) في (أ): بينها.

(وراعٍ رعى): أحسن رعاية، وأعظم حياطة لمن يرعاه، وأراد بذلك نفسه فإنه دعا الخلق إلى طاعة الله تعالى، وسار فيهم أحسن السير وأعدلها، ورعاهم بالعدل وإكمال الحقوق، كما يشهد له ظاهر سيرته، وكرم سجيته، وشريف شيمته.

(فاستجيبوا للداعي): لما يدعوكم إليه.

(واتبعوا الراعي): فإنه يدلكم على الخير.

ثم قال:

(قد خاضوا بحارالفتن): حكاية عن حال قوم آخرين خاضوا بحارها بما ارتكبوه من الشبهة.

(وأخذوا): فيما هم عليه من الحال.

(بالبدع دون السنن): بالأمورالمبتدعة والأهواء الضالة، وتركوا السنن وراء ظهورهم.

(938/3)

(وأرز(1) المؤمنون): أرز فلان بتقديم الراء على الزاي إذا تضامَّ(2) وتقبَّض أَرْزاً وأُرُوزاً، وأراد أنهم تجمَّعوا وانقبضوا لضعف حالهم وعلو غيرهم عليهم، وفي الحديث: ((إن الإسلام ليأرِزُ إلى المدينة ، كما تأرِزُ الحية إلى جحرها(3))) أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، قال أبو الأسود الدؤلي(4): فلان إن(5) سئل أرز، وإذا دعي اهتز- يعني إلى الطعام- يذمه بذلك.

(ونطق الضالون): عن الطريق الواضحة.

(المكذبون): بالله ورسوله، واليوم الآخر.

(نحن الشِّعار): البطانة الخاصة وهي: ما يلي الجسم من الثياب.

(والأصحاب): أهل المودة والإخاء.

(والخزنة): للعلم الذي أودعه الله في قلب رسوله.

---

(1) في (ب): أرز بغير الواو.

(2) في (أ): تضامر.

(3) ذكره في مجموع الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي عليهما السلام في مسائل عبد الله بن الحسن 630/2، وقال الإمام المرتضى في شرحه: فالأرز هو الثبوت في الموضع والوقوف فيه. انتهى، وورد الحديث في النهاية لابن الأثير 37/1، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 165/9، وموسوعة أطراف الحديث 47/3 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 422/2، وجمع الجوامع للسيوطي(5407).

(4) أبو الأسود الدؤلي هو: ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الكناني، المتوفى سنة 69هـ، فقيه،

فارس، شاعر، من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام، وشهد معه صفين، وهو واضع علم النحو، رسم له أمير المؤمنين شيئاً من أصول النحو، فكتب فيه، وأخذ عنه جماعة، ومات بالبصرة، وله ديوان شعر (معجم رجال الاعتبار ص 217 ت396).

(5) في (ب): إذا.

(939/3)

(والأبواب): لتلك الخزائن، إشارة إلى ما قاله الرسول: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها))(1).

---

(1) حديث: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) من الأحاديث المشهورة ورواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتاب معرفة الله عزوجل من مجموع رسائله ص 53، وله شاهد أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 558/2 برقم (1071) بلفظ: ((أنا المدينة وعلي بابها، ولن تدخل عليَّ مدينتي إلا من بابها))، وهو بلفظ: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب)) أخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص 71-73 تحت الأرقام (120)، (121)، (123)، (124)، (125) من طرق عن جابر بن عبد الله، وابن عباس، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأخرج الحديث ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق 466/2-467 تحت الرقم (993) وقوله: ((فمن أراد المدينة))، في ابن عساكر: ((فمن أراد مدينة العلم...))إلخ، وله فيه شواهد كثيرة انظرها من الرقم (971) إلى الرقم (1007)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير 65/11، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 526/2 وعزاه إلى اثنين وعشرين مصدراً منها: مستدرك الحاكم 126/3، والحاوي للفتاوى للسيوطي 117/2، وإتحاف السادة المتقين 244/6،ومجمع الزوائد للهيثمي 114/9، وتفسير القرطبي 336/9، والمغني عن حمل الأسفار للعراقي 188/2، والبداية والنهاية لابن كثير 359/7 وغيرها.

وانظر الروضة الندية في شرح التحفة العلوية للحافظ محمد بن إسماعيل الأمير ص140.137.

(940/3)

(لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها): إما لا تؤخذ العلوم إلا من أهلها، وإما لا تؤتى المدائن التي للعلم إلا من أبوابها.

(فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً): لتسلقه لها(1) من غير بابها.

(فيهم): أراد أهل بيت النبوة.

(كرائم القرآن): إما فيهم نزلت آيات كريمة، وإما فيهم توجد معاني القرآن كريمة(2) لا يطلع عليها أحد غيرهم.

(وهم كنوز الرحمن): معادن الجوهر، تؤخذ منهم كل نفيسة في الدين وعلومه، فلهذا أضافهم إلى الله تشريفاً لهم، وكرامة لما لهم فيه من الاختصاص بهداية خلقه، وإظهارأحكامه، كما يقال: بيت الله، وحرم الله.

(إن نطقوا): بالعلم، وأحكام الشريعة.

(صدقوا): فيما يحكمون، ويعلِّمون الناس من ذلك.

(وإن صمتوا): سكتوا عن الكلام حلماً وتوقراً.

(لم يسبقوا): فيما سكتوا عن حكمة لفقد علم غيرهم به، فلهذا يسكت عن الكلام في ذلك.

(فليصدق رائد أهله): الرائد هو: الذي يبعثه القوم ليطلب لهم الماء والكلأ، وأراد ها هنا أن الإ نسان إذا سمع الموعظة من أهلها فليتعظ بها، ولا يَخُنْ نفسه ولا يكذبها.

(وليحضر عقله): ليفهم ما يلقى إليه منها.

(وليكن من أبناء الآخرة): ممن عمل للآخرة، وجعله ابناً إنما هو تجوِّز واستعارة.

(فإنه منها قدم): أي من أجلها خلق، فإن الله تعالى ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته(3)، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}[الذاريات:56] ليستحقوا بذلك الخلود في الجنة.

(وإليها ينقلب): لأجل الجزاء على الأعمال، كما قال تعالى: {إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ}[يونس:23].

---

(1) لها، سقط من (ب).

(2) في (ب): وإما فيهم تؤخذ معاني في القرآن كريمة.

(3) في (أ): العبادة.

(941/3)

(فالناظر(1) بالقلب): في أمر دينه.

(العامل بالبصر): أي بالبصيرة النافذة.

(يكون مبتدأ عمله): أوائله.

(أن يعلم): يتحقق ويستيقن.

(أعمله عليه): باستعماله في غير وجهه.

(أم له): استعمله في وجهه، وعلى(2) رضوان الله كان صدوره، فهذا أول ما جعله(3) العاقل في عمله.

(فإن كان له): أي فإن كانت له ثمرة تعود عليه في الآخرة.

(مضى فيه): استمر عليه وأكمله.

(وإن كان عليه): لم يقصد به وجه الله تعالى.

(وقف عنه): أحجم عن فعله إذ لافائدة فيه.

(فإن العامل(4) بغيرعلم): يهتدي به، ويكون مستضيئاً بنوره.

(كالسائر على غير طريق): فهو يخبط في سيره خبطاً لا غاية له، ولا منتهى لآخره.

(فلا يزيده بُعْده عن الطريق الواضح(5)): مجانبته لها، وانحرافه عنها.

(إلا بُعداً عن حاجته): لأنه إنما يصل إلى حاجته بسلوكه لطريقها، ومع المخالفة لا يقرب عنها، ولا يدنومن حصولها بحال.

(والعامل بالعلم): على البصيرة النافذة.

(كالسائر على الطريق الواضحة(6)): المؤدية إلى الغرض المقصود؛ لأنه قد بنى عمله على الأساس، وأحكمه غاية الإحكام.

(فلينظر الناظر): يتحقق حاله ويستيقن أمره.

(أسائر هو أم راجع): أراد أن كل من توجه إلى سفر من الأسفارفإنه يستعد للصدور، ويتأهب له أكثر من استعداده للرجوع، والمقصود من هذا هو أن الإنسان سائر إلى الآخرة، وليس راجعاً إلى الدنيا، فلا جرم فلتكن أهبته كثيرة إليها، ولا يخادع نفسه في ذلك.

---

(1) في (أ): والناظر.

(2) في (ب): على، بغير الواو.

(3) في (ب): فعله العامل، وفي نسخة أخرى: يفعله العامل.

(4) في (أ): وإن عامل.

(5) قوله: الواضح، زيادة في النهج.

(6) في النهج وفي نسخة أخرى: الواضح.

(واعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله): أراد أن الباطن يكون مناسباً للظاهر ودالاً(1) عليه مماثلاً له وملائماً لحاله(2).

(فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه): أراد بذلك هو أن الله تعالى إذا أحسن ظاهرالإنسان بإكمال خلقه في حسن القَدِّ(3) والرشاقة التامة، والنضارة المعجبة، فهذا دليل على حسن عناية الله تعالى به، وحبه له، ومن صدق العناية وكمال المحبة، أن يجعل باطنه موافقاً لظاهره، بإفاضة الألطاف(4) الخفية عليه والتوفيقات المصلحية للعمل الذي يحبه ويرضاه، والاجتناب عمَّا يسخطه من الأعمال، وعكس هذا أن الله تعالى إذا قبَّح صورةِ الإنسان بأن جعل فيه الشناعة(5)، وسؤ المنظر ففيه دلالة على عدم عناية الله به، وبغضه له، واللائق بعدم العناية والبغض والكراهة له، أن يحرمه لطفه ويمنعه الألطاف من أعمال الخير، ويكله إلى نفسه بالخذلان له فيفعل الأفعال الخبيثة السيئة فيكون ذلك موافقاً(6) لخبث ظاهره، ويؤيد ماذكرناه من هذا التأويل أمران:

أحدهما: استشهاده بكلام الرسول عليه السلام في قوله:

(حكاية عن الرسول(7)).

(((إن الله يحب العبد، ويُبْغِضُ عمله))): فمحبة العبد لأجل كمال خلقه وحسن صورته.

---

(1) في (أ): ودالة.

(2) في (أ): بحاله.

(3) القَدُّ: القامة.

(4) في (ب): ألطافه.

(5) في (ب): البشاعة.

(6) في (أ): موفقاً، وفي (ب): موافقاً، وما أثبته من (ب).

(7) هكذا في الأصل، وفي شرح النهج: وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم. فذكر الحديث.

(943/3)

(((ويحب عمل العبد، ويُبْغِضُ بدنه))): ومحبته للعمل لكونه مرضياًله، وبغضه للبدن من أجل شناعته وسوء منظره، وبغضه للعمل من أجل مخالفته لأمره ومباينته لرضاه، فمحبة البدن وبغضه لا يعقلان في حق الله تعالى إلا بمعنى الكمال والنقص مجازاً، كما أشرنا إليه؛ لأن خلافه محال، ويحتمل أن [تكون] (1) محبته للبدن بمعنى أنه حبَّبه إلى الغير، وبغضه للبدن بمعنى أنه بغَّضه

إلى الغير مجازاً، ووجه الشاهد من كلام الرسول هو أنه تارة يحب العبد بحسن خلقه، ويكره عمله لقبحه، وتارة يكره بدنه لقبحه، ويحب فعله لحسنه، فإذا كان المحبة والكراهة منقسمة على هذا الاعتبار جاز أن يحبه ويحب فعله، وهذا هوالذي طاب ظاهره وباطنه، وجاز أن يكرهه ويكره عمله، وهذا هو الذي خبث ظاهره وباطنه، فالظاهر هو البدن، والباطن هو العمل.

وثانيهما: قوله بعد هذا:

(إن(2) لكل عمل نباتاً): أراد ثمرة، وفائدة، ومنفعة.

(وكل نبات لا غنى له(3) عن الماء): لأنه لا يبدو(4) رونقه ولا يظهر حسنه إلا به.

(والمياه مختلفة): فمنها المالح الزُّعاق، وهو الذي لا ينبت، ومنها العذب الفرات وهو المنبت.

(فما طاب(5) سقيه): الماء الذي يسقى به، ولم يكن مالحاً زُعَاقاً.

(طاب غرسه): الذي يسقى(6) به، وكمل وبدت نضارته، وظهر حسنه.

(وحَلَت ثمرته): وكانت حلوة عذبة حسنة المطعم.

(وما خبث سقيه): ماؤه الذي يسقى به بأن كان مالحاً زُعَاقاً.

(خبث غرسه): الذي يشرب منه؛ لأنه يأخذ من أجزائه ويكتسب منه.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في شرح النهج: واعلم أن لكل ...إلخ.

(3) في (ب): به.

(4) في (أ): يبدو، بدون: لا.

(5) في (أ): طابت، وفي (ب)، والنهج كما أثبته.

(6) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: يستقى.

(944/3)

(وأمرَّت ثمرته): صارت مرَّة لا يمكن مذاقها؛ لما فيها من المرارة، ووجه الشاهد من هذا هو أنه جعل الماء والغرس والثمرة مثالاً للإنسان وعمله الصالح والطالح، ووجه المطابقة فيه لما قال(1) في الباطن والظاهر واضح جلي، فجعل الغرس وطيبه [والسقي عبارة عن حسن خلقة الإنسان، وجعل حلاوة الثمرة عبارة عن صلاح فعله، وجعل خبث الغرس](2) والسقي عبارة عن قبح الصورة، وجعل مرارة الثمرة عبارة عن فساد فعله ورداءته(3)، فنزَّلناه على هذا التنزيل ليكون مطابقاً لماذكره أولاً، وليحصل التطابق بين كلامه وكلام الرسول ، كما ذكرناه، فهذا هو التأويل الذي تشهد له الأصول ويتطابق علىصحته المنقول والمعقول، وأين(4) هذا عن هذيان الملاحدة من الباطنية حيث جعلوا

كلامه هذا سُلماً يعرجون به إلى إبطال نصوص القرآن، وظواهر الشريعة ونصوصها، على تهويسات لفّقوها، وزخارف كذبوها، لم تقم عليها دلالة ولا برهان، ولا أُيِّدت بحجة ظاهره ولا سلطان، فحملوا العصا على الحجة(5)، والثعبان على البرهان، في قوله تعالى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ}[الأعراف:107]، إلى كفريات مسترقة من الملاحدة الثنوية فتباً لتلك الأهواء! وبعداً وسحقاً لهذه الآراء! {أَنَّى يُؤْفَكُونَ}، {فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}[الإنشقاق:20]، {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}[المؤمنون:71]، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: قاله.

(2) ما بين المعقوفين سقط من (أ) و(ب)، وما أثبته من نسخة أخرى.

(3) في (ب): وإرادته.

(4) في نسخة أخرى: فأين.

(5) كتب فوقها في (ب): الحية.

(945/3)

بِأَفْوَاهِهِمْ}[الصف:8]، ويأبى الله إلا إتمام نوره على رغم أنافهم.

و(1)لقد أطنبنا عليهم في الرد لهذه المقالة، وأظهرنا فضائحهم(2)، {وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ}[القصص:69].

(146) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها بديع خلقة الخفاش

وهو حيوان يطير بالليل، وسمي خفاشاً: إما لصغر عينيه، وإما لأنه لا يظهر إلا بالليل، وإنما خصَّها بالذكر(3) لما فيها من عجائب الخلقة، وبدائع الصنعة.

(الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف): انحسر الثوب عن الجسم إذا انكشف عنه، وأراد أن الأوصاف منكشفة ومتعطلة.

(عن كُنْه معرفته): الْكُنْهُ هو: الغاية، أي منقطعة عن الوصول إليها وإحراز ماهيتها.

(وردعت عظمته العقول): الردع هو: الكف، والعظمة هي: التعاظم والكبرياء، وأراد أنه كف العقول والبصائر عن الإحاطة به.

(فلم تجد مساغاً): مجرى يسهل الدخول فيه، والجري إليه والسعي.

(إلى بلوغ غاية ملكوته): ملكه أي بلوغ تلك الغاية متعذرفي العقول لا سبيل لأحد إليه.

(هو الله): الضمير راجع ها هنا إلى ما تقدم، أي الموصوف بالصفات الجليلة(4) هو الله.

(الحق): الذي لا حق سواه وما عداه فهو باطل.

---

(1) في (ب): ولهذا.
(2) اعلم أن للمؤلف عليه السلام كتابين في الرد على الباطنية أحدهما يسمى (الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام في الرد عليهم في الأسرار الإلهية والمباحث الكلامية)، والثاني يسمى (مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار) (انظر عن الكتابين أعلام المؤلفين الزيدية ص 1125، 1130)، والجزء الأول من كتاب الانتصار للمؤلف (مقدمة المْحققين ص 108،109).
(3) في (أ): خصاها بذكر، وفي (ب): خصها بالذكر كما أثبته.
(4) في (أ): الحكمية.

(946/3)

(المبين): إما الظاهر بالأدلة، وإما ذو البيان.
(أحق وأبين): أي هو أظهر وأكشف.
(مما ترى العيون): تدركه الأبصار بأحداقها؛ لأنه ربما جرى في المبصرات لبس واضطراب وتغيّر في الإدراك.
سؤال؛ كيف قال ها هنا: إن العلم بالله أعظم حالاً من المدركات بالأبصار، وبعضهم أثبته وبعضهم نفاه(1)، والمدركات لا سبيل لأحد من العقلاء إلى جحدانها ونفيها؟
وجوابه؛ هو أن المدركات القريبة يقع فيها الا ضطراب في الإدراك لها، ويحصل فيها اللبس الكثير، والمدركات البعيدة يستحيل إدراكها لبعدها، وحاله تعالى في القرب والبعد على سواء، بالإضافة إلى الأدلة العقلية، لا يختلف حال(2) معرفته فلهذا كان أدخل في التحقيق، وأقوى من هذا الوجه.
(لم تبلغه العقول بتحديد): تناله وتصل إليه على جهة أن له حداً وغاية ومنتهى.
(فيكون مشبَّهاً): لسائر(3) المكونات من حيث كان محدوداً مثلها، وقوله: فيكون منصوب لأنه جواب النفي.
(ولم تقع عليه الأوهام بتقدير): الأوهام هي: الظنون، أي ولم تقع عليه وقوع إحاطة على أن له قدراً.
(فيكون ممثَّلاً): بهذه المخلوقات في القدر والصورة، والباء في قوله: بتقدير وتحديد للمصاحبة، أي لم تبلغه ولم تقع عليه مصاحبة لتقدير فيه ولا تحديد لذاته مثلها في قولك: لم أبلغ هذا الأمر بجهد ولا تعب.
(خلق الخلق): أوجده واخترعه وقدَّره.
(على غير تمثيل): من خالق غيره، أو(4)لم يخلق قبلها خلقاً فيكون خلق هذه على مثاله وشكله.

(ولا مشورة مشير): يكتسبها منه ويأخذها من جهته.

(ولا معونة معين): تقوية(5) مقوي.

(فتم خلقه): كمل واستحكم.

---

(1) في (أ): بقاه، وهو تصحيف.

(2) في (ب): حاله.

(3) في (ب): بسائر.

(4) في (ب): إذ.

(5) في (ب): بقوة.

(947/3)

(بأمره): بإرادته وقدرته وكمال علمه.

(فأجاب): حين دعاه للتكوين والوجود.

(ولم يدافع): أمره بالمخالفة له.

(وانقاد): من غير تصعُّب في انقياده.

(ولم ينازع): يمتنع، أخذاً له من منازعة الفرس لصاحبهارأسها، وهو يجذبها بعنانها، وقوله: (لم(1) يدافع، ولم ينازع) من أنواع البديع، يلقب بالتجنيس الناقص؛ لأن الكلمتين لم يتجانسا إلا في بعض حروفهما لاكلها، وهذا كقول أبي تمام(2):

يمدُّون من أيد عواصٍ عواصم

تَصُوْلُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ(3)

وكقول البحتري:

فيا لك من حزمٍ وعزمٍ طواهما

جديد البلى تحت الصَّفا والصَّفائحِ

وهو من نادرالبلاغة وعجيبها.

(ومن لطائف صنعته): دقائق مصنوعاته، ومن هنا(4) للتبعيض، من قولهم: لطف الشيء إذا دق.

(وعجائب خلقته): والأمور المعجبة(5) من مخلوقاته.

(ما أرانا من غوامض حكمته(6)): ما هذه موصولة، وغوامض الحكمة: خفاياها التي لاتنتهي العقول إلى معرفتها.

(في هذه الخفافيش): في هذه متعلقة بأرانا جعلها ظرفاً للرؤية.

---

(1) لم، سقط من (أ).

(2) أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي [188-231هـ] الشاعر والأديب، أحد أمراء البيان، ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) وتوفي بالموصل، في شعره قوة وجزالة، وله تصانيف منها: فحول الشعراء، وديوان الحماسة، ومختار أشعار القبائل وغيرها، وله ديوان شعر مطبوع (انظر الأعلام 165/2).

(3) أورده ابن أبي الحديد في الشرح 281/8.

(4) في (أ): هذا، وفي (ب): هنا كما أثبته، وفي نسخة أخرى: هذه.

(5) في (ب): العجيبة.

(6) في شرح النهج: الحكمة.

(948/3)

(التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء): يكفها ويجمعها عن التصرف والاضطراب هذا النور الباسط، أرادبه إما المنبسط نوره على كل شيء، وإما الباسط لكل شيء في تصرفه وذهابه، وتحركه واضطرابه.

(ويبسطها الظلام): أي وتكون متصرفة فيه، محكمة لأرزاقها من أجله.

(القابض لكل حي(1)): إذ كل شيء يكون مكفوفاً فيه لاسوداده، واستحالة الذهاب فيه، فلا حي إلا وهو ساكن فيه واقف عن الذهاب، كما قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً}[النبأ:10-11].

(وكيف عشيت أعينها): العشا: سوء البصر، يقال: ناقة عشواء إذا كانت لا تبصر.

(عن أن تستمد بالشمس المضيئة نوراً): أراد أن من العجب العظيم فساد أبصارها بما يكون من ملا قاتها للشمس، واستمدادها منها بخلاف سائر الأبصار فإنها لا يمكن إبصارها إلا باستمدادها من هذه الأنوار كلها.

(تهتدي به في مذاهبها): مداخلها ومخارجها، وطلب أرزاقها وإصلاح حالها.

(وتتصل بعلانية برهان الشمس): أي وأعشى أبصارها عن الاتصال بظهور سلطان الشمس.

(إلى معارفها): أوصالها وأطرافها، يقال: امرأة حسنة المعارف يعني الوجه واليدين.

(وردعها): كفَّها.

(بتلألؤ ضيائها): تلألأ البرق إذا لمع، والضياء هو: النور، والضمير للشمس.

(عن المضي في سبحات إشراقها): عن(2) التصرف في أنوارها السابحة عند قوة نورها وغلبته.

(وأكنَّها في مكامنها(3)): غطَّاها في مواضعها الساترة لها.

(عن الذهاب): التصرف والاضطراب.

---

(1) في (أ): شيء.

(2) قوله: عن، سقط من (أ).

(3) في (ب): أماكنها.

(949/3)

(في بلج ائتلاقها): البلجة: الإشراق، وفي الحديث: ((كان رسول الله أبلج الوجه))(1) أي مشرقه، والائتلاق: اللمعان، يقال: تألق البرق إذا لمع، وأراد أن إشراق الشمس ولمعان ضوئها هو المانع لها عن الذهاب.

(فهي مسدلة جفونها): مرخية، من أسدل ثوبه إذا أرخاه أهداب عيونها.

(بالنهار على أحداقها): لما يبهرها من ضوء الشمس ونورها.

(وجاعلة الليل سراجاً تستدل به): تجعله دلالة لها.

(في التماس أرزاقها): في تحصيل ما قسمه الله لها(2) من الأرزاق.

(فلا يَرُدُّ أبصارها): يكفُّه ويرجعه.

(أسداف ظلمته): السدفة هي: الضوء والظلام، وهو من النقائض، وأراد ها هنا إطباق الظلمة وترادفها.

(ولا تمتنع من المضي فيه): لحوائجها وقضاء مآربها.

(لغسق دُجُنَّتِه): الغسق هو: أول الليل، والدُّجُنَّة: الظلام.

(فإذا ألقت الشمس قناعها): أراد طلوعها بمنزلة من يحسر عن رأسه قناعه.

(وبدت أوضاح نهارها): الوضح: الضوء والبياض، وأراد بدت أزاهيرها.

(ودخل إشراق نورها): أنوارها المشرقة المضيئة.

(على الضِّباب): جمع ضَبٍّ.

(في وِجارها): بالجيم وهو: موضعها لأنها تسكن في المغارات، والمداخل الضيقة، وأراد بذلك(3)

امتداد نورالنهار واستطالته.

(أطبقت الأجفان): أجفان أعينها وأشفارها(4).

---

(1) روي ذلك من حديث عن أم معبد، انظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني صـ 161، والنهاية لابن الأثير 151/1، والمستدرك للحاكم النيسابوري 10/3، ومجمع الزوائد للهيثمي 56/6، والمعجم الكبير للطبراني 49/4.

(2) في (أ): بها، والصواب ما أثبته من (ب).

(3) في (أ): في ذلك.

(4) الأشفار، واحدها الشُّفر، وأشفار العين هي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهُدْب. (مختار الصحاح ص341).

(950/3)

(على مآقيها): جمع موق وهو: طرف العين مما يلي الأنف، واللحاظ: طرفها مما يلي الأذن.

(وتبلغت بما(1) اكتسبته من المعاش): وجعلت لها بلغة ما تكتسبه(2) مما يعيشها ويقيتها.

(في ظلم لياليها): في متعلقة بقوله: اكتسبته؛ لأن الا كتساب إنما يكون في الليل دون النهار.

(فسبحان): يُنزَّه تنزيهاً، وانتصابه على المصدرية.

(من جعل الليل لها نهاراً و معاشاً!): تتصرف فيها بالورود والصدور لاكتساب المعاش.

(والنهار سكناً وقراراً!): تسكن فيه وتقرُّ على عكس ما تكون عليه [سائر](3) الحيوانات غيرها.

(وجعل لها أجنحة من لحمها): بخلاف غيرها من سائر الطير، فإن أجنحتها قصب وريش وعظام مشتبكة.

(تعرج بها عند الحاجة إلى الطيران): ترتفع بها عند طيرانها.

(كأنها شظايا(4) الآذان): قطعها(5)، واحدتها شظية(6).

(غير ذوات ريش): أي لا ريش لها.

(ولا قصب): يتصل به الريش.

(إلا أنك ترى مواضع(7) العروق): المتصلة بها.

(بينة أعلاماً): واضحة، وأعلاماً انتصابه على التمييز بعد الفاعل أي واضحة أعلامها أو يكون حالاً بعد حال، أي واضحة معلَّمة.

(لها جناحان): للطيران.

(لما يرقَّا): ليسا رقيقين.

(فينشقَّا): يتقطعا ويتخرقا، وحذف النون للنصب لأنه جواب النفي.

(ولما يغلظا): أي لا غلظ بهما.

(فيثقلا): عليها عند طيرانها.

(تطير): في الجو.

(وولدها لاصق بها): لا يفارقها أبداً كغيرها من الطير.

(لاجئ إليها): أي لا ملجأ له إلا هي.

(يقع إذا وقعت): يهبط معها إذا هبطت الأرض.

(ويرتفع إذا ارتفعت): عند طيرانها.

---

(1) في (أ): ما.

(2) في (ب): ما تكسبه.

(3) زيادة في نسخة أخرى.

(4) في (ب): شطان.

(5) في (أ): قطعتها.

(6) في (ب): شطنة.

(7) في (أ): موضع.

(951/3)

(لا يفارقها): لعدم استقلاله بحاله.

(حتى تشتد أركانه): تتقوى أوصاله كلها.

(ويحمله للنهوض جناحه): ويكون آلة له عند الطيران به.

(ويعرف مذاهب عيشه): كيف يهتدي لاصلاح معيشته.

(ومصالح نفسه): في النفع ودفع الضرر.

(فسبحان الباري لكل شيء): الموجد للأشياء كلها.

(على غير مثال): يحتذي عليه، ويكون إماماً له فيما خلق وقدَّر وابتدأ وأحكم وصوَّر.

(خلا من غيره!): سبق وتقدم من مخالف له، فانظر إلى عجيب وصفه لهذا الجنس من المخلوقات، ما ألطفه وأدله على إحكام القدرة الباهرة.

(147) ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة الملحمة

(فمن استطاع عند ذلك(1)): يشير إلى كلام قد ذكره فيه اقتصاص للملاحم(2).

(أن يعتقل نفسه على الله فليعتقل(3)): يحبسها في سبيل الله ولأجله، من قولهم: اعتقل لسانه إذا حبس عن الكلام، وأراد أنه يُقْتَلُ صابراً لله تعالى.

(فإن(4) أطعتموني): [فيما آمركم به من أحكام الدين] (5).

(فإني حاملكم إن شاء الله): بمشيئة الله، وإرادته وتقديره.

(على سبيل الجنة): التي من سلكها أوصلته(6) إليها.

(وإن كان ذا مشقة): صعوبة لما يعرض فيها من العوارض.

(شديدة): بالغة في الشدة مبلغاً عظيماً.

(ومرارة(7)): في طعمها.

(مريرة): مبالغة في مرارتها، كما يقال: كريم مكرم.

(وأما فلانة): يعني عائشة.

---

(1) في (ب): ذاك.

(2) في (ب): الملاحم.

(3) في (ب) والنهج: فليفعل.

(4) في (ب): وإن.

(5) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(6) في (ب): أوصله.

(7) في (ب) وشرح النهج: ومذاقه.

(952/3)

(فأدركها رأي النساء): أراد أنه استولى عليها لضعفها، وهو أنه كما قال صلى الله عليه وآله: ((شاوروهنَّ وخالفوهنَّ))(1)، ولما فيهنَّ من ضعف العقل حيث كانت شهادة اثنتين منهنَّ بمنزلة شهادة رجل واحد.

(وضغن): حقد وغيظ.

(غلا في صدرها): تحرك واضطراب.

(كَمِرْجَلِ القَيْنِ): القين: الحداد، وإنما خصَّ مِرْجَلَهُ؛ لأنه يكون أغلى من سائر المراجل؛ لشدة وقيد النار تحته، يشير بذلك إلى ما كان قد وجدت في قلبها عليه في حديث الإفك(2) على استشارة رسول الله إياه فقال: (لم يضيق [الله] (3)عليك النساء) (4) فلم يزل ذلك يحيك في صدرها حتى

ماتت.

(ولو دعيت لتنال من غيري): من البغي عليَّ وقتالي، وتأليب الناس في حربي.

(ما أتت إليَّ): من ذلك الذي فعلته معي.

(لم تفعل): مخافة لله تعالى، وتعظيماً لحرمة الدين.

وروي أنه لما جاء ها الخبر وهي تطوف بالكعبة، فقالوا: قتل عثمان، فقالت: وَمَهْ؟ فقالوا: وبايع الناس أمير المؤمنين، فقالت: والله ليوم من عثمان خير من علي الدهر كله، مع أنها قد أنكرت على عثمان غاية الإنكار، وقالت لهم: اقتلوه(5).

(ولها بعد): الضمير لعائشة، وبعدها هنا ظرف مقطوع عن الإضافة، والتقدير فيه ولها بعد فعلها ما فعلته في حقي.

---

(1) الحديث رواه في تحفة الأحوذي 449/6، وفيض القدير 263/4، وأورده في موسوعة أطراف الحديث 283/5 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 356/5، وتنزيه الشريعة لابن عراق 4/2، والأسرار المرفوعة لعلي القاري (222) و(239) وغيرها.

(2) عن حديث الإفك انظر الكشاف 221/3-227.

(3) زيادة في (ب).

(4) وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 23/14.

(5) راجع المصدر السابق 215/6-216.

(953/3)

(حرمتها الأولى): وهو مكانها من رسول الله، وفضلها وتقدمها في العلم والصحبة.

(والحساب على الله!): فيما فعلته معي، ولله درُّه فما أكثر حلمه، وأكرم خلائقه {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}[المائدة:54].

واعلم: أن هلاكها بخروجها على أمير المؤمنين غير خاف على أحد من العلماء، وأهل الفضل وفسقها بالبغي عليه وقتاله وحربه، لما قد تقرر بالبراهين ثبوت إمامته، والخارج عليه لا شك في بغيه وفسقه، ولكن الله عزَّ سلطانه تداركها بالتوبة والندامة رحمة من الله تعالى ولطفاً بها، ورعاية لحق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وحكي أن رجلاً سأل الباقر(1) عليه السلام عن عائشة؟ فاستغفر لها.

فقال: أتستغفرلها وتتولاها؟

فقال: نعم؛ أما علمت أنها كانت تقول: ياليتني كنت شجرة، ياليتني كنت مدرة، وذلك توبة

وندامة(2).

---

(1) هو الإمام محمد بن علي زين العابدين بن الحسين سيد الشهداء ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب " الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر[57-114هـ]، من عظماء الإسلام وأئمة العلم والحديث والفقه، المشهورين الأعلام، سمي بالباقر لغزاره علمه، كان ناسكاً عابداً ناشراً للعلم، أخباره وفضائله كثيرة، وولد بالمدينة وتوفي بالحميمة، ودفن بالمدينة، وروى الحديث وروي عنه. (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص 394 ت(775)).

(2) المغني90/2/20، وأخرج الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب 347/2 برقم (823) بسنده عن سليم مولى لعائشة قال: خرجت إلى مكة من المدينة فما كانت تمر بحجر ولا شجر ولا جبل إلا وقالت: يا ليتني كنت مثل هذا، وتبكي ندامة على ما صنعت.

(954/3)

وروي عن الحسن البصري(1) أنه قال: قالت عائشة: لأن أكون جلست في منزلي من مسيري ذاك أحبُّ إليَّ من أن يكون لي عشرة أولاد من رسول الله، كلهم مثل ولد الحرث بن هشام وأثكلهم(2).

وروي عنها أنها قالت: لوددت أني عضو رطب(3)، وأني لم أسر في هذا الأمر(4) تعني يوم الجمل.

فهذه الأمور كلها وغيرها مما روي عنها فيها دلالة ظاهرة على توبتها وندامتها؛ وكيف لا وقوله تعالى في آخر آية الإفك: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}[الأنفال:74].

وما روي عن عمار أنه قال: إنها زوجته في الدنيا والآخرة(5)؛ يدل على توبتها لامحالة قطعاً ويقيناً.

---

(1) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد، مولى أم سلمة [21-110هـ] أحد الأعلام، كان إمام أهل البصرة، وهو من عظماء التابعين وكبارهم، اشتهر بعلمه وزهده وتقواه وهو من أشهر المحدثين، وأخباره كثيرة (المصدر السابق ص 114 ت(212)).

(2) المغني 90/2/20، وأخرج الرواية الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله في المناقب 347/2 برقم (824) بسنده عن عبادة قال: قالت عائشة: والله لأن أكون قعدت فلم أكن خرجت مخرجي هذا [كان] أحب إليَّ من عشرة أولاد كلهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلهم مثل ولد الحارث بن هشام، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 24/14.

(3) في (أ): عضور طلب، وهو غامض وغير واضح، وفي (ب) كما أثبته، وفي نسخة أخرى:

غصن رطب.

(4) المغني 90/2/20.

(5) انظر الرواية في المغني 89،91/2/20، والروضة الندية ص67، عن البخاري، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد 200/9 والرواية فيه بدون نسبة لقائلها.

(955/3)

وقول أمير المؤمنين: لها حرمتها الأولى، ولوأصرت على فسقها لم يكن لما قاله وجه، فلا جرم وجب توليها(1) والترضية عنها، والاستغفار لها رضي الله عنها وأرضاها وعفا عنَّا وعنها.

(سبيل أبلج المنهاج): أراد الإسلام والدين، وأراد واضح الطريق لمن سلكه.

(أنور السراج): سراجه منير لمن استضاء به.

(فبالإيمان يستدل على الصالحات): أراد أن من علمنا إيمانه فإنه دلالة لنا على أنه فاعل للأعمال الصالحة، [وآتٍ بها.

(وبالصالحات يستدل على الإيمان): ومن علمناه أتى بالأعمال الصالحة](2)فإنها تكون دلالة لنا على إيمانه لامحالة، فأحدهما دلالة على الآخر متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهذا يؤيد ماذهبنا إليه من أن الإيمان عبارة عن عمل القلب وعمل اللسان، وعمل الجوارح جميعاً، وهو مذهب أكثر السلف.

(وبالإيمان يعمر العلم): لأنه لاعمارة للعلم إلابالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، وكل علم لم تكن هذه حاصلة فيه فهو خراب لافائدة وراءه، ولا طائل تحته.

(وبالعلم يرهب الموت(3)): أراد أن من علم الأمر وتحقق حال الآخرة واشتمالها على تلك الأهوال، وتضمنها للفجائع العظيمة؛ فإنه يرهب الموت لأنه هو أولها وبه يتحقق الأمر فيها.

(وبالموت تختم الدنيا): من حيث كان آخرها، وغاية أمرها ومنتهاها.

(وبالدنيا تحرزالآخرة): بالأعمال الصالحة التي يقع بها الفوز في الآخرة وإحراز ثوابها.

(وإن الخلق لا مَقْصَرَ لهم عن القيامة): الْمَقْصَرُ مَفْعَلُ من القصور، وهو: التأخر، وأراد أنهم لا يقصرون دون البلوغ إلى الآخرة، والحصول فيها.

---

(1) في (أ): تواليها.

(2) ما بين المعقوفين سقط من (أ) وأثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(3) في (أ): بالموت.

(مرقلين): حال من الخلق، والإرقال هو: فوق السير ودون الجري.

(في مضمارها): المضمار: موضع ارتباط الخيل للسباق.

(إلى غاية القصوى): إلى منتهى الرجعة القصوى، أي أنها منتهى الغايات وقصاراها، وإضافة الغاية إلى القصوى مثل إضافة مسجد الجامع فلا بد من تأوليها، كما أشرنا إليه.

(قد شخصوا): ظهروا.

(من مستقر الأجداث): من أماكن القبور ومواضعها.

(وصاروا إلى مصائر الغايات): إلى موضع غاية كل شيء، وهو الآخرة والقيامة.

(لكل دار أهل): فأهل الجنة هم أهل الطاعة، وأهل النار هم أهل المعصية.

(لا يستبدلون بها): أما أهل الجنة فلا يستبدلون لما هم فيه من النعم، وأما أهل النار فلا يستبدلون لخلودهم فيها.

(ولا ينقلون عنها): إلى غيرها فهم خالدون فيهما خلوداً لا انقطاع له.

(وإن الأمر بالمعروف): وهو كل ما كان مأموراً به عقلاً أوشرعاً.

(والنهي عن المنكر): وهوكل ما كان منهياً من جهة العقل أو الشرع.

(يخلقان(1) من خلق الله): إما بأن يقرر الله في العقول قبح هذا أوحسن ذاك، وإما بأن يرد الشرع بآي محكمات بمثل ذلك، وما هذا حاله فهو من خلق الله.

(وإنهما لا يقربان من أجل): فيكون ذلك داعياً إلى التأخر عن إنفاذهما والقيام بهما.

(ولا ينقصان من رزق): فيكون ذلك داعياً إلى تركهما، والمصانعة فيه.

(وعليكم بكتاب الله): إغراء لهم بملازمة القرآن والتعلق به.

(فإنه الحبل المتين): الشديد فلا ينقطع.

(والنور المبين): الضياء المنكشف.

(والشفاء): من جميع الأدواء.

(النافع): من الأسقام.

(والري): من عطش الأكباد، وظمائها.

(الناقع): القاطع للعطش، يقال: شرب حتى نقع أي شفى غليله.

---

(1) كذا في (أ) و(ب)، وفي نسخة أخرى وفي النهج: لَخُلُقَانِ من خلق الله.

(والعصمة): المانعة من الزلل.

(للمتمسك): بها.

(والنجاة): من(1) جميع الأسواء.

(للمتعلق): بها.

(لا يعوج): لا يعتريه(2) الميل ويلحقه.

(فيقام): فيحتاج إلى مقوِّم يقيمه من عوجه.

(ولا يزيغ): عن طريق الحق.

(فيستعتب): يرجع عما يخالف الحق، من قولهم: أعتب فلان إذا رجع عن أمركان فيه إلى غيره.

(ولا يخْلقه): يدرسه.

(كثرة الرد): الترداد على الألسنة بخلاف سائر الكلامات، فإنه إذا كثر تكراره استركَّ وملَّ واسترذل.

(وولوج السمع): ودخوله في الأسماع لايخلقه(3) أيضاً.

(من قال به صدق): أراد أن كل قول كان(4) موافقاً له فهو صدق.

(ومن عمل به سبق): أراد ومن عمل على حكمه سبق إلى الجنة، أوكان سابقاً إلى الأعمال الصالحة المرضية المتقبلة(5)، والأفعال المبرورة.

وقام إليه رجل فقال له: أخبرنا عن الفتنة، هل سألت عنها رسول الله؟

(فقال عليه السلام: لما(6) أنزل الله قوله: {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُون}[العنكبوت:1-2] علمت أن الفتنة لا تنزل فينا ومعنا رسول الله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها)؟

فقال: (((يا علي، إن أمتي سيفتنون بعدي))).

(فقال(7): يا رسول الله، (أليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من المسلمين من استشهد): قتل منهم من قتل في سبيل الله مثل حمزة، وغيره من الشهداء.

---

(1) في (ب): عن.

(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: يعتريه، بدون: لا.

(3) في (أ): لا يلحقه، وفي (ب) وفي نسخة أخرى: لا يخلقه، وهو الصواب كما أثبته منهما.

(4) قوله: كان، سقط من (أ).

(5) في (أ): المنقلبة وهو تحريف، وفي (ب) كما أثبته.

(6) في (ب): إنه لما.

(7) في النهج: قلت.

(وحيزت عني(1) الشهادة): أخِّرت إلى حيث أراد الله وعلم من حالها.

(فشق ذلك عليَّ): تأخرها عني، وصرفها في ذلك اليوم.

(فقلت لي: ((أبشر فإن الشهادة من ورائك)) فقال لي رسول الله:

((إن ذلك لكذلك فكيف صبرك إذاً!)) فقلت: يا رسول الله: ليس هذا من مواطن الصبر): لأن الصبر إنما يكون على المكاره، والأمور المنفِّرة.

(ولكن هذا من مواطن البشرى): بالجنة.

(والشكر): على حصول الشهادة.

قال: ((ياعلي، إن القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع)).

(قلت: يارسول الله، فبأي المنازل أنزلهم؟): أي حكم أسير بهم، وأعاملهم به إذا كانوا على هذه الصفة.

(أبمنزلة ردة): كفر ورجوع عن الإسلام والدين.

(أو بمنزلة فتنة): افتتان بما ذكر والإسلام مسترسل عليهم.

(فقال لي ((بمنزلة فتنة)))(2): وفي هذا وجهان:

أحدهما: أنَّ ارتكابهم لهذه المعاصي يكون فسقاً، وإن لم يكن كفراً.

---

(1) في (ب): عنا.

(2) حديث إخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه سيجاهد المفتونين، رواه الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في مسائل القاسم رقم (261) في المجلد الثاني من مجموعه ص640-643. وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 206/9 في ذكر هذا الخبر الوارد في الخطبة ما لفظه: وهذا الخبر مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد رواه كثير من المحدثين، عن عليعليه السلام ثم ذكر الخبر انظره فيه، وفي مجموع الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام.

وثانيهما: أن يريد أنَّها معصية يجب إنكارها على صاحبها، وإن لم تكن فسقاً ويعزّر على فعلها ، كما يقال(1) في حال من جامع امرأة أو قبَّلها، فأما الكفر فقد قال: إنَّها لا تكون كفراً ولا رِدَّة، وكم من المعاصي ما لا يعلم حاله في كونه كبيرة كفراً أو فسقاً، فيجب التوقف في ذلك حتى يظهر دليل.

(148) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أحوال الآخرة

(الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره): فيه وجهان:

أما أولاً: فأن يريد [أن](2) الإنسان إذا أراد ذكر الله تعالى بالصفات الشريفة، وتقديسه بالأسماء الحسنة، فلا بد من تقديم ذكر الحمد، كما يفعل في الخطب والمواعظ.

وأما ثانياً: فأن يريد أن الإنسان لا يمكنه أن يقول لله(3) إلا بعد أن يقول الحمد.

(وسبباً للمزيد من فضله): إما بالزيادة(4) من النعم، كما قال الله تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}[إبراهيم:7]، وإما بالزيادة(5) في الآخرة لأجل استحقاقه بالشكروالحمد.

(ودليلاً علىآلائه): لأن إيجاب الحمد إنما يكون في مقابلة النعم في أكثر أحواله وأغلبها، فلهذا كان دليلاً على الآلاء.

(وعظمته): لأن الحمد هو الثناء الحسن، وهو إنما يستحقه إما لمكان اختصاصه بالصفات الإلهية، وإما لمكان نعمته الظاهرة والباطنة، وكل هذا دلالة على عظمته وجلاله.

(عباد الله، إن الدهر يجري بالباقين): يذهب بهم إلى الموت والقبر.

(كجريه بالماضين): كما ذهب بالماضين من القرون إلى ذلك.

(لا يعود ما قد ولَّى منه): من أيامه الماضية أبداً.

______

(1) في (ب): نقول.

(2) سقط من (أ).

(3) في (أ): الله.

(4) في (ب): الزيادة.

(5) في (أ): لزيادة.

(لا يبقى(1) سرمداً ما فيه): هذا فيه تقديم وتأخير، ومعناه لا يبقى ما فيه من أموال ونفائس، وخير وشر، وغم وسرور، وفرح وترح، سرمداً أي ينقضي يوماً فيوماً، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، وحقباً بعد حقب إلى الغاية التي قدرها الله وقضاها.

(آخر أفعاله كأوله): في النقص والزوال، والعدم والانقطاع.
(متشابهة أموره): يرفع ناساً ويضع آخرين، ويعطي أقواماً ويمنع أقواماً، فهذا تشبيه(2) في المنع والحرمان، وهذا يشبه ذاك في الزيادة والنقصان، فأموره وحوادثه متماثلة من هذا الوجه.
(متظاهرة أعلامه): إما حدوده وغاياته، ومقاديره ظاهرة لا لبس فيها على أحد، وإما أرادأعلامه وحوادثه في الناس ظاهرة لا يمكن كتمانها.
(فكأنكم بالساعة تحدوكم): تحثكم وتزجركم إلى القيامة، والحدو(3) هو: حث(4) الإبل على السير.
(حدو الزاجر لشوله(5)): مثلما يحدو الزاجر، وهو الذي يحث الإبل على السير ويزجرها، والشول هي: النوق التي قد خف لبنها، وارتفعت ضروعها وأتى عليها من(6) مدة النتاج تسعة(7) أشهر أو ثمانية أشهر، فهي خفيفة عند السير سريعة فيه من أجل ذلك، وهو: جمع شائلة على غير قياس. فأما الشائل بعدها(8) فهي التي تشول ذنبها عند لقاحها، وجمعه شوَّل مثل راكع وركَّع.
(فمن شغل نفسه): جعلها مشغولة مستغرقة.

---

(1) في (ب) وفي شرح النهج: ولا يبقى.
(2) في نسخة أخرى: فهذا يشبه هذا في المنع والحرمان، والعبارة في (ب): فهذا يشبه هذا في الزيادة والنقصان...إلخ.
(3) في النسختين: والحدي، ولعل الأصح كما أثبته.
(4) في (أ): حب، وهو تصحيف.
(5) في شرح النهج: بشوله.
(6) قوله: من، سقط من (أ).
(7) في شرح النهج: سبعة أشهر ...إلخ.
(8) في نسخة أخرى: لغيرها.

(961/3)

(بغير نفسه): بغير ما يعنيه أمره.
(تحير في الظلمات): لا يدري أين سلك(1) ولا كيف توجه.
(وارتبك في الهلكات): الارتباك هو: الاضطراب في الأمر والتحير فيه، والهلكات: جمع هلكة وهي الأمور المتلفة.
(ومدَّت به شياطينه في طغيانه): إما من الإمداد، وهو: الزيادة من مدَّ الدواة وأمدَّها إذا أصلحها وهيَّأها للكتابة، وأراد على هذا أن الشياطين وأضافهم إليه لمزيد الاختصاص بهم في انقياده لهم(2)

واحتكامه لآرائهم، هم الذين زادوه تمادياً في الضلالة وإسراعاً إليها، وإما أن يكون من المدد وهو الإمهال والتسويف، وعلى هذا يكون معناه أن شياطينه قرَّبوا عليه الحال وطوَّلوا له المسافة، وهوَّنوا الأمر في التمادي في الضلالة والانهماك فيها.

(وزيَّنت له سيء أعماله): بالإغواء والوسوسة.

(فالجنة غاية السابقين): الذين سبقوا بفعل الخيرات، كما قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}[الواقعة:10] أي أنهم(3) لا غاية لهم إلا هي، وأنهامنتهى البغية لهم.

(والنار غاية المفرِّطين): المتساهلين في أمر الدين، المخلِّين بأحكامه، التاركين لها.

(اعلموا(4) عباد الله): الملتزمين للطاعة لله.

(أن التقوى دارحصن عزيز): من سكنها وتلبس بها كان عزيزاً، والحصن استعارة.

(والفجور دار حصن ذليل): من فعله وتلبس به كان ذليلاً عند الخلق، لا وزن له عند الله.

(لا يمنع أهله): عما ينالهم من ريب الدهر وحوادثه.

(ولا يحرز(5) من لجأ إليه): اعتصم به واتكل عليه.

(ألا): هذه للتنبيه.

---

(1) في (أ): يسلك.

(2) في (أ): بهم.

(3) في (ب): أنه.

(4) في (ب): واعلموا.

(5) في (أ): ولا يجر.

(962/3)

(وبالتقوى تقطع حُمَةُ الخطايا): الحُمَةُ بالتخفيف هي: حمة العقرب، والحية وهي: سمها(1)، والحُمّةُ بالتشديد هي: معظم الحر(2) وأشده(3)، وسماعنا في الكتاب بالتخفيف، ولعله مراده.

(وباليقين تدرك الغاية القصوى): من إحراز رضوان الله وهي البغية والمراد، كما قال تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}[التوبة:72].

(عباد الله، الله الله): تحذير، ونصبه بإضمار فعل تقديره خافوا الله.

(في أعز(4) الأنفس): حرف الجر متعلق بفعل محذوف تقديره: واجتهدوا في أعز(5) الأنفس.

(عليكم): أراد أن علو حقها مختص بكم ومتعلق بكم.

(وأحبها إليكم): و(6)أكثرها محبة إليكم وهي نفس كل واحد منكم.

(فإن الله قد أوضح سبيل الحق): بما قرر(7) من الأدلة، وأزاح العلل، ومهَّد ذلك تمهيداً بالغاً.

(وأنار طرقه): جعلها نيرة يستضيء فيها من سلكها.

(فشِقوة لازمة): الشِّقوة بالكسر هي: الحالة من الفعل كالرِّكبة، والشَّقوة بالفتح: المرة الواحدة من الشقاء، وسماعنا بالكسر، وأراد فشقوة لازمة لصاحبها، وإنما جاز(8) الابتداء بها وهي نكرة لأجل وصفها، كما قال تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ}[البقرة:221].

(أو سعادة دائمة): لصاحبها، وأراد أنه لا بد من أحد الأمرين بعد إبانة الطرق وإيضاحها، كما قال تعالى: {فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}[هود:105]، وقوله تعالى(9): {فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}[التغابن:2].

(فتزودوا): فخذوا الزاد.

---

(1) في (ب): وهي الحية وهي سمهما.

(2) في النسختين: الجسد، وهو تحريف.

(3) في (ب): وأشره.

(4) في (ب): إعزاز.

(5) في (ب): إعزاز.

(6) الواو، زيادة في (ب).

(7) في (أ): قدر.

(8) في (ب): أجاز.

(9) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(963/3)

(في أيام الفناء): وهي أيام الدنيا المنقطعة.

(لأيام البقاء): وهي أيام الآخرة لأنها دائمة لا آخر لها.

(قد دللتم على الزاد): بما أوضح لكم من الطاعات واجبها ومسنونها، وأمرتم بالكف عن القبائح كلها.

(وأمرتم بالظعن): الارتحال من الدنيا، وأعلمتم بالانقطاع عنها.

(وحثثتم على المسير): بما أُرِيْتُم من اخترام الأعمار وانقطاعها بالآجال.

(فإنما أنتم كَرَكْبٍ وقوف(1)): جمع راكب مثل صاحب وصحب، وهو قليل في جمع فاعل.

(لا يدرون): (لا يشعرون) (2).

(متى يؤمرون(3) بالسير): ينادى فيهم بالرحيل فيرتحلون.

(ألا): للتنبيه.

(فما يصنع بالدنيا من قد خلق للآخرة): أراد إذا كان مخلوقاً للآخرة لا للدنيا وهو مرتحل عنها وهي لامحالة منقطعة عنه، فأي شيء يصنع بها والحال هذه.

(وما يصنع بالمال من عمَّا قليل يسلبه): وإذا كان المال منقطعاً عنه مسلوباً عن يديه فليت شعري ما صنعه به.!

(وتبقى عليه تبعته): نقاش حسابه فيم أنفقه؟ ومن أين أخذه.؟

(وحسابه!): والمحاسبة عليه.

(عباد الله، إنه ليس لما وعد الله من الخير مَتْرك): الضمير للشأن، وأراد أن من تحقق ما وعد الله أولياءه من النعيم المقيم واللذة الدائمة ومرافقة أنبيائه في الجنة فإنه لا ينبغي لأحد أن يتركه، ويذهب عنه، والمترك(4) هو الترك نفسه.

(ولا فيما نهى عنه من الشر مَرْغَب): أي من علم ما أعدَّه الله لأعدائه من العقاب الدائم والويل، ومرافقة الشياطين والأبالسة في النار، فإنه لا محالة لا يرغب في المنهيات ولا يقربها أبداً.

---

(1) في (أ): وفوق، وهو تصحيف، و في (ب): ركب وقوف، وما أثبته من شرح النهج.

(2) سقط من (ب).

(3) في (ب): تؤمرون بالمسير.

(4) في (أ): والمتروك.

(964/3)

(عباد الله، احذروا يوماً تُفحص فيه الأعمال): فحصت عن الأمر إذا تحققته واستبينته(1)، وأراد أنه يوم تبلى فيه السرائر، وتتحقق فيه الأحوال كلها.

(ويكثر فيه الزلزال): الزَّلزلة وفَعلال بالفتح مصدر زلزل، وهو قليل لا يأتي إلا في المضاعف، ومن قلّته أنه لا يأتي إلا بالفتح إلا وقد أتى فيه الكسر نحو زِلزال وزَلزال وقلِقال وقَلقال.

(وتشيب فيه الأطفال): من هوله وفجيعته، كما قال تعالى: {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[المزمل:17] وإذا أرادوا العبارة عن الأمر الهائل، قالوا: هو أمر تشيب منه الصبيان، كما قالوا: أشاب الصغير فراقه لثدي أمه.

(واعلموا عباد الله): وإنما كرر هذه اللفظة بالنداء والمخاطبة إيقاظاً لهم عن الغفلة، وتعريضاً لهم إلى أن من كان عبداً فمن شأنه وأمره المواظبة على خدمة السيد والحرص على ملازمة رضاه.

(إن عليكم من أنفسكم رَصَداً(2)): رقيباً وحارساً، وأصله المصدر، ولهذا لم يثنَّ ولا(3) يجمع لذلك.

(وعيوناً من جوارحكم): العين هو: الحافظ أيضاً، وعين الأميرهو: الذي يخبره بأخبارالبلدان والأقاليم،

ويكون رقيباً له، يشيربذلك إلى أن هذه الجوراح شاهدة على الإنسان بأفعاله، كما قال تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النور:24].

(وحفَّاظ صدق يحفظون أعمالكم): يشير بذلك إلى الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، كما قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَامًا كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}[الإنفطار:10-12].

---

(1) في (ب): واستثبته.

(2) في (ب): و في شرح النهج: إن عليكم رصداً من أنفسكم.

(3) في (ب): ولم.

(965/3)

(وعدد(1) أنفاسكم): إما مقدار تنفسكم في الدنيا ومدة لبثكم فيها، وإما مقدار جريان النَفَسِ في الحلق ويعدُّونها واحدة واحدة.

(لا يستركم منهم ظلمة ليل داج): أي لا يغطيِّكم منهم ظلام الليل إذا أظلم.

(ولا يُكنُّكم منهم باب ذو رتاج): الكنُّ: ما ستر الإنسان وغطَّاه، وباب مرتج إذا كان مغلقاً أي لا يحول بينكم وبينهم باب ذو غلق.

(وإن غداً من اليوم قريب): يريد إما يوم القيامة، وإما الموت؛ لأن كل واحد منهما يكون في الأزمنة المستقبلة.

(يذهب اليوم بما فيه): من خير وشر، وعمل صالح وفاسد.

(ويجيء الغد لا حقاً به): على أثره، لا فاصل بينهما، بالمجازاة بالأعمال صالحها وطالحها.

(فكأنَّ كل امرئ منكم): جميع الخلائق.

(قد بلغ من الأرض منزل وحدته): وهو القبر؛ لأن كل واحد من الخليقة لا بد من حصوله فيه وحيداً لا أنيس معه.

(ومحط حفرته): وحيث يكون محطوطاً في حفرته.

(فيا): حرف نداء، والمنادى فيه محذوف تقديره: فياقوم.

(له من بيت وحدة(2)): اللام ها هنا متعلقة بفعل محذوف تقديره: اعجبوا له، ومن بيت تمييز كقولك: عجبت له رجلاً(3)، وعجبت له من رجل.

(ومنزل وحشة): يستوحش منه لفظاعته.

(ومفرد غربة!): ومكان يفرد فيه صاحبه غريباً عن أهله.

---

(1) في (أ): مقدار أنفاسكم.
(2) قوله: وحدة سقط من (أ).
(3) في (أ): عجيب له من رجلاً، وهو خطأ، والصواب كما أثبته من (ب).

(966/3)

(وكأن الصيحة قد أتتكم): أراد إما نفخة الصور، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ}[الزمر:68]، وإما أن يريد نداءهم من قبورهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ}[ق:41]، وهي الصيحة، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ}[ق:42].

(والساعة قد غشيتكم): بأهوالها وفجائعها وعظائمها.

(وبَرَزتم لفصل القضاء): ظهرتم لا تخفى فيكم(1) خافية، كما قال تعالى: {وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[إبراهيم:48].

(قد زاحت عنكم الأباطيل): ذهب عنكم الأقاويل الباطلة و الزخارف الموهومة التي لا تنفع، ولا يجدي ها هنا إلا القول الحق، والأباطيل جمع لا واحد له ملفوظ به، وإنما كأنه(2) جمع لإبطيل لأن باطلاً لا يجمع على أباطيل.

(واضمحلت عنكم العلل): الفاسدة والمعاذير الباطلة.

(واستحقت بكم الحقائق): أراد أنها ظهرت حقائق أعمالكم من خير وشر، فصيرتكم مستحقين لجزائها من ثواب أو عقاب، وجعلتكم مستوجبين لذلك من الله.

(وصدرت بكم الأمور مصا درها): وذهبت بكم الأعمال مذاهبها؛ مما يجازى عليها من ثواب أو عقاب، ويكون مستحقاً بها: {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}[فصلت:46].

(فاتعظوا بالعبر): جمع عبرة، وهو: ما ترون من آثار من مضى قبلكم.

(واعتبروا بالغِيَر): بتغيرات الدهر وصروفه وعوارضه على أهله.

---

(1) في (ب): منكم.
(2) في (أ): كان، والصواب ما أثبته من (ب).

(967/3)

(وانتفعوا بالنذر): جمع نذير وهم: الأنبياء والعلماء، كما قال تعالى: {أَنْ أَنذِرُوا}[النحل:2] وقال تعالى: {فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ}[القمر:36].

(149) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها القرآن

(أرسله على حين فترة من الرسل): يعني الرسول عليه السلام وقد ذكرنا حال هذه الفترة التي كانت بين الأنبياء فيما مضى، فلا وجه لتكريره.

(وطول هَجعة من الأمم): الهَجعة: نوم الليل، وأراد أن إرساله كان على طول نوم وغفلة عن الحق وانقطاع عن سبله.

(وانتقاض من المبرم): المبرم: الخيط الذي أحكم فتله، وأراد وبطلان أمرالدين كله وفساد [ما](1)أحكم منه.

(فجاءهم بتصديق الذي بين يديه): من الكتب السماوية كا لتوراة والإنجيل وما كان قبلها من الكتب المنزلة على الأنبياء.

(والنور المقتد ى به): الذي يكون إماماً لمن اتبعه واهتدى بهديه.

(ذلك): [إشارة](2)إلى قوله: الذي بين يديه.

(القرآن): أي هو القرآن الذي بين أظهركم وتتلونه في المحاريب وتقرأونه.

(فاستنطقوه): فاطلبوا منه النطق بالحكمة التي تضمنها.

(ولن ينطق): نفي على جهة الاستغراق، إذ لا آلة له فينطق بها لكونه جماداً.

(ولكن أُخبركم عنه): استدراك لما كان نفاه من النطق عنه، أي ولكن العلماء ينطقون عنه ويخبرون وأنا أخبركم عنه.

(ألا وإن فيه علم ما يأتي): من الأمور المستقبلة، والأحكام الحادثة.

(والحديث عن الماضي): عن الأمم الماضية، والقرون الخالية، وقصص أنبيائهم، وما فعلوه وفعل بهم.

(ودواء دائكم): والدواء الذي يتداوى به من الجهل(3)، وهو ما تضمنه من العلوم والحكم والآداب.

(ونظم ما بينكم): من التفرق في الأهواء والتشتت في المذاهب والآراء.

---

(1) سقط من (أ).

(2) سقط من (أ).

(3) قوله: من الجهل، سقط من (ب).

ثم ذكر حال بني أمية:

(فعند ذلك): يشير إلى استحكام أمرهم وقوة دولتهم.

(لا(1) يبقى بيت مَدَر): في المدن والقرى.

(ولا وَبَر): هذه الخيام التي يستعملها البدو.

(إلا وأدخله الظلمة ترحةً): حزن وغمّ بأخذ الأموال على غير وجهها وسوم الخسف لأهلها.

(وأولجوا فيه نقمة): المصائب العظيمة.

(فيومئذ): التنوين ها هنا عوض من جملة محذوفة، و(2)قد تقدم ما يرشد إليها، وأراد فيومئذ(3) دخول الظلمة واستعظام أمرهم وغير ذلك.

(لا يبقى لكم في السماء عاذر): يقبل منكم العذرإذا اعتذرتم، من قولهم: عذره إذا قَبِلَ عذره.

(ولا في الأرض ناصر): من ينصركم على ما أنتم عليه من الذل والأخذ.

(أصفيتم بالأمر غير أهله): أصفاه بالأمر إذا آثره به، وأراد أعطيتم الخلافة غير أهلها.

(وأوردتموه غير مورده): وضعتموه(4) في غيرموضعه.

(وسينتقم(5) الله ممن ظلم): أي ويجعل الله النقمة على الظلمة.

(مأكلاً بمأكل، ومطعماً بمطعم): أراد [أن](6) النَّصَفَةَ من الله تعالى تكون على جهة المساواة والاقتصاص مثلاً بمثل، فيجازي بمآكل الظلم ومشارب الظلم.

(من مطاعم العلقم): وهو شجرطعمه مرّ.

(ومشارب الصبر والمَقِر): ما مرَّ من الأشربة، ويكون أيضاً لباسهم:

(لباس(7) شعار الخوف): الشِّعار: ما يلي الجسم من الثياب.

(ودثِارالسيف): والدِّثار هو: ما فوقه من الثياب أيضاً.

(وإنما هم مطايا الخطيئات): الحمَّالون لأثقالها.

(وزوامل الآثام): الزاملة: بعير يستظهربه الرجل، يحمل طعامه ومتاعه عليه.

---

(1) في (ب): فلا.

(2) الواو، سقط من (أ).

(3) في نسخة أخرى: فيوم.

(4) في (ب): وضيعتموه.

(5) في (أ): وسينقم.

(6) سقط من (أ).

(7) في (أ): لباسهم.

(فأقسم): أراد بالله؛ لأن القسم لايكون إلا به، وهو أجل من يحلف به، وفي حديث ابن عمر: ((من حلف بغير الله فقد أشرك))(1)، وفي حديث آخر: ((إذا حلفتم فاحلفوا بالله أوفاصمتوا))(2).

(ثم لأقسم): بالله مرة ثانية تأكيداً في اليمين ومبالغة فيها.

(لتَتَخْمَنَّها أمية من بعدي(3)): أراد بذلك خروج الخلافة من أيدي بني أمية وعدم عودها إليهم، والمعنى ليخرجونها ويلفظونها.

(كما تلفظ النخامة): [وأراد بذلك إما سرعة خروجها من أيديهم كخروج النخامة](4)، وإما أن يكون سهولة خروجها من أيديهم أيضاً.

---

(1) رواه الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام، من كتاب الأيمان والكفارات، وأخرجه ابن حبان في صحيحه 200/10، والهيثمي في موارد الظمآن 286/1، والسنن الكبرى للبيهقي 29/10، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 239/8 وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 125/2،87،67، ومشكاة المصابيح للتبريزي (3419)، وفتح الباري 516/10، وكنز العمال رقم (46328) وتفسير ابن كثير 342/4 وغيرها.

(2) له شاهد رواه السيد العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 282/4 عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع عمر وهو يحلف بأبيه فقال: ((إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)) ثم ذكر رواية أخرى للحديث مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، وقال: هذه من روايات البخاري ومسلم، وللباقين نحواً من ذلك._ ... _قلت: ورواه في أصول الأحكام للإمام أحمد بن سليمان بلفظ: ((من حلف فليحلف بالله أو ليصمت)).

(3) في (ب) و في شرح النهج: من بعدي، كما أثبته، وفي (أ): بعدي، بدون حرف الجر: من.

(4) ما بين المعقوفين، سقط من (أ).

(ثم لا تذوقها ولا تتطعم بطعمها): أي لا يتنعمون فيها بمذاق ولا مطعم، كما كانوا من قبل.

(ما كرَّ الجديدان): ما اعتقب الليل والنهار، كما قال ابن دريد:

إنَّ الجديدين إذا ما استوليا

على جديدٍ أَدْنَيَاهُ للبَلى

(ولقد أحسنت جواركم): مجاورتي لكم(1) ببذل النصيحة لكم والقيام فيكم بأمر الله تعالى.
(وأحطت بجهدي من ورائكم): أي كان رعايتي لكم بمنزلة من جعل لكم حائطاً من وراء أظهركم يحوطكم به، لا تؤتون من ورائكم.
(وأعتقتكم من ربَق الذل): واحدتها ربقة، وهي: عرى تجعل لأولاد الضأن.
(وحَلَقِ الضيم): الضيم: الظلم، وأراد إما حلق الظلم وهي المعاملة به، وإما حلق الظلم جمع حلقة مثل نعمة ونعم.
(شكراً مني للبر القليل): أي فعلت ذلك معكم شكراً مني لما يلحقني من بركم القليل.
(وإطراقاً): أطرق إذا سكت وخفض بصره إلى الأرض.
(عمَّا أدركه البصر): رأته عيني.
(وشهده البدن): من سوء المعاملة والنكوص عند الأمر والمخالفة لي.
(من المنكر الكثير): من الأمر الذي ينكره العقل، وتأباه الطبائع(2) العالية، والنفوس الأبية من المعاملة لمثلي به.

(150) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها الدنيا
(أمره قضاء وحكمة): جميع ما أمر به فهو قضاء لا يمكن ردُّه، وحكمة لا خطأ فيها ولافساد يلحقها.
(ورضاه أمان): من سخطه وعقابه.
(ورحمة): لطف في فعل الصالحات من الأعمال.
(يقضي بعلم): بما يعلمه، والباء هذه إما للحال أي يقضي عالماً بكل ما يقضيه، وإما للمصاحبة كقوله: خذ هذا بهذا، وأراد أن علمه مصاحب لقضائه لا ينفك عنه.
(ويغفر(3) بحلم): يجري على حد ما ذكرناه فيما قبله من تفسير الباء ومعناها.

---

(1) في (ب): مجاوراتكم.
(2) في (ب): الطباع.
(3) في النهج: ويعفو.

(اللَّهُمَّ، لك الحمد على ما تأخذ): من الأموال والنفوس بالموت والإهلاك.

(وتعطي): من ذلك كله، أو على ما تأخذ من الأعمال وتقبلها، وعلى ما تعطي من جزائها بالثواب.

(وعلى ما تعافي): تمنُّ بالعافية وإعطائها.

(وتبتلي): بإنزال الآلام والأسقام.

(حمداً): منصوباً على المصدرية، وقد صار عوضاً عن الفعل بحيث لا يجوز ذكره معه كقولك: سقياً ورعياً وغير ذلك من المصادر.

(يكون أرضى الحمد لك): أدخل الثناءات الحسنة في رضاك.

[(وأحب الحمد إليك): أعظم ما يكون من المحبة إليك وأدخلها في ذلك](1).

(وأفضل الحمد عندك): أدخله في الفضل، وأعلاه في الدرجة.

(حمداً يملأ ما خلقت): من السماوات والأرضين.

(ويبلغ ما أردت): من الثناء والإعظام لك.

(حمداً لا يحجب عنك): ثناؤه.

(ولا يقصر دونك): أمده.

(حمداً لا ينقطع عدده): على تكرر الأزمان والأوقات.

(ولا يفنى مدده): أي زيادته، من الإمداد وهو: الزيادة.

(فلسنا نعلم كنه عظمتك): لقصورنا عن ذلك وعجزنا عنه، وهذا منه تصريح بأن عظمة الله تعالى لا تعلم لأحد من البشر.

(إلا أنَّا نعلم(2) أنَّك حي قيوم): هذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلاً على معنى أنه مندرج تحت الكنه، وهذا كقولك: أنا لا أعرف غاية حالك(3) إلا أني أعرف أنك مؤمن، ويحتمل أن يكون منقطعاً على معنى أن الكنه غير معلوم لأحد من الخلق، ويكون المعنى، لكن(4) العلم بأنك حي قيوم حاصل لنا، كقولك: ما له ابن إلا أنه باع داره.

---

(1) ما بين المعقوفين، سقط من (ب).

(2) في (ب) و في شرح النهج: نعلم، كما أثبته، وفي (أ): لنعلم.

(3) في (ب): لا أعرف ما حالك.

(4) قوله: لكن، سقط من (أ).

(لا تأخذك سنَة ولا نوم): السِنَةُ: أوائل النوم وهو الذي يسمى النّعاس، والنوم هو: ذهاب العقل والإدراكات كلها.

وفي حديث موسى عليه السلام أنه سأل الملائكة، وكان السؤال من قومه كطلب الرؤية: أينام ربنا؟ فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً، ولا يتركوه ينام، ثم قال له: ((خذ بيدك قارورتين مملوئتين فأخذهما، وألقى الله عليه النعاس فضرب أحدهما بالأخرى فانكسرتا، ثم أوحى إليه: قل لقومك هؤلاء: إني أمسك السماوات بقدرتي، فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا))(1).

(لم ينته إليك النظر(2)): وهو تحديق الأعين ومقابلتها، إذ لو كان الأمر كذلك لكنت ذا جهة.

(ولم يدركك البصر(3)): إذاً لكنت من جنس هذه المرئيات، ولكنت مقابلاً لها في جهة(4) من جهاتها كسائر المدركات منها.

(أدركت الأبصار): كما قال تعالى: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}[الأنعام:103].

(وأحصيت الأعمال): أحاط بها بالكتب والعلم، كما قال تعالى: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً}[الجن:28].

(وأخذت بالنواصي والأقدام): عقوبةً وانتقاماً(5) لأهل معصيتك وعداوتك، كما قال تعالى: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ}[الرحمن:41].

(وما الذي نرى من خلقك): تدركه أبصارنا من هذه المخلوقات الباهرة، وما هذه استفهامية، وما بعدها يكون خبراً لها، والتقدير: وما الذي نراه فهو حقير مستصغر بالإضافة إلى قدرتك.

---

(1) رواه في الكشاف 1/327-328، ومجمع الزوائد 1/83، ومسند أبي يعلى 12/21، وتأريخ بغداد1/268.

(2) في النهج: نظر.

(3) في النهج: بصر، وكذا في نسخة ذكر في هامش (ب).

(4) قوله: في جهة، سقط من (ب).

(5) في (أ): وانتقام.

(973/3)

(ونعجب له من قدرتك): وتعجب له العقول من كمال قدرتك.

(ونصفه من عظيم سلطانك): وتنطق الألسنة بوصفه من عظم(1) استيلائك.

(وما تغيَّب عنَّا منه): من جميع ذلك كله وستر عنَّا.

(وقَصُرَت أبصارنا عنه): ورجعت متقاصرة عن بلوغ غايته.

(وانتهت عقولنا دونه): وكانت العقول متناهية دون غايته.

(وحالت سواتر الغيوب): وكانت العلوم الغيبية حائلة:

(بيننا وبينه): فلا(2) سبيل إلى علمه، وما في قوله: ما تغيَّب موصولة بمعنى الذي، والتقدير: والذي تغيب عنَّا وتقصر عنه أبصارنا:

(أعظم): من ذلك وأكبر(3)، وإنما ترك ذكر متعلق أعظم للعلم به، كما قال تعالى: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}[طه:7] وكقول القائل: الله أكبر أي أكبر من كل كبير.

(فمن فرَّغ(4) قلبه): عن مزدحم الأشغال.

(وأعمل فكره): آناء الليل، وأطراف النهار.

(ليعلم كيف أقمت عرشك): ليتحقق على أي حال كانت استقامته، وكيف ها هنا معمولة لأقمت، والعلم ها هنا، إما بمعنى المعرفة فيكون له مفعول واحد، أو على ظاهره فيكون لها(5) مفعولان، والجملة الاستفهامية سادة مسدهما أي ليعلم أن(6) استقامة عرشك حاصلة.

(وكيف ذرأت خلقك): فرقتهم في أقطار الأرض وأقاليمها، وبرها وبحرها وسهلها وجبلها.

(وكيف علقت في الهواء سماواتك): من غير قرار يوثقها، ولا عمد يدعمها مع انبساطها العظيم، وامتداد أطرافها.

---

(1) في (ب): عظيم.

(2) في (ب): ولا.

(3) في (أ): وأكثر.

(4) في (أ): فرَّ، وهو تحريف. وفي (ب) كما أثبته.

(5) في (ب): له.

(6) قوله: أن، زيادة في (ب).

(974/3)

(وكيف مددت على مَوْرِ الماء أرضك): قد تقدم من كلامه أن الأرض مدحوة على الماء، وأن استقرار الماء إنما هو على الريح، وهذا من عجيب القدرة أن الماء ينافي الأجزاء الأرضية، وأن بلة الماء تفرق التئام الأرض، ومع ذلك فإنها استمسكت بقدرة الله عليه، فسبحان الجامع بين الأضداد، والمؤلف بين المتباعدات.!

(رجع طرفه حسيراً): كالاًّ عن الإحاطة بذاك.

(وعقله مبهوراً): مغلوباً من بهره إذا غلبه، من قولهم: بهر النهار ضوء القمر، وبهر الشفق

نورالهلال.

(وسمعه والهاً): دهشاً ذاهباً، من الوله وهو: ذهاب العقل.

(وفكره متحيراً): لا يستطيع ذهاباً ولا تصرفاً، في النظر والارتياء.

ثم قال:

(يدعي بزعمه أنه يرجو الله): أراد أن الإنسان يقول من جهة لسانه: إنه يرجو الله تعالى، ويؤمِّل خيره ومعروفه، وينتظر عوارف إحسانه.

(كذب(1) والعظيم!): في مقالته هذه في زعمه هذا، فإن كان ما قاله حقاً ومقالته صدق(2):

(فما باله لايتبيَّن(3) رجاؤه في عمله): أراد أن كل من كان رجاؤه صادقاً محققاً فإنه يعمل عملاً صالحاً يكون واصلاً به إلى مرجوه من عمل الطاعات، وكل من كان خائفاً خوفاً محققاً فإنه يكون عاملاً بما(4) تقتضيه حقيقة الخوف من الانكفاف عن المعصية، وما ترى من يرجو إلا مقصراً في الطاعة، وما ترى من يخاف إلا موافقاً للمعصية، وفي هذا دلالة كافية على عدم التحقق فيهما جميعاً.

---

(1) في (أ): وكذب.

(2) في (ب): ما قاله حقاً محققاً، ومقالته صدقاً.

(3) في (ب): لايبيّن.

(4) في (أ): ما.

(975/3)

(فكل من رجا عرف رجاؤه في عمله، [وكل رجاء] (1) إلا رجاء الله فهو(2) مدخول): أراد أن كل رجاء فإنه يظهر حكمه وتثمر حقيقته من كل راجٍ –ما خلا رجاء الله–؛ فإنه لا حكم له ولا حقيقة لثبوته، فهو مدخول أي مشوب ليس خالصاً، أخذاً من قولهم: دخل في بني فلان أي ليس منهم، أو فيه مكر وخديعة، من قولهم: هذا الأمر فيه دخل أي خديعة ومكر، ومنه قوله تعالى: {وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ}[النحل:94].

(وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول): أي كل خوف فحكمه يظهر إلا خوف الله فإنه لا حكم له ظاهر، وهو معلول أي غير صحيح.

(يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير): أراد أن العبد إنما رجاؤه لله في الجنة والفوز بنعيمها ولذاتها، وذلك أكبر ما يكون وأعظمه، ويرجو العباد في أحقر ما يكون من الدنيا ومتاعها، ثم مع ذلك يختلف حال الإنسان فيخضع لمخلوق في طلب الحقير ويتواضع له، ولا يتواضع لله

تعالى بالطاعة ويخضع لجلاله.

(فيعطي العبد): من التعظيم والإجلال.

(ما لا يعطي الرب!): من ذلك مع أنه(3) كان أحق لذلك وأهلاً له.

(فما بال الله جل جلاله(4)): تعجب من صنع العبد في ذلك.

(يُقَصَّر به عمَّا يُصنَع لعباده!): يعطي دونما يعطي العباد من ذلك، ويكون حقه دون حقهم.

(أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً): فلأجل هذا قصَّرت في حاله لأنك على غير معلوم من رجائك.

(أو تكون لا تراه للرجاء موضعاً!): أو لا يكون أهلاً لإعطاء ما ترجوه، وكلاهما باطل لا حقيقة له فهذه حالة الرجاء.

---

(1) سقط من (ب)، ومن شرح النهج.

(2) في النهج: فإنه.

(3) في (ب): مع كونه كان أحق بذلك.

(4) في شرح النهج: ثناؤه.

(976/3)

(وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده): واحداً من أمثاله ومخلوقاً يشبهه(1).

(أعطاه من خوفه): من القلق والانزعاج وتغير الحال والفشل، وزوال النوم.

(ما لا يعطي ربه): من ذلك.

(فجعل خوفه من العباد نقداً): بمنزلة النقد في المواظبة عليه، والعمل بمقتضاه.

(وخوفه من خالقهم(2) ضماراً): غير موثوق به، والضمار: كل ما لا يوثق به من وعد ودين.

(ووعداً): غير موثوق بصحته(3)، والسبب في صحة ماقاله من الخوف والرجاء، أما الخوف فلأمرين:

أما أولاً: فلأجل كرمه ورحمته الواسعة.

وأما ثانياً: فلأجل [ما](4) يُرَى من حلمه عن العصاة، وتأخير النقمة عنهم، فلهذا كان خوفه من الله تعالى رجاء لما ذكرناه، فأما العباد فإنما دأبهم تشفي الغيظ، وعدم الرحمة والرأفة ومعاجلة الا نتقام، وأما الرجاء فلأن الخلق إنما كانت عطيتهم مع حقارتها ليس مراعاة لمصلحة، وإنما هي لطلب(5) النفع [فيفعل في مقابلة](6) تلك العطية ما يكون سبباً في مثلها وحصولها.

(وكذلك): أي ويشبه ما ذكرناه من إيثار (7) حق غير الله على حق الله.

(من عظمت الدنيا في عينه): استعظمها وأكبرها في نفسه.
(وكَبُر موقعها من(8) قلبه): حتى خالطته، والتبسته وعظمت عليه.

---

(1) في (ب): شبهه.
(2) في (أ): حالهم، وما أثبته من (ب)، وفي النهج: خالقه، والعبارة في (ب): وخوفهم من خالقهم ضماراً.
(3) في (ب): بمجيئه.
(4) سقط من (أ).
(5) في (ب): بطلب.
(6) لفظ ما بين القوسين في (أ): فيعقل في مقالته، وما أثبته من (ب) لوضوحه.
(7) في (ب): إيثاره.
(8) في (أ): في.

(977/3)

(آثرها على الله تعالى): استأثر بالشيء إذا اختص به، وآثر هذا على غيره إذا رآه أحق من غيره، قال الله تعالى: {وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}[النازعات:38].
(فانقطع إليها): بالمحبة وتهالك في طلبها فلا غرض له سواها.
(وصار عبداً لها): مشغولاً بخدمتها، بمنزلة عبد مشغول بخدمة سيده.
(ولقد كان في رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] (1)كاف لك): الكافي يحتمل أن يكون صفة على ظاهره أي أمر كافي لك، ويحتمل أن يكون مصدراً بمعنى الكفاية، قال:
كَفَى بِالنّأْيِ من أَسْمَاءَ كَافِي

(في الأسوة): أي القدوة، وأراد أن أمر رسول الله في الدنيا ونبذها واطّراحها هو الغاية في الا قتداء، والتأسي بأمره فيها.
(ودليل لك(2) على ذم الدنيا وعيبها): فإنه عابها وذمَّها بفعله وقلبه ولسانه لما فيها من بلاويها.
(وكثرة مخازيها): جمع مخزاة وهي الذل والهوان، قال جرير:
وإن حمًى لم نحمه غير فُرْتِنا

وغَيْر ابن ذي الكِيْرَيْن خزيان ضائعُ(3)

[والْفُرَّةُ: الشدة](4).

(ومساويها): جمع مسواة، وهي السوء

(إذ قُبِضَتْ عنه أطرافها): إذ ها هنا ظرف زمان، والعامل فيه قوله: كافٍ، إذا قلنا: إنه صفة، فأما إذا قلنا: إنه مصدر فلا يجوز تعلقه به؛ لما في ذلك من الفصل بين المصدر ومعموله بالأجنبي، ولأنه لايعطف عليه إلا بعد تمامه بصلته ومتعلقاته، وإنما يكون متعلقاً بما تعلق به خبركان في قوله: في رسول الله.

(وَوُطِّئَتْ لغيره): ممن أوتيها(5) من أهلها.

(أكنافها): جوانبها وأراد التمكن من لذاتها، والتنعم في طيباتها.

---

(1) زيادة في شرح النهج.

(2) لك، زيادة في النهج.

(3) لسان العرب 829/1.

(4) سقط من (أ).

(5) في (ب): أودّها.

(978/3)

(وَفُطِمَ عنه(1) رضاعها): منع عن ارتضاعها(2)، ولم يمكَّن منه.

(وَزُوِيَ عن زخارفها): الزخارف هي: الزينة، وأمره عليه السلام في رفض الدنيا واطّراحها ظاهر لا شك فيه من عيفتها ونبذها واطّراحها.

ويحكى أنه دخل يوماً على فاطمة فناولته رغيفاً من شعير، فقال: ((إنَّه لأول طعام دخل فمَّ أبيك منذ ثلاثة أيام))(3).

وعن عائشة أنها قالت: (كانت تمضي علينا أيام وما لنا طعام(4)؛ إلا الأسودان: الماء والتمر)(5).

(وإن شئت ثنَّيتُ بموسى كليم الله): وإنما قال: كليم الله؛ لأن الله تعالى اختصه بأن كلمه من غير واسطة، بأن خلق الكلام فسمعه موسى وفهمه وعقل عن الله أمره، كما قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}[النساء:164].

(إذ يقول: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}[القصص:24]، والله ما سأله إلا خبزاً يأكله): يعني لم يسأله شيئاً من زخارف الدنيا ولذاتها؛ وإنما سأل أحقر الأشياء وأدناها، وهو قرص خبز.

(لأنه كان يأكل بَقْلة الأرض): حشائشها(6)، فلهذا كان مشتهياً لأكل الطعام، وأراد إني لأجل شيء

تنزله عليَّ غث أوسمين أوغيره من أنواع ما يؤكل مفتقر محتاج إلى أكله.

---

(1) في نسخة أخرى: من، و في شرح النهج: عن.

(2) في (ب): ارتضاعه.

(3) رواه في مجمع الزوائد 312/10، ومسند أحمد بن حنبل 213/3، والترغيب والترهيب 92/4.

(4) في (ب): ومالنا من طعام.

(5) له شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية 170/2 بسنده عن عائشة من حديث وفيه: ((قالت: وكان يأتي علينا الشهر ما نستوقد فيه ناراً إنما هما الأسودان: التمر، والماء ...إلخ. وانظر قريباً منه النهاية لابن الأثير 419/2.

(6) في (ب): خشاشها، وفي نسخة: خشايشها.

(979/3)

(ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق بطنه): شفَّ الشيء إذا رقَّ، والشفيف: الرقيق من كل شيء، والصفاق هي: الجلدة السفلى التي تحت الجلدة التي عليها الشعر.

(لهزاله)(1): ضعفه.

(وتشذب لحمه): تفرقه وتقطعه، والتشذيب: التقطيع، من قولهم: شذبت النخلة إذا قطعتها.

(وإن شئت ثلَّثْتُ بداود صاحب المزامير): صاحب الأصوات الحسنة الطيبة الرشيقة التي كأنها مزامير، لما يظهر من طيبها وسلوسة نغماتها.

(وقارئ أهل الجنة): أحسنهم قراءة، وأجودهم نغمة فيها.

سؤال؛ الجنة لا مشقة فيها، والقراءة يلحق بفعلها المشقة، فكيف قال: قارئ أهل الجنة؟

وجوابه؛ أنه(2) يحتمل أن يقال: إن معناه أقرأ من يدخل الجنة، ويحتمل أن تكون القراءة من جملة ما يلتذ به أهل الجنة، ويرتاحون إليها، وتكون من جملة الملاذ الطيبة.

(فلقد كان يعمل سفائف(3) الخوص بيده): السفيفة: إناء من خوص، والخوص: ورق النخل.

(ويقول لجلسائه: أيكم يكفيني بيعها؟): عرضها في السوق لتبتاع.

(ويأكل قرص شعير(4) من ثمنها): زهداً في الدنيا، ورغبة عنها، وتقرباً إلى الله تعالى أن يأكل من كدِّ يده.

---

(1) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج 230/9 في ذكر تفسير أمير المؤمنين عليه السلام لقوله تعالى: {رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير} قال ما لفظه: وبالتفسير الذي فسر عليه السلام الآية

فسرها المفسرون، وقالوا: إن خضرة البقل كانت ترى في بطنه من الهزال، وإنه ما سأل الله إلا أكلة من الخبز. انتهى. وانظر الكشاف 406/3.

(2) قوله: إنه سقط من (ب).

(3) في (أ): شفائف، وهو تصحيف.

(4) في النهج: الشعير.

(980/3)

ويحكى أن داود عليه السلام لما ملك على بني إسرائيل، كان يخرج متنكراً فيسأل(1) الناس عن نفسه، فقيَّض الله له ملكاً على صورة آدمي، فسأله عن سيرته؟ فقال: نعم الرجل هو، لولا خصلة فيه، فريع(2) داود فسأله عن ذلك فقال: لولأنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل ربه عند ذلك أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع(3).

(وإن شئت قلت في(4) عيسى بن مريم): فإنه نبي من أنبياء الله أكرمه الله تعالى.

(فلقد كان يتوسد الحجر): عند نومه لا يوطئ له مهاد للنوم.

(ويأكل الخشن(5)): من الطعام، وهو خلاف الطيب النفيس.

(ويلبس الخشن): من الثياب، وهو الصوف.

(وكان إدامه الجوع): الإدام: ما يؤكل به الخبز من لحم أو غيره، وفيه وجهان:

أما أولاً: فبأن يريد أنه لا يأكل من الخبز شبعه، بل يأكل مقدار ما يبقى معه جوعه، فلما كان الجوع مصاحباً للأكل، كان الجوع كأنه إدام لما كان من حق الإدام أن يصاحب الخبز.

وأما ثانياً: فبأن يكون مراده أن يكون الإدام مما يرغب(6) فيه عند الأكل، فلما كان عيسى راغباً في الجوع عند أكله للخبز كرغبة غيره في الإدام كان كالإدام له.

(وسراجه بالليل القمر): أراد أنه لابيت له فيسرج عند إيوائه إليه، وإنما سراجه ما ليس سراجاً لأحد وهو القمر، كما يقال: الدنيا مال من لا مال له.

---

(1) في (ب): فسأل.

(2) أي فزع.

(3) الكشاف 581/3.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى والنهج: في، كما أثبته، وفي (أ): وعيسى.

(5) في شرح النهج: الجشب.

(6) في (ب): رغب.

(981/3)

(وظلاله في الشتاء): مسكنه في أيام البرد، والظلال: ما أظلك من سحاب وغيره، فيكون أكناناً له، وأراد أنه يقعد(1) في أيام البرد في أول النهار.

(في مشارق الشمس): حيث تشرق، وفي آخرالنهار.

(في مغاربها): حيث تكون غاربة، وإنما خصَّ أيام الشتاء لفرط بردها المؤذي.

(وفاكهته وريحانه): الفاكهة: ما يستطرف ويأتي في نادر الأوقات، والريحان هو: الرزق، كما قال تعالى: {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ}[الرحمن:12] فالفاكهة والرزق في حقه إنما هو:

(ما تنبت الأرض للبهائم): من الحشائش من أجل البهائم، وذكره للبهائم تعريف بأنه لافرق بينه وبين البهائم في المعيشة، واستحقاراً بها(2).

(ولم تكن له زوجة تفتنه): تكون فتنة له ومحنة وبلوى، أو يُفْتَنُ بها وتكون سبباً لشغله عن الآخرة.

(ولا ولد يحزنه): يلحقه الهم والحزن بسببه، ولأجل ما يصيبه من الألم والغم.

(ولا مال يَلْفِتُه): يصرف وجهه عن الإقبال إلى الآخرة، والاشتغال بها، من قولهم: لفت وجهه عني إذا صرفه، قال الله تعالى: {لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}[يونس:78]، وفي الحديث: ((إن من أقرأ الناس للقرآن منافقاً لا يدع واواً ولا ألفاً إلا لفته بلسانه، كما$تلفت البقرة الخلى بلسانها)) (3) أي يلويه بلسانه.

(ولا طمع يذله): إذ لا أذلّ للرقاب المتصعبة من طلب المطامع.

(دابته رجلاه): يمشي بهما بمنزلة المركوب من الدواب.

---

(1) في (أ) و(ب): يفعل، وفي نسخة أخرى: يقعد كما أثبته.

(2) في نسخة أخرى: لها.

(3) النهاية لابن الأثير 259/4، ولسان العرب 379/3، وأورده ابن أبي شيبة في مصنفه 256/2 من قول حذيفة، وكذا في مختار الصحاح ص600-601.

(982/3)

(وخادمه يداه): يستعمل(1) بهما ما يعود عليه نفعه، فهذه حال هؤلاء الأفاضل من الأنبياء في الدنيا وحالها عندهم.

(فتأسَّ بنبيك الأطيب الأطهر [صلى الله عليه وآله وسلم](2)): أي تعزَّى بهم، وتأسَّى بحالهم

وليكونوا لك قدوة، والأسوة ها هنا [ما](3)تأسَّى [به](4)الحزين وتسلَّى به(5)، وأراد البالغ في الطهارة عن كل الأرجاس والبالغ في الطيب عن المدانس(6) كل مبلغ، فلا غاية هناك إلا وقد وصلها.

(فإن فيه أسوة لمن تأسى): القدوة العظمى لمن اقتدى به، والهداية الكبرى لمن اتبعه.

(وعزاءً لمن تعزَّى(7)): وتسلية لمن تسلَّى بحاله.

(وأحب العباد إلى الله من(8) تأسى بنبيه [والمقتص لأثره](9)): أقربهم إليه وأرضاهم عنده، كما قال تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}[آل عمران:31]، وقوله تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}[النساء:80]، والضمير إما لله، وإما للتأسي فكلاهما محتمل.

(قضم الدنيا قضماً): القضم هو: الأكل بأطراف الأسنان، وأراد منه قلة الأكل وقلة الرغبة؛ لأن كل من رغب في أكل طعام فإنه يأكله بجميع أسنانه.

(ولم يعرها طرفاً): ولم يلحظها بجفن عينه، أي لم يلتفت إليها في حالة من الحالات، وأراد أنه لم يسمح لها(10) بإعارة نظرة مبالغة في ذلك.

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: يشتغل

(2) زيادة في شرح النهج.

(3) زيادة في (ب).

(4) زيادة في (ب).

(5) لفظ العبارة في نسخة أخرى: ما يأتسي به الحزين ويتسلى به.

(6) في (ب): المداس.

(7) في (ب): تأسى.

(8) في النهج: المتأسي.

(9) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(10) في (ب): بها.

(983/3)

(أهضم أهل الدنيا كشحاً): الكشح: ما بين الخاصرة إلى الأضلاع، وأهضمهم أي أدقّهم.

(وأخمصهم من الدنيا(1) بطناً): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أضمرهم بطناً، ومنه قولهم: بطن مخمص إذا كان ضامراً.

وثانيهما: أن يريد أجوعهم، أخذاً من المخمصة وهي المجاعة.

(عرضت عليه الدنيا): حيث قيل له: ((أتحبُّ أن أجعل لك بعدد شجر تهامة ذهباً، أو أعطيك جميع

خزائن الأرض، ولا(2) ينقص من أجرك شيئاً)).

(فأبى أن يقبلها): بقوله: ((أجوع يوماً فأسألك، وأشبع يوماً فأشكرك))(3).

(وعلم(4) أن الله أبغض شيئاً): حيث يقول: ((ما تقرَّب إليَّ المتقربون بمثل الزهد في الدنيا))(5).

---

(1) قوله: من الدنيا، سقط من (ب).

(2) في (ب): ثم لا ينقص.

(3) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب عليه السلام في أماليه ص 76 بسنده يبلغ به إلى الإمام عليعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أتاني ملك فقال: يا محمد، انَّ ربك يقرئك السلام، ويقول: إن شئت جعلت لك بطحاء مكة ذهباً، فرفع رأسه إلى السماء، فقال: يا رب، أشبع يوماً فأحمدك، وأجوع يوماً فأسألك)).

(4) في (أ): واعلم.

(5) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول 232/2، والقضاعي في مسند الشهاب 327/2، وله شاهد بلفظ: ((ما عبد الله بشيء أفضل من الزهد في الدنيا)) أخرجه الموفق بالله في الاعتبار ص 48 بسنده عن عمار بن ياسر.

(984/3)

(فأبغضه): حيث قال: ((حبُّ الدنيارأس كل خطيئة))(1).

(وحقَّر شيئاً): بقوله: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ}[العنكبوت:64].

(فحقَّره): حيث قال: ((لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سُقي منها كافر(2) شربة)) (3).

(وصغر شيئاً): بقوله: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ}[آل عمران:185].

(فصغَّره): حيث قال: ((الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل(4) قلعة)) إلى غير ذلك مما يؤذن من كلامه بحقارتها وهونها.

(ولو لم يكن فينا): من سقوط الهمة، وركة العزيمة.

(إلاحبنا ما أبغض الله): بالإرادة لها، والمثابرة على تحصيلها على أي وجه.

(وتعظيمنا): بما كبر في أعيننا من وزنها.

(ما صغَّر الله): من حالها وأمرها.

---

(1) رواه الإمام المهدي أحمد ين يحيى المرتضى عليه السلام في تكملة الأحكام صـ 108، وأورده

في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 520/4، وعزاه إلى مصادر عدة منها: إتحاف السادة المتقين 131/3، 354/7، وكنز العمال برقم (6114)، والدر المنثور للسيوطي 341/6، والأسرار المرفوعة 179، وكشف الخفاء 413/1،412 وغيرها.

(2) في نسخة أخرى: كافراً بالنصب على أنه مفعول به للفعل سقى، والتقدير: ما سقى الله منها كافراً.

(3) أخرجه الإمام المرشد بالله عليه السلام في الأمالي الخميسية 161/2 بسنده عن علي عليه السلام واللفظ في آخره: ((ما سقى الكافر منها شربة من ماء))، ورواه الإمام الموفق بالله عليه السلام في الاعتبار وسلوة العارفين ص 67 بلفظ ((لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة من ماء)) وانظر تخريجه في الاعتبار.

(4) في (أ): ومنزلة، والحديث رواه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب 281/5..

(985/3)

(لكفى به شقاقاً لله): مخالفة لأمره، والشقاق هو: الخلاف والعداوة.

(ومحادَّة عن أمر الله): [المحادة](1): منعك مايجب عليك منه، ومنه إحداد المرأة و هو امتناعها من الزينة بعد موته، وحددته(2) عن كذا إذا منعته عنه، ثم إنه مع تصريحه بكراهتها من لسانه يفعل أفعالاً تؤذن أيضاً ببغضها.

(ولقد كان صلى الله عليه وآله يأكل على الأرض): من غيرمائدة تنصب لطعامه، كما يفعله الأعاجم.

وعن بعض الصالحين أنه قال: (أربعة أحدثت بعد النبوة: الموائد، والمناخل، والأشنان(3)، والشبع).

(ويجلس جلسة العبد): وهو أن يجلس رافعاً لأخمص قدميه إلى فوق، ويضع إليتيه عليهما ويجعل بطنه على فخذيه ويحني ظهره، وقد قالعليه السلام: ((إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد))(4).

(ويخصف بيده نعله): الخصف: تسوية ما انقطع من سيورالحذاء.

(ويرقع بيده ثوبه): لا يرقعه غيره من ورائه، كما يفعله المترفون.

(ويركب الحمار العاري): عن الإكاف(5) والسرج.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (ب): يقال: حددته...إلخ.

(3) في نسخة أخرى: والأستار.

(4) ذكره في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 526/3 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 214/5، 116/7 وتأريخ أصبهان لأبي نعيم 273/2، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج 234/9 بلفظ: ((إنما أنا عبد آكل أكل العبيد، وأجلس جلسة العبيد)). وأخرجه بلفظ المؤلف هنا الهيثمي في مجمع الزوائد 19/9، ومعمر بن راشد في الجامع 417/10، وأبو يعلى في مسنده 318/8، والإمام أحمد بن عيسى (ع) في أماليه 349/2 بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه.

(5) الإكاف: البَرذَعَة –بالفتح، وهو الحلس الذي يلقى تحت الرَّحْل.

(986/3)

(ويردف خلفه): المرأة من نسائه والصبي والرجل، كل ذلك يفعله تواضعاً لله، وإزالة للكبر عن نفسه والخيلاء.

(ويكون الستر على باب بيته): الستر: ثياب تستر بها الأبواب مبالغة في التستر، وعلى هذا حمل قوله تعالى: {حِجَاباً مَسْتُوراً}[الإسراء:45]، أي حجاباً مجعولاً عليه ستارة.

(فتكون فيه(1) التصاوير): جمع تصوير [كتقدير](2)وتقادير، وأراد به صورة الحيوانات لأنه هو المكروه، وما عدا ذلك ليس مكروهاً.

(فيقول: يا فلانة(3)): لبعض نسائه.

(غيّبيه عني): أزيليه عن بصري ورؤيتي.

(فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا): زينة الدنيا المنقطعة.

(وزخارفها): الزخرف: الذهب، وكل مموّه يقال له: زخرف.

(فأعرض عن الدنيا بقلبه): صرف قلبه عن لذاتها وزينتها.

(وأمات ذكرها من(4) لسانه): فلم يذكرها قط إلا بما يكون ترغيباً عنها، وتحقيراً لها وتصغيراً لحالها.

(وأحب أن تغيب زينتها من(5) عينه): كما ذُكِرَ في هذه القصة في تغييب السترة.

(لكيلا يتخذ منها رِيَاشاً): الرِيَاش هو: اللباس الفاخر.

(ولا يعتقدها قراراً): [أراد](6)أن يكون موضع قرار يستقرفيه.

(ولا يرجو فيها مقاماً): لانقطاعها وزوالها.

(فأخرجها من النفس): بأنه لم يجعل لنفسه فيها ميلاً ولا محبة.

(وأشخصها من قلبه(7)): بنسيانها واطِّراحها والإعراض عنها.

(وغيَّبها عن البصر): فلا يحب رؤيتها.

(وكذلك): الإشارة إلى البغض لها أي ومن أجل ذلك:

(1) في (أ): له.
(2) سقط من (أ).
(3) في شرح النهج: فيقول يا فلانة لإحدى أزواجه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(4) في (ب): عن، وفي شرح النهج: من نفسه.
(5) في (ب): عن.
(6) زيادة في نسخة أخرى.
(7) في نسخة: القلب، وفي شرح النهج: عن القلب.

(987/3)

(من أبغض شيئاً): كرهه ونفر عنه.

(أبغض أن ينظر إليه): بعينه.

(وأن يذكر عنده): ويبغض ذكره أيضاً.

(ولقد كان في رسول الله): في معاملته لها وإعراضه عنها، كما ذكرنا آنفاً.

(ما يدلك على مساوئ الدنيا): هونها وحقارتها.

(وعيوبها): جمع عيب: وهو ما ينقص به الإنسان، ويُذمُّ عليه من الأفعال.

(إذ(1) جاع فيها): أصابه الجوع.

(مع خاصته): مع قربه إلى الله، ورفيع منزلته عنده.

(وزويت عنه): قُبِضَت، من زويته عنه إذا قبضته.

(مع عظم(2) زلفته): الزلفة: القربة، وأراد منزلته القريبة.

(فلينظر ناظر بعقله): فيما ذكرناه من قبضها من رسوله، وزوالها(3) عنه.

(أكرم الله محمداً بذلك): القبض والانزواء.

(أم أهانه!): أم هذه هي المتصلة، كقولك: أقام زيد أم قعد، وجوابها إنما يكون بتعيين(4) أحد الفعلين لا غير، وليس جوابها بنعم أولى ها هنا.

(فإن قال: أهانه): بما فعله من ذاك.

(فقد كذب والعظيم): أراد قسماً بالعظيم، ولقد صدق فإن الله تعالى رفع منزلته على جميع منازل الأنبياء، وشرَّفه وكرَّمه، وأعطاه من الكرامة ما لم يعط أحداً من الأنبياء، وما هذا حاله فليس إهانة.

(وإن قال: أكرمه): بما فعل من ذلك، وإذا كان الأمر(5) كما قلناه:

(فليعلم أن الله قد أهان غيره): أسقط رتبته عنده، ولم يجعل له وزناً عنده، ولا رفع له قدراً.

(حيث بسط الدنيا له): بما مكّنه من لذاتها، وأعطاه من طُرَفِها ومحاسنها.

(1) في (ب) وشرح النهج ونسخة أخرى: إذ، كما أثبته، وفي (أ): إذا.
(2) في شرح النهج وفي نسخة أخرى: عظيم.
(3) كذا في النسخ، ولعله: وانزوائها.
(4) في (ب): بتعين.
(5) قوله: الأمر، سقط من (ب).

(988/3)

(وزواها عن أقرب الناس إليه(1)): وهو رسوله، وأعظم من يكون عنده منزلة وأرفع قراراً(2).
(فتأسى متأسٍّ بنبيه [واقتص أثره] (3)): خبر ومعناه الأمر، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}[آل عمران:97].
(وولج مولجه): ودخل مدخله في طرح الدنيا، والإعراض عنها.
(وإلا): إذا لم يفعل ذلك من ترك التأسي، والإعراض عن اتباعه.
(فلا يأمن الهلكة): أن يهلك بالمخالفة، كما قال عليه السلام: ((من رغب عن سنتي فليس مني)) والهلكة تكون من وجهين:
أما أولاً: فلأنه بإعراضه عمَّا جاء به الرسول، وانحرافه عنه يكون مشاقًّا له ومخالفاً لما أتى به فيتناوله الوعيد، بقوله: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ}[النساء:115].
وأما ثانياً: فلأنه باتباع الدنيا، والإغراق في حبها وطلبها، عكس ما جاء به الرسول، لا يأمن العطب بانهماكه في حبها، حتى يأتيه الموت وهو على غفلة من أمره، فإتيان الهلاك من هذه الجهة.
(فإن الله جعل محمداً علماً للساعة): هذا الكلام مخالف لما قبله وليس ملائماً له، ولهذا جاء بالفاء دلالة وإشعاراً بذلك، فإنها إنما تأتي فاصلة بين الكلامين، ومؤذنة بأن الثاني(4) مخالف للأول مغاير له كما ترى، وإنما كان(5) علماً لها لأنه خاتم الأنبياء، كما قال عليه السلام: ((بعثت أنا والساعة كهاتين)) وأشار إلى الوسطى والمسبحة.

---

(1) في نسخة أخرى، وشرح النهج: منه.
(2) في (ب) وفي نسخة أخرى: قدراً.
(3) زيادة في (ب) و في شرح النهج.
(4) في (ب): بأن الثاني كما أثبته، وفي (أ): بالثاني.
(5) في (أ): يكون، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(ومبشراً بالجنة): لأهل الطاعة، كما قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...}إلى آخر الآية(1)[البقرة:25].

(ومنذراً بالعقوبة): لأهل المعصية، كما قال تعالى: {بَشِيراً وَنَذِيراً}[البقرة:119].

(خرج من الدنيا خميصاً): لاشيء معه من الدنيا، ومن لذاتها.

(وورد الآخرة سليماً): عن تبعاتها ومساويها.

(لم يضع حجراً على حجر): أراد لم يبنِ فيها بناءً، ولاشيَّد قصوراً، ولا عمرفيها عمارة.

(حتى مضى لسبيله): حتى ورد السبيل الذي لا بد لكل حي من سلوكه وهو الموت، وكان له صلى الله عليه وآله تسع حجر لكل واحدة من نسائه بيت، وكان الواحد ينال سقف كل بيت منها بيده؛ لقصر سمكه وخضوعه إلى الأرض.

(وأجاب داعي ربه): لما دعاه لجواره، والكون معه في داره.

(فما أعظم منَّة الله عندنا): نعمته علينا.

(حين أنعم علينا به): بعثه(2) فينا، وكان(3) هادياً(4) لنا.

(سلفاً نتبعه): متقدماً نكون(5) على أثره، وانتصابه على الحال من الضمير في قوله به.

(وقائداً لنا نطأ على عقبه!): نتبعه من غير مخالفة، وقوله: نطأ على عقبه من الكلام البليغ الذي جمع بين قصر اللفظ، وتقارب حجمه وبلاغة المعنى.

(والله لقد رقعت مدرعتي هذه): المدرعة: جُبَّةٌ من صوف، ورقعها تلفيقها مرة بعد مرة.

---

(1) تمام الآية الكريمة: {أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} صدق الله العظيم.

(2) في (ب): نعمته.

(3) في (ب): فكان.

(4) في (أ): هدياً.

(5) في (ب): يكون.

(حتى استحييت من راقعها): إما من تكرر ذلك عليه مراراً كثيرة، وإما من كونه ترقيع ما لايمكن رقعه، فلعل الحياء يقع على(1) أحد الوجهين أو كلاهما.

(ولقد قال لي قائل!): من الناس لما كثر ترقيعها، وعافتها النفوس وكرهتها؛ لهونها وحقارتها.

(ألا تنبذها): تطرحها عنك، وتزيلها عن جسمك.

(فقلت: اعزب عني): ابعد شخصك عن مقابلتي، ثم تمثل بقوله:

(عند الصباح يحمد القوم السُرى): السُرى هو: سير الليل، وأراد عند أن يصبحوا في مكان بعيد [قد](2)قصدوه، يحمدون سيرهم لبلوغهم ذلك الموضع وبعده.

(ويتجلى(3) عنهم غيابات الكرى): وليس المصراع الثاني من نسخة الأصل، والغياية بيائين كل واحدة منهما بنقطتين من أسفلهما، وهو(4): الظلمة، والكرى هو: النعاس، وأراد ويتجلى عنهم(5) ظلم النعاس ونصبه وتعبه، وأما الغيابة بباء بنقطة من أسفلها فهو: قعر البئر، قال الله تعالى: {فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ}[يوسف:10] ولا وجه له(6) ها هنا.

(151) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها الدنيا

(بعثه بالنورالمضيء): بالهداية إلى الدين الواضح.

(والبرهان الجلي): الذي لالبس عنه على الناظرفيه.

(والمنهاج البادي): الطريق الظاهرالذي لا يخفى على أحد سلوكه.

(والكتاب الهادي): القرآن فإنه يهدي إلى كل خير من أمور الدين والدنيا، كما قال تعالى: {وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ}[الشورى:52].

---

(1) قوله: على، سقط من (أ).

(2) سقط من (أ).

(3) في (ب): وتجلى.

(4) في (ب): وهي.

(5) في (ب): عليهم.

(6) في (أ): لا، وهو خطأ، والصواب: له.

(991/3)

(أسرته خيرأسرة): أسرة الرجل: عشيرته ورهطه، والأَسْرُ: الشدة والقوة، قال الله تعالى: {وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}[الإنسان:28] وإنما سموا أسرة لأن الرجل يتقوَّى بهم ويشتد أمره.

(وشجرته خير الشجر): لما حصل فيها من البركة، وأراد بني هاشم، ومن أجل هذا وضعت فيهم النبوة والإمامة.

(أغصانها معتدلة): مستقيمة ثابتة غير معوّجة، من قولهم: اعتدل الشيء إذا كان مستقيماً، ومنه قوله: {فَعَدَلَكَ}[الإنفطار:7] على القراءتين(1) جميعاً أي أقامك وثبتك.

(وثمارها متهدِّلة): متدلية لثقلها، وكثرة حملها وعظمها.

(مولده بمكة): موضع ولادته كان بمكة؛ لأنها موضع آبائه ومسقط رأسه، وفيها كان ابتداء نبوته، وكانت أحب البقاع إليه.

ويحكى أنه لما عزم على الخروج من مكة بالأذن له بالمهاجرة، خرج إلى الحزورة(2)موضع بالقرب من الكعبة، التفت إلى البيت وقال: ((والله) (3) إنَّك لأحبُّ البقاع إليَّ، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك(4) ما خرجت))(5).

---

(1) الأولى بالتخفيف كما ورد في النص، والثانية بالتشديد أي: {فعدَّلك}.

(2) الحزورة: هو موضع بمكة عند باب الحناطين، وهو بوزن قسورة (وانظر النهاية لابن الأثير 380/1).

(3) زيادة في (ب).

(4) قوله: منك، سقط من (ب).

(5) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده 305/4، وابن عبد البر في التمهيد 33/6،32، وروى قريباً منه العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام 161/3 وعزاه إلى سنن ابن ماجة.

(992/3)

(وهجرته بطيبة): يريد بالمدينة، وكانت كثيرة الوباء، فلما هاجرإليها قال: ((اللَّهُمَّ، بارك لنا في مدِّها وصاعها، وانقل حماها إلى الجحفة))(1).

(علا بها ذكره): ظهر وفشا، وسار مع الليل والنهار، حتى طبق الأقاليم والآفاق.

(وامتدَّ بها صوته): قوي فيها أمره، وكل ذلك كناية عن ثبوت الوطأة، ونفوذ الكلمة واستحكام الأمر في الدين والإسلام؛ لأن ذلك ما كان إلا بعد مهاجرته، وسلّه للسيف.

(أرسله بحجة كافية): لا زيادة عليها في البلاغ، أو كافية لمن استدلّ بها.

(وموعظة شافية): من أدواء الكفر والنفاق، أو من غِلِّ الصدور وجزعها.

(ودعوة متلافية): متداركة للخطايا، من قولهم: تلافيته عن السقوط، أي تداركته(2)، ورواية من رواه بالقاف خطأ لاوجه له.

(أظهربه): الضمير للرسول عليه السلام، ويحتمل أن يكون للقرآن أيضاً؛ لتقدم ذكرهما جميعاً، وهو إلى الرسول أظهر لأنه أقرب المذكورين.

(الشرائع المجهولة): أي ما كان يجهله الناس، ولا يعلمونه لولاه.

(وقمع به): أي أذلّ وأخزى.

(البدع): الكفريات المخترعة.

(المدخولة): إما المعيوبة، وإما المشوبة(3) بالاختلاط، وطعام فيه دَخَلٌ إذا كان مشوباً بغير جنسه.

(وبين [به](4) الأحكام): أنواع التحليلات، والتحريمات كلها.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه 2 (1003)، وابن حبان في صحيحه 41/9، 414/12، وأحمد بن حنبل في مسنده 65/6. وهو بلفظ ((اللهم، بارك لنا في صاعها وفي مدها)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 227/2، وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل 65/6، ودلائل النبوة للبيهقي 284/2.

(2) في (أ): تداركم، وهو تحريف، والصواب كما أثبته من (ب).

(3) في (ب): المشوشة.

(4) زيادة في نسخة أخرى والنهج.

(993/3)

(المفصولة): إما المنقطعة عن أحكام الشرك، من قولهم: فصل الأمر إذا قطعه، وإما الموضحة، من قولهم: فصّل الأمر إذا أوضحه وبيَّنه، فأحكام الدين كلها محتملة للأمرين.

(فمن يبتغ(1) غير الإسلام ديناً): يطلب ديناً مخالفاً له من الأديان، وانتصاب ديناً على التمييز، كقولك: مررت بغيرك رجلاً.

(تتحقق شِقوته): بكسر الشين أي تظهر حالته في الشقاء، وبفتحها يظهر شقاؤه(2) وتتضح خسارته، كما قال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}[آل عمران:85].

(وتنفصم عروته): ينقطع متمسكه، خلافاً لما قاله تعالى في الاستمساك به: {لاَ انفِصَامَ لَهَا}[البقرة:256].

(وتعظم كبوته): كبا إذا سقط، أي تكثر(3) سقطته بذلك.

(ويكن مآبه): هذه الأفعال كلها مجزومة؛ لأنها جوابات للشرط، وهو قوله: ومن يبتغ، والمآب: الرجوع.

(إلى الحزن الطويل): الذي لا انقضاء له.

(والعذاب الوبيل): الشديد، وهو: الخلود في النار في أنواع العذاب وألوانه.

(وأتوكل على الله): إنما جاء بلفظ المضارع لأمرين(4):

أما أولاً: فيحتمل أن يكون أول الخطبة (أحمد الله) لكنه طرح، وعلى هذا يكون عطفاً عليه.

وأما ثانياً: فبأن يكون استئنافاً على تقدير(5): وأنا أتوكل على الله، فيكون جملة ابتدائية مستأنفة.

(توكل الإنابة إليه): انتصابه على المصدرية المؤكدة، والإنابة: الرجوع [ومعناه: أتوكل توكل رجوع وإنابة، أو توكل من رجع وأناب] (6).

(وأسترشده): أطلب الرشد منه.

---

(1) في (أ): يتبع.

(2) في نسخة أخرى: تظهر شقاوته.

(3) في (ب): تكبر.

(4) في (أ): لأمر، وهو خطأ.

(5) في (أ): تقديره.

(6) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(994/3)

(السبيل): الطريق الواضح(1).

(المؤدية إلى جنته): الموصلة إليها.

(القاصدة إلى محل رغبته): قصده إذ أتاه، وأراد التي تأتي بصاحبها إلى أمكنة الرغائب والخيرات.

(أوصيكم عباد الله): أعهد إليكم، وأحثكم وآمركم.

(بتقوى الله وطاعته): إتقاء الله وخوفه في السر والعلانية، والانقياد لأمره بالطاعة، وامتثال مراداته.

(فإنها النجاة غداً): أي الفوز يوم القيامة.

(والمنجاة أبداً): على جهة الدوام والا ستمرار، والنجاة والمنجاة مصدران(2) من نجا ينجو نجاة ومنجاة إذا فاز.

(رهَّب): بالوعيدات الشرعية، وأراد الرسول.

(فأبلغ): بالغ في ذلك أشد المبالغة.

(ورغَّب): بما وعد من الوعود الثقيلة(3).

(فأشبع(4)): فأكثر، من قولهم: فلان متشبع بما ليس عنده أي مستكثر بما ليس معه.

(ووصف لكم الدنيا): بأوصافها الذميمة الدالة على حقارتها وهونها.

(وانقطاعها): عن أيديكم، وانفلاتها منكم، وزوالها عنكم.

(وانتقالها): إلى غيركم، وتابع ذلك وكرره على آذانكم مرة بعد مرة.

(فأعرضوا عما يعجبكم فيها): من لذاتها، ونعيمها، وغضارتها.

(لقلة ما يصحبكم منها): من أجل ما تعلمون من عدم ما يكون معكم منها، وليكن ذلك سبباً للكراهة والإعراض، فإنها:

(أقرب دار من سخط الله): إذ ليس يعقل إلا داران في الوجود الدنيا والآخرة، وهذه الدار هي أقرب من الآخرة، لأن الآخرة بعدها، ولم يُعْصَ الله تعالى إلا فيها، لأن الآخرة منزهة عن العصيان فلهذا كانت أقرب دار.

(وأبعدها من رضوان الله): لأنها إذا كانت قريبة من السخط فهي لا محالة أبعد من الرضوان.

---

(1) في (ب): الواضحة.

(2) في (أ): والمنجاة مصدر من...إلخ.

(3) في نسخة أخرى: النقلية.

(4) في النهج: فأسبغ.

(995/3)

(فغضُّوا عنكم عباد الله): انقصوا، من غضَّ بصره إذا نقصه، ولم ينظر به بكماله.

(غمومها): أحزانها، اخفضوها(1)، وأَطرحوها.

(وأشغالها): جمع شغل، أي وما يشغل منها عن طلب الآخرة وتحصيلها.

(لما قد أيقنتم به): اللام متعلقة بغضُّوا، أي وغضُّكم إنما هو من أجل ما قد تحققتم به:

(من فراقها): مفارقتها، وزوالها عنكم.

(وتصرف حالاتها): اختلافها، من تصريف الرياح وهو اختلاف مهابِّها.

(فاحذروها حذر الشفيق): أي كونوا منها على حذر، حذر من هو مشفقٌ على نفسه، محبُّ لنجاتها وخلاصها.

(الناصح): لها بالزجر والاتعاظ.

(والمجدِّ): غير الهازل.

(الكادح): الساعي بالكدِّ والجهد في ذلك.

(واعتبروا): واتعظوا.

(بما قد رأيتم من مصارع العرب(2) قبلكم): كيف أهلكوا بالموت، وصرعوا في لحودهم(3)، ودفنوا

فيها، وتعاقبت عليهم أحوال في التغير والبلاء.

(قد تزايلت أوصالهم): أعضاؤهم الموصلة بالتقطع.

(وزالت أسماعهم وأبصارهم): حواسهم التي يسمعون ويبصرون بها بالتراب والبلاء.

(وذهب شرفهم وعزهم): انقطعا بالموت، وخمول الذكر.

(وانقطع سرورهم ونعيمهم): ذهب ما كان يلحق أفئدتهم من السرور بالنفائس، والتحف والطُّرف، وما كان يلحق أجسامهم من النعيم والراحة.

(فَبُدِّلُوا بقرب الأولاد): فَجُعِلَ لهم، وعُوِّضُوا عن قرب الأولاد، وفرحهم بهم بعدهم [عنهم](4)، وهو:

(فَقْدَها، وبصحبة الأزواج): مصاحبتها والأنس إليها والمودة لها، زوالها وانقطاعها، وهو:

(مفارقتها): وهذا من الطباق المحمود عند فرسان علماء البيان، وهو ذكر النقيضين في القرب والبعد.

---

(1) في (أ): احفظوها وهو تصحيف.

(2) كذا في النسختين، وفي نسخة أخرى وفي النهج: القرون.

(3) في (ب): نجودهم.

(4) زيادة في (ب).

(996/3)

(لا يتفاخرون): بكثرة مال، ولاعدد عشيرة.

(ولا يتناسلون): بكثرة الأولاد، والصهور.

(ولا يتزاورون): مع قرب التجاور.

(ولا يتجاورون(1)): يفعلون أفعال الجيران(2) من التباذل، والتناصر، والتعاضد.

(فاحذروا عباد الله): إنما كررذكرالحذر مبالغة في ذلك، وتأكيداً لأمره.

(حذر(3) الغالب لنفسه): عن الانقياد لهواه والقاهرلها عن اتباعه.

(المانع لشهوته): عن أن تكون مستولية عليه فتهلكه.

(الناظر بعقله): في عواقب الأمور وأحوالها وما تؤول إليه.

(فإن الأمر): في جميع(4) ما ذكرته من أحوال الدنيا وانقطاعها، ودوام الآخرة واستقرارها.

(واضح): جلي لالبس فيه على أحد.

(والعلم قائم): العلم واحد الأعلام، وهي: منارات الطرق، وأراد أن أعلام الدين واضحة قائمة لاعوجاج فيها، ولالبس على سالكها، وهو مجاز هاهنا.

(والطريق جدد(5)): أي مستوي لازيغ فيها ولاميل.

(والسبيل قصد): أي مستقيم عادل.

وفي هذه الخطبة من الوعظ المحيط بالأغراض الدينية، والمستولي على المقاصد الأخروية، في ذم الدنيا وصفة أحوال من مضى مافيه شفاء الأمراض والعلل، ويرتاح القاصد إليه في شربه بين العلِّ والنهل(6).

(152) ومن كلام له عليه السلام لبعض(7) أصحابه، وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال له:

---

(1) في (ب) و في شرح النهج: ولا يتحاورون، بالحاء المهملة.

(2) في (ب): الخيرات.

(3) في (أ): حذار.

(4) في (ب): في جميع ذلك ما ذكرته.

(5) في (أ): جدة، وفي النهج و(ب): والطريق جدد، كما أثبته، والمعنى الذي في النهج مقارب لما هنا؛ لأن المعنى فيه أي طريق سهل واضح.

(6) العلل: الشرب الثاني، وعَلَّه أي سقاه السقية الثانية، والنَّهَل: الشرب الأول.

(7) في (ب): ولبعض.

(997/3)

(يا أخا بني أسد): وكان السائل أسدياً.

(إنك لقلق الوضين): الوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب، جعله ها هنا كناية عن خفة حلمه وطيش عقله، كما جعلوا قولهم: كثير الرماد كناية عن كرمه، ورحب المقلد كناية عن طول قامته.

(ترسل): كلامك.

(في غير سَدَدٍ): صواب ورشد.

(ولك بعد): هذا بعدُ(1) ظرف من ظروف الزمان مقطوع عن الإضافة وهو مبني على الضم، وتقدير مضافه: ولك بعد كل حق لك.

(ذِمامَة الصِّهر): الذِّمامة بكسر الذال المنقوطة من أعلاها هي: الحرمة، والصِّهر هم: أهل بيت المرأة وأقاربها.

عن الخليل قال: ومن العرب من يجعل الصهر من أقارب الزوج وأهله(2)، ويحكى أن السائل كان

من أقارب ليلى بنت مسعود ابن خالة امرأة أمير المؤمنين(3).

---

(1) في (ب): بعد هذا.

(2) مختار الصحاح ص 372 عن الخليل بلفظ: قال: ومن العرب من يجعل الصهر من الأحماء والأختان جميعاً.

(3) ذكر الرواية هذه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ- وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 242/9 في شرح قوله: (ولك بعد ذمامة الصهر) ما لفظه: لأن زينب بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت أسدية، وهي زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة، وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، فهي بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله، والمصاهرة المشار إليها هي هذه. انتهى.

(998/3)

(وحق المسألة): وفي الحديث: ((من كتم علماً وهو يعلمه ألجمه الله بلجام من نار))(1)، والمعنى أن لك حق الصهورية(2) والمسألة بعد كل حق، فلهذا توجهت إجابتك وتعيَّن علينا حقها.

(وقد استعلمت فاعلم): وقد طلبت الإعلام عمَّا سألت عنه، فافهم ما أقول لك:

(أما الا ستبداد علينا بهذا المقام): أما أخذهم علينا الإمامة.

(ونحن الأعلون نسباً): المختصون بأشرف الأنساب وأعلاها؛ لقربنا من رسول الله، وانتصاب نسباً على التمييز.

(والأشدون بالرسول نَوْطاً): النوط: ما يناط بغيره ويعلق به كالقدح والعلبة وغير ذلك، وأراد ها هنا وأعظم الخلق تعلقاً بالرسول، وأقربهم إليه.

(فإنها كانت): الضمير للإمامة.

(أثرة): الأثرة هي: الاسم من الا ستئثار.

(شحت عليها): حرصت عليها.

(نفوس قوم): ولهذا عداه(3) بعلى؛ لأن الحرص من لوازم الشح.

(وسخت عنها): أي طابت(4) عنها.

---

(1) أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 46،54،55/1 بسنده عن أبي هريرة بلفظ: ((من سئل عن علم فكتمه، ألجمه الله بلجام من نار)) وله فيه شاهد بلفظ مقارب عن ابن عباس

ص51، وأخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص205 بسنده عن أبي سعيد الخدري بلفظ: ((من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))، والحديث بلفظ: ((من كتم علماً عنده ألجمه الله بلجام من نار)) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص156 (وانظر تخريجه فيه) وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي 8/519-520.

(2) في (ب): الصهرية.

(3) في (أ): أعداه.

(4) في (أ): طاب.

(999/3)

(نفوس آخرين): يشير بكلامه هذا إلى أن الصحابة بعد موت الرسول عليه السلام انقسموا، فقائلون: إن الإمام هو أمير المؤمنين، كالزبير، وسلمان، والمقداد، وأبي ذر، وغير هؤلاء من جلة الصحابة وأكابرهم، وآخرون قالوا: إن الإمام هو [أبو](1) بكر مثل عمر، وأبي عبيدة بن الجراح، وغيرهما من الصحابة، فلهذا قال:

(شحت عليها نفوس قوم، وسخت بها نفوس آخرين).

(ونعم الحَكَمُ الله): فإنه العالم بمن [هو](2)أهل لها، وقائم بأحكامها.

(والمعود إليه يوم(3) القيامة): المرجع إليه هو الوقوف بين يدي الله في ذلك اليوم، وفيه قطع الخصومة وفصل الشجار، وكلام أمير المؤمنين دالٌّ على موجدة في صدره على القوم فيما كان منهم من الا ستئثار، من غير أن يصدر منه قول أوفعل يثلم الدين، ويكون قاطعاً للموالاة، وهذا هو الذي عليه أفاضل أهل البيت وعلماؤهم، و[هو] (4) يحكى عن زيد بن علي أنه قال: البرآءة من أبي بكر وعمركالبرآءة من علي، إن شئت فتقدَّم، وإن شئت فتأخر.

ويحكى عن الباقر أيضاً أنه قال: من شكَّ فيهما كمن شك في السنة، بغض أبي بكر وعمر نفاق، وبغض الأنصار نفاق، إنه كان بين بني عديٍّ وبني تيم، وبين بني هاشم شحناء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام تحابُّوا، حتى كان أبو بكر يشتكي خاصرته، فيسخن علي يده في النار، ثم يضمد بها على خاصرة أبي بكر حباً له، ونزل القرآن: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[الحجر:47].

---

(1) سقط من (أ).

(2) زيادة في (ب).

(3) قوله: يوم، سقط من (أ).
(4) سقط من (ب).

(1000/3)

وعنه أيضاً أنه سئل عن أبي بكر وعمر؟، فقال: مسلمان هما رحمهما الله، فقال له السائل: أتولاهما وأستغفر لهما؟، فقال: نعم، فقال: أتأمرني بذلك؟ فقال: نعم، ثلاث مرات، فما أصابك من ذلك فعلى عنقي، ووضع يده على عنقه.

وأحاديث كثيرة في توليهما، وهذا هو المعتمد عليه عند أكابر أهل البيت(1)

---

(1) وقال الإمام إبراهيم بن محمد المؤيدي في الإصباح ص164-165، في هذا الموضوع نفسه قال ما لفظه: فإن كثيراً من الآل متوقف كما حكي عن الحسين وعبد الله بن الحسن وأولاده الأربعة، قيل: وهو الأشهر عن زيد بن علي وابنيه يحيى وعيسى وأحمد بن عيسى والصادق والباقر، والأشهر أنه رأي أهل البيت وشيعتهم، فهؤلاء لم يسمع منهم سب ولا ترضية ولا تبريء مع التجرم، ذكره في الشريدة وهو الذي ذكره أبو الحسين وأصحابه المتأخرون. انتهى.ـ ... ـوقال العلامة المجتهد الكبير، مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله في كتابه مجمع الفوائد في القسم الثاني من (طبعة دار الحكمة اليمانية - اليمن - صنعاء) الطبعة الأولى سنة1418هـ- 1997م، ما لفظه تحت عنوان مع الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة الوازعة: (في صفح (13) من الرسالة الوازعة للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام: المسلك الأول: وساق فيه إلى أن قال: ولا شك أن التكفير والتفسيق من أعظم الأحكام، فإذا لم تكن فيهما دلالة قاطعة ولا برهان بيِّن وجب التوقف. يقال: فلم لم تتوقف أيها الإمام كما قضيت أنه الواجب. انتهى.ـ ... ـقوله في صفح (14): وجوب الموالاة، يقال: قد سبق قوله: وجوب التوقف، وسيأتي للإمامعليه السلام في صفح (35) أن التوقف أولى، وهو لا يتفق مع هذا، وسيأتي له أن دلالة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام قاطعة والحق فيها واحد، وأنها ليست من مسائل الاجتهاد، وأن من خالفها مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة، فكيف يصح مع هذا أن نبقى على الأول وهو وجوب الموالاة، وغاية ما يمكن أن المعصية محتملة للصغر والكبر، وذلك يوجب التوقف لا القطع على الصغر، إذ لا دليل عليه، ولا البقاء على الأصل لوجود الناقل عنه، فتأمل فهذا هو الحق والإنصاف، ولا يغني جمع الروايات الباطلة الملفقة والقعقعة والإرجاف والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.ـ ... ـوقوله في الصفح المذكور في المسلك الرابع: وما كان منه عليه السلام من المناصرة والمعاضدة لأبي بكر في أيام قتال أهل الردة ...إلخ. يقال: أما قتال أهل الردة فقد كان قتالاً عن حوزة الإسلام، فهو واجب على كل مسلم وفي كل حال ومع إمام وغير إمام،

وعلي عليه السلام هو إمام الهدى، فكيف لا يذب عن الدين الحنيف، وذلك هو الذي أوجب سكوته، ومصالحة القوم التي وردت بلفظها في رواية البخاري وغيره فطلب مصالحة أبي بكر، ولهذا قال: فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الإسلام رجعت ...إلخ._ ... _وفي صفح (15) قوله: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، اعلم أن هذا وأمثاله لا يصح لمخالفته للنصوص المتواترة المعلومة القاضية بأن أمير المؤمنين وسيد المسلمين عليه السلام خير هذه الأمة وأفضلها وأعظمها عند الله منزلة، وهي مناقضة لما سبق للإمام يحيى عليه السلام ويأتي من أن أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لما خصه الله من الفضائل الظاهرة التي لم يحزها أحد بعده، ولا كانت لأحد قبله، وأن إمامته ثابتة بالنص عليه وعلى ولديه، وأن فضله على غيره من الصحابة أظهر من نور الشمس إلى آخر الكلام السابق._ ... _وقوله في صفح (24): الحكم الأول أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو علي بن أبي طالب ...إلخ، الحكم الثاني: أن دلالة إمامته قاطعة والحق فيها واحد وليست من مسائل الاجتهاد، فمن خالفها فلا شك أنه مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة إلى آخره._ ... _فمثل هذه الروايات الملفقة المتهافتة لا تقاوم الأدلة المعلومة من الكتاب والسنة، وليس ذلك مما يخفى على الإمام، وإنما أراد النكير والإرهاب على أهل الجرأة والسباب بغير دليل، والذي يظهر أن فيها دساً على الإمام، فحاشاه عن مثل هذه المناقضة التي لا تصدر عن من له أدنى نظر، وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى. وساق الكلام في ذلك إلى أن قال: فمثل هذا الكلام المتهافت لا يمكن صدوره عنه عليه السلام، وهو مما يحقق الوضع في كثير من هذه الرسالة، وهو يناقض نصوصه الصريحة حتى في هذه الرسالة نفسها. (انظر المرجع المذكور ص342-345).

(1001/3)

وعن سالم بن أبي حفصة(1) قال: دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض، فقال: اللَّهُمَّ، إنّي أحبُّ أبا بكر وعمر وأتولاهما، اللَّهُمَّ، إن كان في نفسي خلاف ذلك فلا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة.

فأين هذا عن هذيان الروافض والجارودية!، فالله حسبهم فيما قالوه، ومكافأتهم على ما نقلوه وكذبوه!.

ثم تمثل أميرالمؤمنين ببيت امرئ القيس:

(وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيْحَ في حُجُراتِهِ وَلَكِن حَدِيْثاً مَا حَدِيْثُ الرَّواحِلِ) (2)

يروى(3) أن امرئ القيس هرب من عدو له، واستجار رجلاً آخر من طي، فأغير على إبل الطائي، فخرج مغيراً على رواحل لامرئ القيس في طلب إبله، فلما رجع الطائي وكان الأمر في رواحل امرئ

القيس أهم عنده من رواحل الطائي، فقال هذا البيت، ولنذكر إعرابه وموضع الشاهد منه.

أما إعرابه فهو ظاهر، النهب: ما يؤخذ قهراً، صيح به: أي أعلم به وشهر، والحجرات: النواحي، وانتصاب حديثاً بفعل(4) مضمر دلَّ عليه الكلام تقديره: اذكر حديث الرواحل، وما هذه زائدة، وحديث الرواحل بدل من حديثاً، أبدل المعرفة من النكرة.

---

(1) هو سالم بن أبي حفصة العجلي الكوفي، أبو يونس، محدث، رأى ابن عباس، وروى عن الشعبي وعطاء وطائفة، وعنه السفيانان، ومحمد بن فضيل، وهو الذي يقول: وددت أني كنت شريك علي عليه السلام في كل ما كان فيه، وقد نال منه القوم بسبب تشيعه كما هو دأبهم وديدنهم. (انظر ميزان الاعتدال 162/3-164، ومعرفة الثقات 382/1).

(2) أورد البيت من جملة أبيات لأمرئ القيس ابن أبي الحديد في شرح النهج 244/9، والبيت أورده في لسان العرب 572/1.

(3) في (ب): يحكى.

(4) في (أ): لفعل.

(1002/3)

وأما موضع الشاهد منه فإنما أورده أمير المؤمنين متمثلاً به، وغرضه من ذلك دع أمر الإمامة وحديثها فقد مضى وتقدم، ولكن أذكر حديث ابن أبي سفيان معاوية وأهل الشام؛ فإن ذلك أعظم في الدين وأدخل في الأعجوبة.

(وهَلُمَّ الْخَطْب في ابن أبي سفيان): هلمَّ اسم من أسماء الأفعال يعدَّى تارة بنفسه، كقوله تعالى: {هَلُمَّ شهداءكم}[الأنعام:150] وتارة بإلى كقوله تعالى: {هَلُمَّ إلينا}[الأحزاب:18] وأراد ذكر الْخَطْب في ابن أبي سفيان فهو أعجب لوضوح الأمرفيه، ومنازعته لي وشقاقه وخروجه عليَّ محارباً.

(فلقد أضحكني الدهر): ضحكت من عجائبه.

(بعد إبكائه): بعد بكائي من حوادثه وفجائعه.

(ولا غرو والله): أي ليس عجباً مثل هذا العجب لفظاعته، وعظم شأنه.

(فياله خطباً!): يا هذه حرف للنداء، ومناداه محذوف أي ياقوم، وله متعلق بفعل تقديره: اعجبوا له من خطب ما أعظم حاله، وانتصاب خطباً على التمييز.

(يستفرغ العجب): أي يطلب فراغ العجب فلا يفرغه، وإن بذل مجهوده لعظمه، من قولهم: استفرغت مجهودي إذا بذلته، وهو مجاز لإضافة الفراغ إلى الخطب.

(ويكثر الأود): أي الا عوجاج لتفاحشه، من قولهم: تأود العود إذا كان معوَّجاً أو يكثرالثقل لتفاقمه،

من قولهم: آدني الحمل إذا أثقلك.
(حاول القوم): معاوية وأهل الشام من أتباعه، والمحاولة هي: المزاولة للشيء والاشتغال به.
(إطفاء نورالله من مصباحه): عنى بذلك نفسه، وأرادإبطالهم قواعد الدين، وهدم مناره باستظهارهم عليَّ وقهرهم لي.

(1003/3)

(وسدَّ فوَّاره من ينبوعه): وإذهاب ما يظهر من أحكام الشريعة من جهتي، ويحصل من ذلك من علمي واجتهادي، والفوَّار: عبارة عن حركة الماء، والينبوع: عين النهر، فالإطفاء، والنور، والمصباح، والفوَّار، والينبوع استعارات رشيقة لما ذكرناه.
(وجدحوا بيني وبينهم شِرْباً وبيًّا(1)): جدح الشراب إذا خاضه، والشِّرب بالكسر هو: المشروب، قال الله تعالى: {لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ}[العشراء:155]، وسماعنا ها هنا به، والوبيء: المهلك، من شربه لوبائه، وجعل ذلك كناية عن اشتباك الحرب ونشبها(2) بينهم فإنها مهلكة للأموال والأرواح، فلا وباء أعظم من ذلك ولا أوخم.
(فإن ترتفع(3) عنَّا وعنهم محن البلوى): برجوعهم عن الحرب واستبصارهم الخطأ في ذلك.
(أحملهم من الحق على محضه): على صريحه وجيده مما أريهم من الصواب والسيرة الحسنة في قولي وفعلي، والهداية إلى الطريق الواضحة.
(وإن تكن الأخرى): وهو استمرارهم على البغي والشقاق لي ومخالفتي في الأمر كله.
({فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ})[فاطر:8]: أراد فلا تقطع نفسك وتذهبها تحسراً عليهم.
({إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ})[فاطر:8]: من ذلك، وهذه الآية وردت على جهة التسلية لرسول الله؛ لما علم من حاله التحزّن الشديد والأسف الكثيرعلى إيمان قومه، وهذا كقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ}[الكهف:6] أي مهلكها من أجل عدم إيمانهم، وقد استعملها أمير المؤمنين في أهل البغي، كما وردت في شأن الكفار، حذو(4) النعل بالنعل من غير مخالفة، وهذه عادة له في استعمال القرآن، كما مرَّ في مواضع.

---

(1) في النهج: وبيئاً.
(2) في (ب): وسببها.
(3) في (أ): ترفع.
(4) في (أ): خذوا، وهو تصحيف.

(153) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها بديع الخلقة الإنسانية، وعجيب تركيبها

(الحمد لله خالق العباد): إما موجدهم من العدم، و إما المقدِّر لتركيب هذه الصور العجيبة لهم.

(ساطح المِهَاد): باسط الأرض المجعولة مهاداً، كما قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْاداً} و{مهداً}(1)[طه:53] أي سهلاً سلساً لا عناء فيه ولا تعب.

(ومسيل الوِهاد): جمع وهدة وهي: ما اطمأنَّ من الأرض، كالشعاب والأودية والأخاديد، أي وأسالها لمنافع الخلق.

(ومخصب النِّجاد): جمع نجد وهو: ما ارتفع من الأرض، وأخصبها أي جعل فيها الكلأ والمرعى نقيض الجدب، وهذا من القدرة الباهرة أي أنه جعله مخصباً مع أن الماء لا يستقر عليه لعلوه وارتفاعه.

(ليس لأوليته ابتداء): أي هو أول ومع كونه أولاً، فإنه لا ابتداء لأوليته، ولا نهاية لها ولا حد، إذ لو كان لأوليته ابتداء لكان محدَثاً، وهو محال حدوثه.

(ولا لأزليته انقضاء): أراد أنه إذا تقرر أنه لاأول له فليس له زوال، ولا له آخرفيكون منقضياً؛ لأن أوليته لذاته، وما كان موجوداً لذاته استحال عليه الانقضاء والعدم.

(هو الأول لم يزل): أي لم يتجدد له وجود.

(والباقي بلا أجل): والدائم الوجود الذي لا أمد لوجوده فيكون معدوماً عند وجود ذلك الأمد، ويكون غاية له.

سؤال؛ قوله: هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل، مثل قوله: ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، فما الفائدة بالتكرار وما وجه ذلك؟

---

(1) يعني أن هناك قراءتين في الآية الشريفة إما: {مِهَاداً} وإما {مَهْداً}.

وجوابه؛ هو أن أمير المؤمنين صار فارس البلاغة وأمير حلبتها، وإمام الفصاحة وإنسان مقلتها، وليس أخلو إما أن أجعل كلامه هذا من باب التكرار، كقوله تعالى: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[القمر:16]، وإما أن أجعله من باب حسن التصرف، والتفنن في أساليب النظم، وكلاهما محتمل في كلامه هذا، وواقعان في البلاغة أحسن المواقع وأعلاها، فإن الله تعالى أورد قضية(1)

موسى وفرعون في غير آية في كتابه علىأنحاء [لهم](2) مختلفة، وأساليب متفرقة دالَّة على حسن التصرف وأنيق البلاغة.

(خرَّت له الجباه): بالسجود لعظمته.

(ووحَّدته الشِّفاهُ): أقرَّت له الألسنة بالتوحيد.

(حد الأشياء عند(3) خلقه لها): جعل المكونات حدوداً تقف عليها، وغايات تنتهي إليها (لا تزيد عليها)(4)، فتكون مجاوزة لها، ولا تنقص عنها فتكون متأخرة عنها، كما أشار إليه في غير آية، كقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[القمر:49]، وقال: {خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}[الفرقان:2]، وقال: {قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}[الطلاق:3]، وقوله: عند خلقه لها، يشيربه إلى أن هذه التقديرات والإحكامات لازمة لوجودها، غير متأخرة عنها وقتاً واحداً، ولو تأخرت عنها لكانت غير محكمة فخلقها على هذه الكيفية.

(إبانة لها من شبهها): بان الأمر إذا ظهر، والإبانة مصدر بان[يبين إبانة](5)، وانتصابها إما على المصدرية مفعولاً من أجله، وإما على الحال أي مبيناً، والمعنى خلقها لتكون متميزة عمَّا يشبهها.

---

(1) في (ب): قصة.

(2) سقط من (ب).

(3) في (أ): غير، وهو تحريف.

(4) العبارة التي بين القوسين هي مكررة في (أ).

(5) سقط من (أ).

(1006/3)

(لا تقدِّره الأوهام): بكسر الدال وضمها من التقدير، وفي الحديث: ((إذا غمَّ عليكم الهلال فَاقْدِرُوا له ثلاثين))(1) بهما جميعاً، وأراد إما أنه ليس له تقدير فهي لا تقدره، وإما أراد أنه(2) لا تقف على حقيقته.

(بالحدود والحركات): فإ ن من شأن مايقع عليه الوهم أن يكون من قبيل المحسوسات التي لها حدود وحركات.

(ولا بالجوراح والأدوات): أي وليس بذي جارحة، وجوارح الإنسان: أعضاؤه وأوصاله، ولاذي أدوات(3) وأدوات الإنسان: سمعه وبصره؛ لأنها آلة في إدراك السمع والبصر فيكون مقدراً بالوهم بل هو خارج عن هذه الأشياء كلها، مباين لها بالحقيقة والماهية.

(لا يقال له: متى؟): لأنها سؤال عن الأزمنة المبهمة، وما كان سابقاً على الأزمنة وجوده، فلا يسأل

عنه بمتى، وأيضاً فلو تعلقت الأوقات به لكان محدوداً بها فيكون له ابتداء، وإذا كان له ابتداء فله انتهاء وهو متعالي عن الحد بالابتداء والانتهاء.

(ولا يضرب له أمد بحتى): أراد أن حتى دالة على الغاية، ومعناها لا يصدق عليه؛ لأنه يعلم(4) إذا كان دائم الوجود فلا أول لوجوده ولا آخر لوجوده، فلا وجه للأمد والغاية في حقه فهما منتفيان.

---

(1) أورد قريباً منه الإمام القاسم بن محمد (ع) في الاعتصام في كتاب الصيام314/2، من حديث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر رمضان فقال: ((لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غمَّ عليكم فأقدِروا له)) وقوله: ((فأقدِروا)) فيه بكسر الدال، وعزاه إلى مالك، والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والنسائي، وأخرجه أبو داود في سننه 297/2، وعبد الرزاق في مصنفه 156/4.

(2) كتب فوقها في (ب): أنها.

(3) في (أ): ولا أداة.

(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: لأنه قال.

(1007/3)

(الظاهر): في وجوده(1) بالأدلة والبراهين.

(لا يقال له: ممَّ؟): فلا يسأل عن ذاته بما يدل على الجنسية وهو: ما(2)، إذ لاجنس له فلا يسأل عن جنسه، أو أنه ظاهر فلا يستفهم عنه بظهوره(3) وتجليه.

(والباطن): عن إدراك العيون وتصور الأوهام.

(لا يقال: فيم): أي لايستفهم عنه بالمكان والجهة لتعاليه عنهما، فلا يقال: في أي شيء هو؟.

(لا شبح فيُتقصَّى): الشبح عبارة عن كل جسم، وقوله: فيُقتصَّى فيه روايتان:

أحدهما: بالصاد المهملة أي يطلب أقصاه، وأراد أنه ليس بشبح يطلب أقصاه أي غاية حده.

وثانيهما: بالضاد بنقطة من أعلاها، فيكون معناه يزول ويعدم لأن التقضي هو الزوال.

(ولا محجوب): أي وليس محتجباً بشيء من الأشياء.

(فيحوى): فيكو ن الحجاب حاوياً له محيطاً به.

(لم يقرب من الأشياء بالتصاق): أراد أنه لم يقرب منها من الجهة فيكون ملاصقاً لها، كملاصقة الأجسام بعضها لبعض.

(ولم يبعد عنها بافتراق): أراد أنه وإن بَعُدَ عنها [فليس بُعْدُه عنها بأن فارقها، وحالت الجهات والفراغات بينها وبينه ومع بُعْدِه عنها](4)فإنه:

(لا(5) يخفى عليه من عباده شخوص لحظة): شخوص البصر وهو(6) فتح العين من غير أن يطبقها، و(7)اللحظة هو النظرة الواحدة بمؤخر العين.

(ولا كرور لفظة): فعلها مرة بعد مرة، قال الشاعر:

كَيْفَ البقاءُ مع اختلافِ طبائعٍ

وكُرُوْرِ لَيْلٍ دَائمٍ وصَبَاحِ

(ولا ازدلاف ربوة): الازدلاف هو: التقدم، والربَّوة: الموضع المرتفع، بفتح الفاء وضمها.

---

(1) في (أ): وجود، وهو تحريف.

(2) في (ب): مما.

(3) في (ب): لظهوره.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(5) في شرح النهج: ولا يخفى.

(6) في (ب): هو.

(7) في (أ): وأن اللحظة.

(1008/3)

(ولا انبساط خطوة): ولا خطوة ممتدة، والا نبساط هو: الامتداد، أي أن هذه الأمور كلها غير خافية عليه.

(في ليل داجٍ): الداجي هو: المظلم، قال الراجز:

فَقَدْ دَجَا الليلُ فهيا هيا

(ولا غسق ساج): الغسق: ظلمة أول الليل، والساجي هو: الساكن، قال تعالى: {وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}[الضحى:1-2] أي سكن.

(يتفيَّأ عليه القمر المنير): يتقلب عليه، قال تعالى: {يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ}[النحل:48] والضمير في عليه راجع إلى الليل، ومعنى منير أي ذو نور.

(وتعقبهُ الشمس ذات النور): أي وتكون عقيبه أي بعده(1) طلوع الشمس ذات الضياء المشرق على الآفاق كلها، والضميرفي تعقبه راجع إلى الليل.

سؤال؛ أراه خالف بين وصف القمر والشمس، فقال: المنير في القمر، وقال: ذات النور في وصف الشمس، وكل واحد منهما موصوف بالإنارة؟

وجوابه من وجهين:

أما أولاً: فلأنه أراد المطابقة في التسجيع لأن الشمس مؤنثة، والقمر مذكر، فلو قال: والشمس المنيرة لم يتفقا في التسجيع فلهذا قال: ذات النور.

وأما ثانياً: فلأن قوله: ذات النور أبلغ من قوله: المنيرة، فلما كان نور الشمس أبلغ وأظهر وصفها بأبلغ الصفات، كما قال تعالى: {حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ}[النمل:60]، وقال: {ذَاتَ لَهَبٍ}[المسد:3]، و{ذَاتِ الرَّجْعِ}[الطارق:11]، و{ذَاتِ الصَّدْعِ}[الطارق:12]، مبالغة في ذلك، بخلاف ما لو قال: ناراً متلهبة(2)، وحدائق متبهجة لم يكن كذلك.

(في الكرور والأفول): أي هي غير خافية عليه في طلوعها وغروبها.

(وتقلب الأزمنة والدهور): اختلافها وجريها.

---

(1) في (أ): بعد.

(2) في (ب): ملتهبة، وحدائق مبتهجة.

(1009/3)

(من إقبال ليل مقبل): من هذه مفسرة لتقلب الأزمنة، أي أن تقلبها يكون بإقبال الليل.

(وإدبار نهار مدبر): وقوله: إقبال مع قوله: مقبل، وإدبار مع قوله: مدبر، من أنواع البديع يلقب بالتجنيس المطلق، وقد مرَّ نظائره والاستشهاد عليه، ومنه قوله:

وَمَا زالَ معقولاً عِقَالٌ عن الندى

وما زال محبوساً عن المجد حابسُ

وهو تعالى سابق:

(قبل كل غاية ومدة): متقدم عليها فلا غاية ولامدة إلا وهي متأخرة عن وجوده.

(وكل إحصاء وَعِدَّة): أي وهو متقدم على كل إحصاء وعلى كل عدة من الأعداد.

(تعالى): بالصفات الإلهية.

(عما ينحله المحددون(1)): يعطيه أهل التحديد من نحله إذا أعطاه، أي يعطونه من الصفات الدالة على كونه محدوداً، كا لمجسمة وأهل الجهة والمثبتين له في الأماكن، فهؤلاء كلهم قد حدَّوه ونحلوه.

(من صفات الأقدار): الأمور المقدرة المحدودة وهي الأجسام.
(ونهايات الأقطار): وما نحلوه أيضاً من أن تكون الأقطار محيطة به بجهاتها وحاوية له بنهاياتها.
(وتأثُّل المساكن): مجد أثيل أي راسخ، والتأثل هو: اتخاذ أصل المال، وأراد أن تنفى عنه اتخاذ هذه المساكن والرسوخ فيها والكون في جهاتها.
(وتمكّن الأماكن): أي واستقراره في الأماكن وحصوله فيها على جهة المكانة والاستقرار.
(فالحد بخلقه(2) مضروب): أرادبالحد إما الإحاطة، وإما التقدير، وكلاهما مضروبان بجميع المخلوقات، ولاشيء من المخلوقات إلا وهو مقدر بحد وغاية [تحتويه](3)وتكون مشتملة عليه.
(وإلى غيره(4) منسوب): من سائر المكونات مضاف.

---

(1) في (أ): المعدون، وهو تحريف، وفي (ب) والنهج: المحددون كما أثبته.
(2) في (ب) وشرح النهج: لخلقه.
(3) زيادة في (ب).
(4) في (أ): غير، وفي (ب) كما أثبته.

(1010/3)

(لم يخلق الأشياء من أصول أزلية): يشير بذلك إلى مذاهب كثيرة للفلاسفة وغيرهم من الفرق كلها باطلة؛ كإبطال مذهب الفلاسفة في الهيولي والصورة، وإبطال مذهب الطبائعية في أن أصل(1) العالم حركات أزلية تصادمت فنشأ عنها كالعالم(2)، وإلى مذهب الثنوية(3) في النوروالظلمة، وغير ذلك من المذاهب الركيكة والآراء الردية، ومن أ راد الا طلاع على حصر هذه المذاهب فعليه بكتابنا الملقب بكتاب: (النهاية في المباحث الكلامية والمسائل الإلهية) (4).
(ولا من أوائل أبدية): تكون أصلاً لها وسبباً في تركيبها وائتلافها وانتظامها على حدودها وتقديراتها.
(بل خلق ما خلق): أراد بل خلق هذه المخلوقات العظيمة، والمكونات الباهرة، وأتى بما دالة على ذلك لما فيها من الإبهام، كما قال تعالى: {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ}[طه:69]، أي ألق هذا الأمر الباهر، وكما قال: {أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ}[يونس:80] أي هذه الأسحار الهائلة، أوجده اختراعاً وفعله ابتداء.
(فأقام حده): على جهة الاستقامة، ونعت الأحكام والتقدير.
(وصوَّر ما صوَّر(5)): من هذه الصور المختلفة، والأشكال المتباينة.

---

(1) في (أ): في أن أصل ذلك العالم ...إلخ.
(2) في نسخة أخرى: فنشأ عنها هذا العالم.

(3) الثنوية: فرقة من الفرق الكفرية، تنسب إلى رجل اسمه ماني بن واني الحكيم السرياني وهذه الفرقة قائلة بإلهية النور والظلمة، وحياتهما وقدرتهما، وامتزاج العالم منهما وتضاد صورهما وطبعهما. (وانظر المنية والأمل في شرح الملل والنحل ص 67،18-75).

(4) ويسمى أيضاً (النهاية في الوصول إلى علم حقائق علوم الأصول) في أصول الدين (انظر أعلام المؤلفين الزيدية ص 1131).

(5) قوله: ما صور، سقط من شرح النهج.

(1011/3)

(فأحسن صورته): لما جعل فيه من الا نتظام المحكم، والمطابقة لمصلحته، والمراعاة لأحكام منفعته، فإيجادها كلها على وفق داعيته وانقيادها كلها بحسب أمره وإرادته.

(ليس لشيء منه امتناع): عن تكوينه إذا أراده، كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[يس:82].

(ولا له بطاعة شيء انتفاع): أي أن الأشياء وإن أطاعته بعضها بالانقياد لأمره والوقوف على حسن(1) داعيته، وبعضها بالعبادة له والتذلل له، فإنه لاينتفع بشيء من ذلك وكيف يقال: بأنه ينتفع وهو مستحيل [عليه](2) جري المنافع لا ستحالة الملاذ والآلام عليه.

(علمه بالأموات الماضين): في التحقق والثبوت، وجزاء الأعمال، وتقديرالأعمار وكتابتها وحفظها، وجميع أحوالهم كلها.

(كعلمه بالأحياء الباقين): في ذلك كله لا يغادر شيئاً من أمورهم إلا أحصاها وحفظها.

(وعلمه بما في السماوات العلا): من أحوال العالم العلوي كالملائكة وما يتعلق بأحوالهم من العبادات، وأنواع الأقضية والتدبيرات.

(كعلمه بما في الأرضين السفلى): من عالم الحيوانات والجمادات وغير ذلك.

ثم أردفه بعجيب خلقة الإنسان، بقوله:

(أيها المخلوق السوي): المستوية أعضاؤه بالإحكام والتقدير، أو المخلوق في أحسن التقويم وأكمله.

(والمُنْشَأ المرعيُّ): الْمُوجَدُ من العدم، المحفوظ بالرعاية:

---

(1) في (ب): حسب.

(2) زيادة في نسخة أخرى، وفي (ب): وهو يستحيل جري...إلخ.

(1012/3)

(في ظُلَمِ(1) الأرحام): تعلق الحرف هذا إما بقوله: المنشأ أي أنه أنشئ في ظلم الأرحام، أو بقوله: المرعي، أي وحفظ في ظلم الأرحام، فكلاهما(2) صالح للتعلق كما ترى، ويجوز أن يكون متعلقاً بهما على [حد](3) إعمال الفعلين كقولك: أكرمت رجاء طيب زيداً(4)، وظلم الأرحام: مستقرها، وما اشتملت عليه.

(ومضاعفات الأستار): أي والأستار المضاعفة: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

(بُدئت من سلالة من طين): يشير إلى خلق آدم عليه السلام، ولقد أشار الله تعالى في كتابه الكريم في خلقة آدم إلى أطوار سبعة:

أولها: التراب وهو المبدأ الأول ، كما قال تعالى: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ}[آل عمران:59].

وثانيها: الطين بقوله: {مِنْ طِينٍ} وهو عبارة عن الجمع بين الطين والماء.

وثالثها: قوله: {مِنْ طِينٍ لازِبٍ}[الصافات:11] إشارة إلى الطين الحاصل على ضرب من الاعتدال.

ورابعها: قوله: {مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[الحجر:26] يشير به إلى الطين الصالح لقبول الصورة.

وخامسها: قوله: {مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[الحجر:26] إشارة إلى يبسه وسماع صَلْصَالِهِ.

وسادسها: قوله: {مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}[الرحمن:14]، وهو الذي أُصلح بأثر النار فيه فصار كالخزف.

وسابعها: قوله: {إِنّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ}[ص:71] إشارة إلى إكمال خلقته.

---

(1) في شرح النهج: ظلمات.

(2) في (ب): وكلاهما.

(3) في (أ): جزاء.

(4) كذا في النسخ، ولعل الصواب: أكرمت وجاء ظننت زيداً، وهامش في (ب) لفظه: فإن زيداً منصوب على المفعولية على الفعلين. تمت.

(ووضعت في قرار مكين): يشير به(1) إلى كيفية خلقة أولاده، ولقد أشار الله في كتابه الكريم في خلقة بني آدم إلى أطوار سبعة أيضاً:

أولها: قوله تعالى: {مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ}[المؤمنون:12].

وثانيها: النطفة، كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ}[يس:77].

وثالثها: العلقة، كقوله تعالى: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً}[المؤمنون:14]، وقوله تعالى: {خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ}[العلق:2].
ورابعها: المضغة، كقوله تعالى: {فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً}[المؤمنون:14] والمضغة: القطعة من اللحم.
وخامسها: العظام، كقوله تعالى: {فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً}[المؤمنون:14].
وسادسها: الجمع بين اللحم والعظم، كقوله تعالى: {فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً}[المؤمنون:14].

---

(1) قوله: به، سقط من (أ).

(1014/3)

وسابعها: إكمال الخلقة بمجموع(1) الأمور كلها، كقوله تعالى: {ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ}[المؤمنون:14]، بما جعل فيه من قوة العقل والتفكر والنطق، فقد أشار عليه السلام إلى مبتدأ خلقة آدم بقوله: بدئت من سلالة خالصة صافية من الكدورة(2)، ومن الأولى لابتداء الغاية، ومن الثانية لبيان الجنس، على تلك الأطوار والدرج، ثم أشار إلى الخلق(3) الثاني بقوله: (ثم وضعت في قرار مكين) أي ذا مكانة(4) وهو الإحراز والتحصن(5) عما يريب، وفي الحديث: ((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فيكتب رزقه وأجله))(6).
(إلى قدر معلوم): من أجله في الزيادة والنقصان، كما قال الله تعالى: {وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}[الرعد:8].
(وأجل مقسوم): مقدار(7) لبثه في الدنيا، ومدة عمره فيها من غير زيادة فيه ولا نقصان منه.
(تمور في بطن أمك): المور: الحركة والاضطراب، أي تختلج في أحشائها يميناً وشمالاً.
(جنيناً): محتجباً بالحواجب الكثيفة، والسواتر المضاعفة.
(لا تحير دعاءً): لا تجيبه، والتحاور هو: التجاوب، يقال: كلمته فما أحارني جواباً أي ما ردَّه.

---

(1) في (ب): بجميع.
(2) في (أ): الكدرة.
(3) في (أ): خلق.
(4) في (ب): مكان.
(5) في (ب): والتحصين عمَّا يذيب.
(6) الحديث في سنن البيهقي الكبرى 421/7، ومسند الشاشي 142/2، ومسند ابن الجعد 379/1.

قلت: وهو في مسند شمس الأخبار 326/2 في الباب (177) من حديث عن ابن مسعود مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه (وانظر تخريجه فيه).

(7) في (أ): مقدر.

(1015/3)

(ولاتسمع نداء): من يناديك، وأراد أنك كنت جماداً فصيرك حيواناً، وكنت أبكم فأنطقك، وأصم فأسمعك، وأكمه فجعلك بصيراً، وأودع ظاهرك وباطنك مكنونات علوم، وخزائن أسرار لا يحصرها لسان، ولا يطلع على فجِّها(1) إنسان، فسبحان الله ما أبعد حالة الا بتداء من حالة الانتهاء، كما قال تعالى: {انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ}[الأنعام:99] فإذا كان ذلك عجب، فهو في خلقة الإنسان أدخل وأعجب.!!

(ثم خرجت(2) من مقرك): بطن أمك الذي كنت مستقراً فيه.

(إلى دار): وهي الدنيا.

(لم تشهدها): بعينك ولا خطرت لك على بال.

(ولم تعرف سبل(3) منافعها): الطرق التي تهتدي فيها إلى تحصيل المنافع فهداك إليها، وألهمك إلى تحصيل(4) ما ينفعك فيها، ولا هادي لك سواه، وإلا:

(فمن هداك لاجترار(5) الغذاء من ثدي أمك): ومصداق هذه المقالة، من هداك لالتقام ثدي أمك، لتعيش به ويكون غذاء لك؟

(وعرَّفك عند الحاجة مواضع طلبك): وألهمك عند الضرورات(6) مواضع المطالب التي تحتاجها، فتطلب الماء من الكوز، ولا تطلبه من الحجر، وتطلب الخبز من السفرة، ولا تطلبه من الجدار، إلى غير ذلك من الإلهامات العجيبة.

(وإرادتك!): مراداتك المطلوبة من مواضعها(7).

(هيهات): اسم فعل من الأفعال الخبرية، أي بَعُدَ، وأراد ما أبعد الوصول إلى كُنْهِ حقيقة الخالق لهذه الأشياء، والإحاطة بحقيقة أوصافه.

---

(1) في (ب): محلها.

(2) في شرح النهج: أخرجت.

(3) في (أ): سبيل.

(4) في (أ): تحصيلها، وهو غامض، وما أثبته من (ب) .

(5) في (أ): لإحراز.

(6) في (ب): ضرورات.

(7) في (ب): موضعها.

(1016/3)

(إن من يعجز عن صفات ذي الهيئات(1)): الهيئة: الشارة، يقال: فلان حسن الهيئة، وأراد الأحوال المختلفة، والشارات المتفاوتة.

(والأدوات): الجوارح والحواس؛ لمافيها من البدائع والعجائب فلا يمكن حصرها ولا إدراكها.

(فهو عن صفات خالقه): الذي أقدره وأحكمه.

(أعجز): أدخل في العجز وأبلغ فيه.

(ومن تناوله): الوصول إليه، من قولهم: نال الشيء إذا وصل إليه بيده.

(بحدود المخلوقين): بأوصافهم الموصلة إلى فهم حقائقهم.

(أبعد!): أدخل في البعد والمجاوزة.

(154) ومن كلام له عليه السلام في أمر عثمان

ولما اجتمع الناس على عثمان، وشكوا ما نقموه منه على أمير المؤمنين، وسألوه مخاطبته عنهم، واستعتابه لهم، فدخل على عثمان، فقال:

(إن الناس ورائي): يطالبونني أشد المطالبة، من قولهم: فلان ورائي إذا كان شديد الملاحقة في الحاجة، شُبِّه بمن يكون وراءك يحثك على السير من خلفك.

(قد استسفروني بينك وبينهم): جعلوني سفيراً فيما عرض بينكم من الخطوب، وقطع المشاجرة والأمر في ذلك صعب.

(ووالله ما أدري ما أقول لك!): مما يصلح الله(2) به شأنك، ويجمع به الشمل.

(ما أعرف شيئاً تجهله!): فأعلمك به، وأحقق لك طريقه(3).

(ولا أدلك على أمر [لا](4) تعرفه): فأكون سبباً في الإعلام به، والتعريف بحاله.

(إنك لتعلم): عن الله وعن الرسول.

(ما نعلم(5)): من ذلك كله.

(ما سبقناك إلى شيء): من علوم الشريعة، وأحكام الدين وحزناه دونك.

(فنخبرك عنه): فيكون طريقك إلى العلم به إخبارنا عنه.

(ولا خلونا بشيء): أخذناه عن الرسول واستبددنا به.

---

(1) في شرح النهج: الهيئة.
(2) قوله: الله، سقط من (أ).
(3) في (أ): رنقه.
(4) زيادة في (ب) والنهج.
(5) في (أ): تعلم.

(1017/3)

(فنبلغكه): كما(1) سمعناه منه، وقد جمع بين ضميري المفعولين ها هنا، كما قال تعالى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا}[هود:28].

(وقد رأيت كما رأينا(2)): إما رأيت الرسول عليه السلام كرؤيتنا له، أو رأيت أفعاله وطريقه وسيرته كما رأيناها.

(وصحبت رسول الله كما صحبناه): فعليك التأسي بأفعاله، والاقتداء به كالذي علينا(3) من ذلك.

(وما ابن أبي قحافة ولاابن الخطاب): يشير إلى أبي بكر وعمر مع تقدمهما، واعترافك بالفضل لهما.

(بأولى بعمل الحق(4) منك): لأن عليك من التكليف مثل ماكان عليهما والنصيحة للأمة، وفي كلام أمير المؤ منين هذا دلالة على إتيانهما للحق وعملهما به.

وأنا أقول: اللَّهُمَّ، إني أحبهما وأتولاهما، وأبرأ إليك ممن يبغضهما، وآذنتك(5) بحبهما وتواليهما(6)، وإن كنت تعلم مني خلاف ذلك فلا تغفر لي ذنوبي(7)

---

(1) في (أ): ما.
(2) بعده في شرح النهج: وسمعت كما سمعنا.
(3) في نسخة: علمنا (هامش في ب).
(4) في شرح النهج: الخير.
(5) في (ب): وأدينك.
(6) كذا في النسختين، ولعله: وتوليهما.
(7) قال العلامة المجتهد الكبير مجد الدين بن محمد المؤيدي أيده الله في كتاب مجمع الفوائد في القسم الثاني منه ص342، طبعة دار الحكمة اليمانية – صنعاء – اليمن، (ط1) سنة1418هـ) ما لفظه تحت عنوان مع الإمام يحيى بن حمزة في الرسالة الوازعة: في صفح (13) من الرسالة الوازعة للإمام يحيى بن حمزة عليه السلام: المسلك الأول، وساق فيه إلى أن قال: ولا شك أن التكفير

والتفسيق من أعظم الأحكام، فإذا لم تكن فيها دلالة قاطعة ولا برهان: بيِّن وجب التوقف.

يقال: فلم لم تتوقف أيها الإمام كما قضيت أنه الواجب. قوله في صفح (14): وجوب الموالاة. يقال: قد سبق قوله: وجوب التوقف، وسيأتي للإمام عليه السلام في صفح (35) أن التوقف أولى، وهو لا يتفق مع هذا، وسيأتي له أن دلالة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام قاطعة، والحق فيها واحد، وأنها ليست من مسائل الاجتهاد، وأن من خالفها مخطئ لمخالفته للدلالة القاطعة، فكيف يصح مع هذا أن نبقى على الأول وهو وجوب الموالاة، وغاية ما يمكن أن المعصية محتملة للصغر والكبر، وذلك يوجب التوقف لا القطع على الصغر، إذ لا دليل عليه، ولا البقاء على الأصل لوجود الناقل عنه، فتأمل، فهذا هو الحق والإنصاف، ولا يغني جمع الروايات الباطلة الملفقة والقعقعة والإرجاف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(1018/3)

.

(وأنت أقرب إلى رسول الله وشيجة رحم منهما(1)): الوشيجة هي: القرابة المشتبكة، وإنما كان أقرب إلى الرسول؛ لأن منافاً يجمعهم، وكان له بنون أربعة: هاشم، وعبد شمس، وعبد الدار، وعبد العزى، فالرسول عليه السلام من أولاد هاشم، وعثمان من بني عبد شمس، بخلاف(2) غيره من قريش فإن بينهم بُعْداً متفاوتاً، كأبي بكر وعمر فأراد بالقرب ما ذكرناه.

(وقد نلت من صهره ما لم ينالا): أراد أنه نكح رقية بنت رسول الله وماتت تحته، خلف عليها بعد أختها أم كلثوم أيضاً بنت رسول الله، وكان يسمى ذا النورين؛ لنكاحه لبنتي رسول الله.

(فالله الله في نفسك): تحذير له عما وقع فيه، والمعنى احذر الله، واجهد في نجاة نفسك.

(فإنك(3) والله ما تبصّر من عمى): بمعنى أنت مبصر في نفسك ببصيرة العلم عن عمى الجهل، فيستحيل منّا أن نبصرّك من عماه(4)، وأراد أنك لا تبصَّر من أجل عمى.

(ولا تعلَّم من جهل): أ ي ولا أنت جاهل فتعلَّم من أجل الجهل.

(وإن الطريق لواضحة): لمن يسلكها لا لبس فيها.

(وإن أعلام الدين لقائمة): العلم: منار الطريق، وأراد بقيامها ثبوتها.

(واعلم أن أفضل عباد الله عند الله): أعلاهم حالة في الدين، وأرفعهم درجة عند الله.

(إمام عادل): لا يحيف في سيرة ولا حكم، وفي الحديث: ((إمام عادل خير من مطر وابل)).

(هُدِي): هداه الله تعالى للأعمال المرضية له.

(وهدى): غيره بإرشاده إلى الخيرات والتقوى.

(فأقام سنة معلومة): أحياها، ودعا إليها، وحمل الخلق على ملازمتها، وحثهم على فعلها مما علم من حال الرسول المواظبة على فعله، وحال غيره من الأنبياء.

---

(1) في (أ): منها، وما أثبته من (ب) و النهج.
(2) في (ب): وبخلاف.
(3) فإنك، زيادة في شرح النهج.
(4) في (ب): عمائه.

(1019/3)

(وأمات بدعة مجهولة): ما ابتدع(1) من الأمور المضادة للسنن مما يُجْهَلُ أمره، ولا يُعْرَفُ له طريق.

(وإن السنن لنيرِّة): ظاهر أمرها، بيِّنٌ حالها.

(لها أعلام): ترشد إليها، وتكون دالَّةٌ عليها.

(وإن البدع): وهو ما كان مخالفاً للدين مما قد عرف حاله من الرسول، وَرَغِبَ عنه، وحذَّرَ عن(2) مواقعته.

(لظاهرة): جليٌّ أمرها، واضحة أعلامها.

(لها أعلام): قد أوضحها الرسول، وأرشد إليها؛ من أجل اجتنابها، كما أشار إليه بقوله تعالى: {وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}[النساء:26]، يعني من(3) الأنبياء {وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا}[النساء:27] مخالفاً للحق مخالفة ظاهرة لا لبس فيها.

(وإن شر الناس عند الله): أسخفهم طريقة، وأنزلهم رتبة عنده.

(إمام جائر): عن الحق إما لظلمه للخلق حقوقهم، وأخذها على غير وجهها، وصرفها في غير أهلها، وإما جائر عن الطريق المستقيمة عند الله تعالى(4)، وعادل عنها إلى ما يخالفها من الطريق الجائرة.

(ضَلَّ): عنها باتباع هواه، وإيثار دنياه على آخرته.

(وضُلَّ به): إما اقتدي به في الضلال(5)، وإما كان سبباً في وقوع الفتن، وإثارة الشبهات والمحن والضلالات.

(فأمات سنة مأخوذة): يعمل بها، ويهتدي الخلق بهديها.

(وأحيا(6) بدعة متروكة!): نعشها بالعمل عليها، والمأخوذ عليه تركها وإهمالها وهجرها.

---

(1) في (ب): ما تبدع.
(2) عن، سقط من (أ).
(3) من، سقط من (ب).
(4) تعالى، زيادة في (ب).
(5) في (ب): الضلالة.
(6) في (ب) وشرح النهج ونسخة أخرى: وأحيا، كما أثبته، وفي (أ): فأحيا.

(1020/3)

(وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر))): يعني الذي جار على الخلق، وظلمهم الحقوق.

(((وليس معه نصير))): ينصره.

(((ولا عاذر))): يعني يعذره مما فعل.

(((فيلقى في جهنم))): أراد يرمى به فيها.

(((فيدور كما تدور الرحى))): أراد أنها تدور به.

(((ثم يرتبط في قعرها)))(1): وأراد بذلك أنه يشدُّ في قعرها، أخذاً من قولهم: ربطته إذا شددته، أو أنه يلازم قعرها، من قولهم: رابطت كذا إذا لازمته، ومنه رباط الخيل.

(وإني أنشدك الله): أي أسألك بالله كأنك ذكَّرته إياه، قال الأعشى:

رَبِّي كريمٌ لا يكدِّرُ نعمةً

وإذا تِنُوشِدَ في المهارقِ أنشدا(2)

والمهارق: الصحف.

(أن تكون(3) إمام هذه الأمة المقتول): الذي يقتل من الخلفاء، يكون أول قتيل في الإسلام فيهم.

([فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام] (4) يفتح عليها القتل): إهراق الدماء على غير وجهها.

(والقتال): المحاربة وإثارة الفتن والحروب.

(إلى يوم القيامة): وتكون الفتنة به باقية إلى هذا اليوم.

(ويَلْبِسُ عليها أمورها): لما(5) يقع في قتله من اللبس.

(ويبث الفتن فيها): ينشرها في جميع الأقطار والأقاليم.

(1) انظر تأريخ الطبري 645/2، وصدر الحديث وهو قوله: ((يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 10/11، وعزاه إلى البداية والنهاية لابن كثير 168/7.

(2) انظر أساس البلاغة: ص 456، ولسان العرب 635/3.

(3) في (أ): يكون، وما أثبته من النهج.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (أ) وهو في (ب) وفي شرح النهج.

(5) في (ب): بما يقع في قلبه من اللبس.

(1021/3)

(فلا يبصرون الحق من الباطل): لا يميزون باطلاً من حق بل يكون الحق ملتبساً بالباطل، لا خلاص له منه أبداً؛ لأجل ما وقع بينهم من الالتباس، واختلاط(1) وإيثار الأهواء.

(يموجون فيها موجاً(2)): يضطربون في الآراء اضطراباً عظيماً، كاضطراب الأمواج بعضها ببعض، من كثرة الاختلاف والمنازعة.

(فلا تكوننَّ لمروان سيِّقة): السيقة: ما استاقه العدو، وأخذه من البلد من الدواب، أي لا تكن منقاداً له في أمره يصرِّفك على رأيه كيف شاء، وأراد ابن عمه مروان بن الحكم، وكان مساعداً له في الآراء.

(يسوقك حيث شاء(3)): من آرائه(4) الرديئة، وقصوده في الإسلام والدين الخبيثة، وكان فاجراً أحمق.

(بعد جُلاَل السن): كبره، من قولهم: جلّت الناقة إذا كبر سنها.

(وتقضّي العمر): نفاده وزواله.

فقال له عثمان: (كلِّم الناس في أن يؤجِّلوني، حتى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال أمير المؤمنين:

(ما كان بالمدينة): يعني من المظالم التي أخذها(5) على الناس.

(فلا أجل فيه): بل ينبغي توفيره(6) على أهله لقربه، وانفصال الأمر فيه.

(وما غاب): بأن كان في جهات متباعدة.

(فأجله وصول أمرك إليه): بلوغ الكتب، والرسل بإعطائه أهله، وقبضه ممن يستحقه من أربابه.

واعلم: أن هذه الخطبة قد اشتملت على نوعين من أنواع البديع نذكرهما:

---

(1) في (ب): والاختلاط.

(2) بعده في شرح النهج: ويمرجون فيها مرجاً.

(3) في (ب): يشاء.

(4) في (ب): إراداته.

(5) في (ب): أخذتها.

(6) وفَّر عليه حقه توفيراً واستوفره أي استوفاه. (مختار الصحاح ص730).

فالنوع الأول: يسمى الطباق، وهو ذكرالنقيضين معاً، وهذا كقوله: (أفضل عباد الله)، مع قوله: (أشر عباد الله)، وقوله: (جائر) مع قوله: (عادل)، وقوله: (أحيا سنة) مع قوله: (أمات بدعة)، وقوله: (مجهولة) مع قوله: (معلومة)، وقوله: (هدى) مع قوله: (ضلَّ) فهذه الأمور كلها تكافؤ و(1)طباق.

النوع الثاني: الاستطراد، وهذا كقوله: (وإن الطريق لواضح(2)، وإن أعلام الدين لقائمة) بعد ذكره حال عثمان، فإنه لا تعلق له بالأول، وإنما وسَّطه على جهة الاستطراد.

(155) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فها عجيب خلقة الطاؤوس

(ابتدعهم خلقاً عجيباً): اخترع هذه الأشكال المتنوعة، والمكونات المختلفة على تقديرات عجيبة، وتأليفات محكمة.

(من حيوان): حساس متحرك بالإرادة، له أوصال وحس وإدراك.

(وموات): لا حياة فيه كالأشجار النامية، والأحجار والجبال وسائر الجمادات.

(وساكن): لا يزول عن موضعه، ولايباين مكانه كالصخور العظيمة.

(وذي حركات): وذي قدرة يتحرك بها، ويتصرف في منافعه.

(وأقام من شواهد البينات): أي أوجد من الحجج الواضحة، والأدلة الظاهرة.

(على لطيف صَنعَتِهِ): غامضها، ودقيقها.

(وعظيم قدرته): باهرالقدرة.

(ما انقادت له(3) العقول): أذعنت، وأطاعت لجلاله.

(معترفة به): متحققة له.

---

(1) في (ب): أو.

(2) في (ب): لواضحة.

(3) له، سقط من (ب). .

(ومسلِّمة له): مستسلمة، كما قال تعالى: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً}[آل عمران:83]، والضمير في قوله: (به)(1)(وله) راجع إما إلىقوله: (ما انقادت له) أي انقادت له عالمة به ومنقادة له، وأراد الأدلة الظاهرة، وإما إلى الله تعالى، والمعنى منقادة لله ومستسلمة له بما أظهر من البراهين القاطعة.

(ونَعَقَتْ في أسماعنا دلائله): النعيق(2) هو: الصوت الذي لا يفهم، ومنه نعق الراعي بغنمه، إذا صاح لها(3)، وأراد أنها بمنزلة من يهتف بأن لها فاعلاً ومدبِّراً، فهي دالّةٌ:

(على توحيده(4)): أنه واحد لاثاني له يشاركه في الخلق والإبداع.

(وما ذرأ من مختلف صور الأطيار): ما هذه موصولة، وهي معطوفة على قوله: (ما انقادت له العقول) وهما في موضع نصب على المفعولية لأقام، والذري(5): الخلق، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً}[الأعراف:179]، والذري: البثُّ، ومنه ذرأ الْحَبَّ إذا وضعه في الأرض، قال الشاعر:

شققت القلب ثم ذرأت فيه

هواك فَلِيْمَ والتأم الفطور (6)

واختلاف صورالطير ما فيها على اختلاف أنواعها من صغيرلا يدرك بالحس إلا عند تحركه، ومن كبير يعظم حجمه، وما بين ذلك.

(التي أسكنها أخاديد الأرض): الأخاديد: جمع أخدود، وهو: الشق المستطيل في الأرض، قال الله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ}[البروج:4] لأنها إنما تسكن حيث تستقر وتمكَّن من إحراز منافعها واستراحتها من ذلك.

---

(1) به، سقط من (أ).

(2) في (أ): النعق.

(3) في (ب): بها.

(4) في شرح النهج: وحدانيته.

(5) في (أ): والذرء.

(6) لسان العرب 1158/2 بدون نسبة لقائله، وقوله: (ذرأت) في اللسان: (ذررت).

(وخروق فجاجها): الفجاج: جمع فجٍّ وهو الطريق الواسع بين جبلين، قال الله تعالى: {مِنْ كُلِّ فَجّ عَمِيقٍ}[الحج:27]، وأراد المخارق التي تكون في الجبال فإنها كثير ما تكون مساكنها فيها تحصيناً عن الأذى، وترفعاً عن كل مخافة.

(ورواسي أعلامها): الرواسي هي: الجبال، قال الله تعالى: {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا}[فصلت:10]، والضمير للأرض، والرواسي هي: الأعلام، وهومن باب إضافة الصفة إلى موصوفها، كقولهم: جائبة خير، على تأويل رواسي مواضع أعلامها.

(من ذوات(1) أجنحة مختلفة): من ها هنا لبيان الجنس، واختلاف الأجنحة: في حجمها وألوانها وطولها وقصرها، وغير ذلك من الاختلاف(2).

(وهيئات متباينة): في ألوانها لا تشبه بعضها بعضاً ولا تتماثل.

(مصرَّفة): مختلفة أحوالها.

(في زمام التسخير): الزمام: الخيط الذي يوصل في أنف الجمل، وجعل هذا كناية عن عظم الاحتكام لأمرالله تعالى، والانقياد لأمره، والتسخير: التذليل(3)، كما قال تعالى: {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ}[ص:36]، وقوله: {مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ}[الأعراف:55].

(ومرفرفة بأجنحتها): رفرف الطائر بجناحيه حول الشيء(4) يريد أن يقع عليه، والرفرفة هو كسر الجناح للوقوع:

(في مخارق الجوِّ المنفسح): الفسيحة(5) خلاف الضيق، وأراد الواسع من ذلك، وأراد متنفسات الجوِّ(6) الفسيحة.

---

(1) في شرح النهج: ذات.

(2) من الاختلاف، سقط من (ب).

(3) في (أ): التذلل.

(4) في (أ): الصبي، وهو غامض، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(5) في (ب): الفسحة.

(6) في (ب): متنفسات الجو المنفسح الفسيحة.

(1025/3)

(والفضاء المنفرج): الفضاء: المكا ن الخالي، والمنفرج هو: المنكشف الظاهر، يقال: رجل فرج، وهو الذي لا يزال يكشف عورته.

(كوَّنها بعد إذ(1) لم تكن): خلقها بعد أن لم تكن مخلوقة أي أنشأها من العدم، والمعنى خلقها بعد

زمان كانت غير كائنة فيه.

(في عجائب صور ظاهرة): حال من الضمير في خلقها، أي قدَّرها في تراكيب معجبة لمن رآها وتأمَّلها.

(وركَّبها في حِقَاق مفاصل محتجبة): الحِقَاقُ هي: الأشياء الصغيرة، ويقال للرجل إذا خاصم في الأشياء الصغيرة: إنه لنزق الحقاق، والمعنى أنه ألفَّها في مفاصل مستصغرة مستترة عمَّن يراها وينظر إليها لصغرها.

(ومنع بعضها بِعَبَالةِ خلقه): رجل عبل الذراعين، إذا كان ضخمهما، وفرس عبل الشَّوى غليظ القوائم، وأراد أنه أكبر بعض أجسامها، وضخَّمه فحجزه عن:

(أن يسمو في السماء خُفُوفاً): فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون بالفاء، من قولهم: خف في حاجته إذا أسرع فيها، وأراد علوها على الأرض، وسموها في الجوِّ مسرعة.

وثانيهما: بالقاف، من قولهم: خفق الطائر إذا طار، وخفق إذا حرَّك جناحيه، والمعنى أنه منعها لضخامة أجسامها عن التحليق(2) في جوِّ السماء.

(وجعله يَدِفُّ دَفيفاً): دفَّ الطائر إذا دنا في طيرانه إلى الأرض كالنسر، وما أشبهه في الكبر والفخامة.

(ونسقها على اختلافها في الأصابيغ): نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض ورصفه، وأراد ها هنا أنه ضمَّ إلى كل صبغ ما يليق به وتروق نضارته من مخالفه أو مماثله ويحسن في أعين النظار.

(بلطيف قدرته): على فعل ذلك.

(ودقيق صنعته): على إحكامه وإتقانه(3)، والأصابيغ: جمع أصباغ، جمع صبغ، وهي الألوان المختلفة.

---

(1) في (ب): أن.

(2) في (ب): التحلق.

(3) في (ب): وإيقاعه.

(فمنها): الضمير للطيور.

(ما هو مغموس في قالب لون): غمسه في الماء فانغمس، إذا غطسه فيه، وأراد أن منها ما هو

شامل له لون صرف من بياض خالص يَقق(1)، وهي طيورتكون بتهامة كأنهنَّ قطع العُطْبِ(2) في البياض، أو سواد خالص كالغراب وماشاكله فهذه مختصة بلون خالص.

(لا يشوبه): يختلط به.

(غير لون ما غُمِسَ فيه): من سواد أو بياض.

(ومنها ما هو مغموس): مغطوس.

(في لون صبغ): من الأصابيغ المختلفة.

(قد طُوِّق): جعل له طوقاً في عنقه.

(بخلاف ما صبغ به): كالحمام، والقمري، والحجل، والقطا، وغير ذلك من ذوات التطويق بألوان تخالف سائر ألوانها.

(ومن أعجبها خلقاً): أبدعها في الخلق، وأغربها في الإحكام والصنعة:

(الطاؤوس): وهو نوع من أنواع الطير، وطاؤوس أيضاً مخنث كان بالمدينة، وفي المثل: أشأم من طاؤوس(3).

ويحكى عنه أنه قال: يا أهل المدينة، توقعوا خروج الدجال ما دمت حياً(4) بين أظهركم، فإذا متُّ فقد أمنتم؛ لأني ولدت في الليلة التي مات فيها رسول الله، وولد لي في اليوم الذي قتل فيه أمير المؤمنين، وفطمت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر، وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وكان يسمى عبد النعيم.

وقال في نفسه:

إنَّني عبد النعيم

أنا طاؤوس الجحيم

أنا أشأم من يمشي

على ظهر الحطيم(5)

---

(1) يقق أي شديد البياض ناصعه.

(2) في (أ): العطف، وهو تحريف.

(3) في لسان العرب: أشأم من طويس.

(4) حياً، سقط من (ب).

(5) انظر لسان العرب 624/2.

(الذي أقامه في أحكم(1) تعديل): أراد ركَّبه في قوامه واعتداله على أعدل صورة وأعجبها، ولم يجعله من الطير الصغار فَيُسْتَحْقَرُ وتزدريه الأعين، ولا جعله من الطيرالعظيمة الخلق فيجفو وَيُسْتَشْنَعُ، كما قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين:4]، إشارة بذلك إلى قوام الخلق وتعديله في تسوية الأعضاء وتركيبها أحسن تركيب مطابقة لأحكام المنفعة.

(ونضَّد ألوانه): جعل بعضها على بعض، من قولهم: نضَّد متاعه إذا جعل بعضه على بعض، أي رصَّف ألوانه مزج بعضها ببعض، وقوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}[الواقعة:29]، أي أن ثمره نضد من أسفله إلى أعلى، فليس له ساق ظاهرة.

(في(2) أحسن تنضيد): أعجب ترصيف(3) لما يظهرفيها للأعين من الرقة واللطافة وعجيب المرآى.

(بجناح أشرج): الباء هذه متعلقة إما بنضَّد، ويكون من جملة التنضيد حسن الجناح، وإما بأحكم ويكون من جملة الإحكام أيضاً، وكله جيد، وتعلقها تعلق الأحوال أي موصولاً بجناح أشرج، فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون بالشين بثلاث من أعلاها، أي منضد مرصوف، من قولهم: لبن أشرج، وشرجت اللبن إذا نضَّدته.

وثانيهما: أن يكون بالسين بثلاث من أسفلها أي بجناح حسن، من قولهم: أسرج الله وجهه إذا حسَّنه، وكلاهما محتمل ها هنا؛ لأن قصب ريشه وقوائمه مستوية منضودة، وهي(4) أيضاً في غاية الحسن والنضارة.

(قصبه): إما نضَّدها وإما حسَّنها ، كما ذكرنا من التفسيرين في أشرج.

(وذَنَبٍ أطال مسحبه): أي أطاله فهو يجرُّه على الأرض ويسحبه عليها من طوله.

---

(1) في شرح النهج: أحسن.

(2) في، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(3) في (أ): رصف.

(4) في (ب): وهو.

(إذا درج على(1) الأنثى): لأن يسفدها(2).

(نشره من طيِّه): من ها هنا لابتداء الغاية، وأراد نشره بعد أن كان مطوياً مضموماً إلى جوانحه.

(وسما به): قوّسه ورفعه.

(مُطلاً على رأسه): إما مشرفاً على رأسه، من قولهم: أطل برأسه إذا أشرف به بالطاء بنقطة من أسفلها، وإما بالظاء بنقطة من أعلاها، من قولهم: أظل رأسه إذا جعل عليه الظلة، وأراد أنه إذا نشره من طيه أشرف على رأسه إذا جعله كالظلة يستظل به من حرِّ الشمس.

(كأنه قَلْعُ داريَّ): القلع: شراع السفينة، وهو شيء يستعمل من الحصير يرد الريح عن النفوذ في جهتها تجري بها السفن، ودارين: فرضة(3) بالبحرين يحمل إليها المسك من ناحية الهند(4)، وتؤخذ منها هذه الأقلاع للمراكب في البحر.

(عَنَجَه نوتيُّهُ): والنوتيَّ هو: الملاح، وعنجه إذا عطفه؛ لأن الشِّراع إذا كان مطوياً ثم نشره [يرد(5) الريح عن صوب جريانها النوتي، فقد عطف ما كان منه مطوياً إلى نشره] (6) وبسطه.

(يختال بألوانه): اختال الرجل إذا كان ذا خيلاء وكبر(7)، قال الشاعر:

فإن كنت سيدنا سُدتَنا

وإن كنت للخال فاذهب فَخَلْ(8)

---

(1) في شرح النهج: إلى.

(2) أي يجامعها أو ينزو عليها.

(3) في (أ): فريضة، و في (ب): قرية، وما أثبته من نسخة أخرى، ومن شرح النهج.

(4) انظر لسان العرب 1033/1.

(5) في نسخة أخرى: لرد.

(6) ما بين المعقوفين سقط من (أ).

(7) في (أ): وكثر، وهو تصحيف.

(8) في (أ): فجل، والبيت في لسان العرب 931/1 بدون نسبة إلى قائله.

(1029/3)

أي إن كنت سيدنا فعلت ما تقتضيه السيادة من التواضع والرفق بنا(1)، وإن كنت متكبراً فاذهب عنا، والباء هذه للحال أي يختال متلوناً.

(ويميس بِزَيْفَانه): يميل جانبيه متبختراً، والزيفان: التبختر، والباء للحال أيضاً، إذا أراد سفاد أنثاه:

(يفضي كإ فضاء الديكة): يباشرها مباشرة الديكة ويخالطها مثل تلك المخالطة، من قولهم: أفضى الرجل إلى امرأته إذا باشرها وخالطها.

(ويأرُّ بملاقحه أرَّ الفحول المغتلمة للضِّرابِ(2)): الأرَّ: النكاح، وأرَّ المرأة يأرُّها إذا نكحها، ولقحت الناقة إذا حملت، واغتلم الفحل إذا هاج للضراب، والمعنى في هذا أنه ينكح فتلقح أنثاه، كما تفعله الفحول من الإبل، ويغتلم كاغتلامها وهياجها على أنثاه.

(أحيلك): من قولهم: أحال غريمه بالدين.

(من ذلك): الإشارة إلى المذكور(3) من عجائبه وغرائبه.

(على معاينةٍ): ما تشاهده من تلك المعاني الظاهرة، والإحكامات الباهرة، في خلقه ولونه.

---

(1) في (أ): والرفع، و في (ب): والدفع، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) قوله: للضراب، زيادة في شرح النهج.

(3) في (أ): المذكورة.

(1030/3)

(لا كمن يحيل على ضعيف إسناده): ليس كمن يحيل على خبر يضعف إسناده، ويكذب مخبره(1)، و((ليس الخبر كالعيان))(2)، وأراد أحيلك في كونه ملقحاً لأنثاه كإلقاح الفحول على ما يشاهد(3) من حاله ويدرك بالبصر لا كمن يقول خلاف ذلك.

(ولو كان كزعم من يزعم أنه يُلْقح بدمعة تسفحها): يفيضها.

(تنشجها(4) مدامعه): تظهرشيئاً بعد شيء.

(فتقف في ضفتي): الضفة بالضاد بنقطة هي: جانب النهر.

(جفونه): جفن العين: غطاؤها.

(وأن أنثاه تطعم ذلك ثم تبيض): تأخذه من جفن عينيه بمنقارها ثم تبيض من ذلك.

(لا من لقاح فحل سوى الدمع المنبجس): الظاهر من جفونه، من قولهم: انبجس الجرح إذا ظهر قيحه.

---

(1) في (ب): ويكون الخبر دون مخبره.

(2) في (أ): على العيان، والصواب كما أثبته من (ب)، وقوله: ((ليس الخبر كالعيان)) هو لفظ حديث نبوي شريف رواه العلامة الحجة المجتهد الكبير مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار 228/3 في سلسلة الإبريز رقم (1) بلفظ: ((ليس الخبر كالمعاينة))، وقال في تخريجه: أخرجه

أحمد بن حنبل في مسنده، والطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك، والخطيب عن أنس، وعن أبي هريرة، وابن عباس. انتهى.

(3) في (ب): على ما نشاهد من حاله وندرك بالبصر.

(4) تنشجها، سقط من (ب)، ومن شرح النهج، وهو في (أ) وفي نسخة أخرى.

(1031/3)

(لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب): أراد أن إلقاحه لأنثاه إنما هو بما ذكرناه كإلقاح الفحول المغتلمة بإيلاج ذلك منه في ذلك منها، وهذا هو الظاهر من حاله، ثم لو سلمت خلاف ذلك وليس بأعجب من مطاعمة الغراب لأنثاه، وفي الإتقان والصنعة ودقيق الحكمة فإنه يقال: إن الغراب لا يبيض ولا يفرخ إلا بالمطاعمة دون السفاد، وصورتها أن يدخل أحد الغرابين منقاره في منقار الآخر، كأنه يزقُّه(1) فتلقح الأنثى من أجل ذلك وتبيض.

(تخال قصبه): أصول ريشه التي تتصل بها صفائح الريش عن(2) يمينها وشمالها.

(مَدَارِيَ من فضة(3)): الْمِدْرَى: شيء تصلح به الماشطة قرون النساء يشبه الْمِسَلّة(4) من فضة في بياضها، ودقتها واستطالتها.

(وما أنبت عليها): الضمير للقصب أي وما استقر عليها.

(من عجيب دَارَاتِهِ): تدويرالنقوش.

(وشموسه(5)): ما بين دارة خضراء ودارة حمراء.

(خالص العقيان): مفعول ثاني ليخال، والعقيان: ما وجد من الذهب خالصاً عن الخلط والغش.

(وفلذ): جمع فلذة، وهي: القطعة الواحدة من اللحم والكبد.

(الزبرجد): من أنواع الجواهر، يريد ما كان منه في تلك الدارات [أحمر فهو يشبه الذهب الأحمر، وما كان منها أخضر فهو يشبه الزبرجد هذا إذا](6) شبه بهذه الأحجار الجوهرية.

(فإن شبَّهته بما أنبتت الأرض): من أزهارها ونباتها.

(قلت: جنيٌّ جُنِي): هذا زهر جني، أخذ:

---

(1) أي يطعمه بِفِيْهِ.

(2) في (أ): على.

(3) قوله: فضة، سقط من (ب).

(4) المِسَلّة بالكسر: الإبرة العظيمة، وجمعها مسالّ.

(5) في (أ): وشوسه، وفي (ب) والنهج: كما أثبته.
(6) ما بين المعقوفين، سقط من (أ).

(1032/3)

(من زهرة كل ربيع): في رونقه وغضارته، وحسن بهجته وطلاوته، ما بين أحمر قاني وأخضر ناضر، هذا إذا شبَّهته بهذه النباتات الأرضية، والزهور الوردية.
(وإن ضاهيته بالملابس): بما يلبس من رقيق الثياب وغاليها، والمضاهاة: المشابهة.
(فهو كموشِيِّ الحلل): المخلوط بالألوان المختلفة، و الصباغات الأنيقة، والحلل: جمع حُلَّة وهو شيء من رقيق الثياب الحريرية وأغلاها.
(أو مُونِقِ(1) عَصْبِ اليمن): المونق: المعجب، والعصب: ضرب من برود اليمن بيض، ولهذا يقال في قطع السحاب البيض: عصب، هذا إذا ماثلته بهذه الثياب الموشية.
(وإن شاكلته بالحلي): بما يصنع من أنواع الحلي المركبة.
(فهو كفصوص ذات ألوان(2)): قطع من الجوهر(3).
(قد نُطِقَت): أدير حولها وجعلت في الوسط.
(باللجين المكلل): بالفضة، والمكلل: المحفوف، يقال: روضة مكللة أي محفوفة بالأنوار، فانظر إلى هذه التشبيهات ما أرقَّها، وأكثرها ملاءمة لما شبِّهت به وأوقعها مما قرنت منه، وحقيقة التشبيه هو: إنما يقع بين مشتركين في معنى واحد أو معاني(4)، وليس المرادمن ذلك الاجتماع في كل المعاني إذاً لكانا شيئاً واحداً، وقد أكثر الله التشبيهات في كتابه الكريم، كقوله تعالى: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ}[الصافات:49]، وأراد في الصفاء والرِّقة، وقوله: {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}[الطور:24]، وقوله تعالى: {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}[النور:35]، وقوله: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}[الرحمن:58]، وله قدم راسخة في البلاغة.

---

(1) في شرح النهج: أو كمونق.
(2) ذات ألوان، زيادة في شرح النهج.
(3) في (ب): الجواهر.
(4) في (ب): أو معانٍ.

(1033/3)

(يمشي(1) مشي المَرِح المختال): يخطر إذا مشى خطور الفرح النشيط(2) المتبختر والمرح هو: النشاط والسرور، قال الله تعالى: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً}[الإسراء:37].
(ويتصَّفح ذَنَبَهُ وجناحه(3) فيقهقه): القهقهة: الاستغراق في الضحك، قال رؤبة:
أَقَبٌّ قهقاه إذا ما قهقها(4)

أراد أنه إذا ما نظر في جناحه وَذَنَبِهِ أغرق في الضحك والقهقهة.
(ضاحكاً): حال من الضمير في قهقه إعجاباً وسروراً.
(بجمال(5) سربِاله): تفسير لتصفحه لِذَنَبِهِ.
(وأصابيغ وشاحه): تفسير لتصفحه لجناحه، نزَّلهما عليه السلام منزلة السربال، والوشاح: من الملبوسات، والوشاح: طوق ينسج من الأدم يرصَّع بالجواهر واللآلئ وأنواع الياقوت، تشدُّ به المرأة ما بين العاتق والكشح(6).
(فإذا رمى ببصره إلى قوائمه): طلع إلى رجليه ونظر إليهما وتصفحهما لما(7) تصفح جناحه وذنبه.

______

(1) في (ب): ويمشي.
(2) في (أ): المنشيط.
(3) وجناحه، زيادة في (ب) وشرح النهج.
(4) البيت في لسان العرب 181/3 وصدره:
جدَّ ولا يحمدنه أن يلحقا_ ... _ورواية الشطر الثاني الذي أورده المؤلف هنا في اللسان:
أقبُ قهقاه إذا ما هقهقا
(5) في شرح النهج: لجمال.
(6) العاتق: موضع الرداء من المَنْكِب يذكر ويؤنث، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف. (مختار الصحاح ص572،411).
(7) في نسخة أخرى: كما.

(1034/3)

(زقا مُعْولاً): صاح، تقول: زقا الديك يزقو زقاً إذا صاح، وهو بالزاي والقاف، ومنه المثل: أثقل من الزواقي(1) وهي الديكة؛ لأنها تفرّق السُّمار عند صياحها؛ لأنهم كانوا يسمرون فإذا صاحت تفرَّقوا، والإعوال: رفع الصوت، وفي الحديث: ((المعول عليه يعذب))(2).
(بصوت): يعني صوتاً حزيناً لما يلحقه من الغمِّ برؤيتها.

(يكاد يُبِينُ عن استغاثته): يطلب الاستغاثة عن أن تكون متصلة به، وتكون بعض أطرافه لمخالفتها لسائر جسمه.

(ويشهد بصادق توجعه): بأسفه(3) على ذلك.

(لأن قوائمه): رجليه الذي يقوم عليهما.

(حمش): دقاق، وامرأة حمشاء إذا كانت دقيقة الساقين.

(كقوائم الدِّيَكَةِ الخلاسيَّة): قيل: الهندية، وقيل: الخراسانية، وهو ضرب من الدِّيَكَةِ على هذه الهيئة.

(وقد نجمت): أي ظهرت، يقال: نجم قرن الماعز إذا بدا وظهر.

(من ظُنْبُوب ساقه): الظنبوب هو: العظم اليابس في قدم الساق.

(صِيصِيَة خفِّيه): الصيصية هي: شوكة الحائك، وصيصية الديك هي: شوكة رجله.

(وله في موضع العُرف): موضع العرف هو: الرقبة من الفرس، وأراد ها هنا مؤخر الناصية، وسماه عُرفاً لاتصاله بالناصية.

(قُنْزَعةٌ): شعر ملتف.

(خضراء): لونها أخضر كأنها زبرجدة.

---

(1) النهاية لابن الأثير 307/2، وفي لسان العرب 65/2: ويقال: فلان أثقل من الزاووق.

(2) نهاية ابن الأثير 321/3، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي 680/8، وعزاه إلى مسلم في كتاب الجنائز 21، ومسند أحمد بن حنبل 39/1، والسنن الكبرى للبيهقي 71/4، وإصلاح خطأ المحدثين للخطابي 18، وكنز العمال رقم (42467)، وهذا الحديث فيه نظر لتعارضه مع قول الله تعالى: {ولا تزر وازرة وزر أخرى}.

(3) في (ب): تأسفه.

(1035/3)

(موشَّاة): مخلوطة بأنواع الأصابيغ تميل إلى الخضرة.

(ومخر ج عنقه كالإبريق): لشدة مغرزه وحسن قوامه، شبهه بالإبريق في طوله واستقامته، والإبريق هو: إناء من صُفْر(1) أو غيره طويل الرقبة.

(ومغرزها إلى حيث بطنه): أراد أنها ظاهرة، والضمير للعنق لأنه مما يذكَّر ويؤنث، وهي(2) ملتصقة ببطنه:

(كصبغ الوسمة اليمانية): الوسمة بالسين بثلاث من أسفلها وكسرها، هي: صبغ أسود يقال له: العظلم، وأراد ها هنا أن أصل العنق أسود يشبه هذا الصبغ.

(أو حريرة(3) ملبسة مرآة ذات صقال): أو قطعة من حرير قد وضعت على مرآة(4) صقيلة قد أزيل طخاها فهي في غاية الصقالة.

(وكأنه متقنّع(5) بمعجرٍ أسحم): التقنع: لبس القناع، وأراد أنه لما يلحقه من السواد في عنقه كأنه لابس لمعجر أسود، والسحمة هي: السواد، قال الأعشى:

رضيعي لبان ثدي أمٍ تخالفا

بأسحم داج عوض لا يتفرق(6)

والقناع: ما تغطي به المرأة رأسها وهو أوسع من المِقْنَعُه.

(إلا أنه يخَّيل لكثرة مائه): استثناء منقطع، أي لكن التخيل حاصل من أجل ما يلحقه من كثرة الماوية والرونقة، والضمير للطاؤوس.

(وشدة بَرْيِقهِ): لمعانه.

(أن الخضرة الناضرة): الخالصة(7).

---

(1) الصفر: النحاس.

(2) في (أ): وهو.

(3) في (ب)، وشر ح النهج: أو كحريرة.

(4) في (أ): امراه، وهو خطأ.

(5) في شرح النهج: متلفع.

(6) البيت أورده الزمخشري في أساس البلاغة ص 165 بلفظ:

رضيعي لبان ثدي أمٍ تقاسما

بأسحم داج عَوْضُ لا نتفرق

_ ... _وقبله:

تُشَبُّ لمقرورين يصطليانها

وبات على النار الندى والمحلَّق

(7) في (أ): الحاصلة.

(ممتزجة به(1)): بسواد، وأراد أن الخضرة لما يلحقها من المائية، وشدة الرونقة ربما يظنُّ الظانُّ والرائي لها أنها ممتزجة بسواد، ولهذا قال:(كأنه متقنع بمعجر أسحم) يشير إلى ذلك.

(ومع فتق أذنه(2)): ويصاحب شق أذنه.

(خط كمستدق(3) القلم): خط دقيق يشبه جري(4) القلم في دقته.

(في لون الأُقْحوان): وهو شجر طيب الرائحة مشتمل على لونين، فالظاهر منه ورق أبيض شديد البياض، ووسطه أصفر شديد الصفرة، يغلو في التشبيه [به](5) الشعراء في لونيه، وأراد هاهنا ورقه الظاهر، ولهذا قال:

(أبيض يقق): شديد البياض.

(فهو في بياضه(6) في سواد ما هنالك): يعني فالخط بما يلتصق به من البياض فيما يقترن به من سواد الرقبة المجعول فيها، وهنالك إشارة إلى الأمكنة.

(يأتلق): أي يلمع، ومنه تألق البرق هو: لمعانه، أي يلوح سواده مع بياضه.

(وقلَّ صِبغ): من جميع ألوان الأصباغ كلها.

(إلا وقد أخذ منه بقسط): أخذ منه بعضاً، [والاستثناء](7) هذا مفرغ في الصفات الجملية، كقولك: ما جاءني زيد إلا وهو ضاحك، قال الله تعالى: {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا(8) مُنذِرُونَ}[الشعراء:208] ويرد(9) في المفردات، كقولك: ما جاءني زيد إلا ضاحكاً.

(وعلاه): وزاد عليه باختصاصه.

---

(1) به، زيادة في النهج.

(2) في نسخة أخرى وشرح النهج: سمعه.

(3) في (أ): كمشدق، والصواب ما أثبته من (ب) والنهج.

(4) في نسخة أخرى: حرف.

(5) سقط من (أ).

(6) في (ب) وشرح النهج: فهو ببياضه.

(7) سقط من (أ).

(8) ورد في النسخ هكذا: {إلاَّ ولَهَا مُنذِرُونَ} بزيادة واو بعد إلا، وفي المصحف كما أثبته.

(9) في (أ): وفرد، وما أثبته من (ب)لوضوحه.

(بكثرة صِقَاله وبَرِيْقهِ): بما(1) يلاصقه من تلهبه بكثرة الصقال، وما يلوح فيه من البريق.

(وبصيص ديباجه ورونقه): نور جماله وحسنه، وما يظهرفيه من الطلاوة والنضارة المعجبة، فهو كا لديباج من الحرير المخلوط في نسجه(2) باللجم المختلفة.

(فهو كالأزاهير المبثوثة): المتفرِّقة من أنواع مختلفة غضَّة طريَّة ناعمة.

(لم تُرَبِّها أمطار ربيع): الريب: ما رابك من كل أمر، وأراد أنها لم تغيِّرها عمَّا لحقها من النعومة والطلاوة أمطار الربيع فتغيرها عن حالتها؛ لمايلحقها من برد وعصف ريحه.

(ولا شموس قيظ): ولا لحقها(3) ذبول بسبب حرشمس القيظ، وهو أشد ما يكون من حرارة الشمس في القيظ، وأراد أنها لصفائها وعظم رونقها تشبه الأزهار عند خروجها من أكمامها، لم يلحقها تغيِّر في حال.

(وقد ينحسر من ريشه): يزول، من قولهم: حسر عن وجهه اللثام إذا أزاله .

(ويَعْرَى من لباسه): ويسقط عن أن يكون لباساً له أو يكون متصلة به.

(فيسقط تترى): إما فَعَلَى من التواتر، وتاؤها بدل من واو، وانتصابها على الحال، وإما تَفْعَل وتكون التاء زائدة، وأراد أنها تسقط واحدة بعد واحدة.

(وتنبت(4) تباعاً): تنشر (5) متتابعة.

(فينحتُّ من قصبه): أراد أنها ملصقة بقصب الريش، وهو العمود الذي يكون في وسطها، فيزول منها بالسقوط.

(انحتات أوراق الأغصان): يعني كما تسقط الورقة من غصن الشجرة إذا عرض لها عارض يوجب انحتاتها.

(ثم يتلاحق نامياً): ثم يتدارك ما سقط بأن ينمو عوضه، ويخلفه غيره.

(حتى يعود كهيئته قبل سقوطه): في التمام والكثافة والإعجاب.

---

(1) في (ب): لما.

(2) في (ب): شنجه.

(3) في (ب): ولا يلحقها.

(4) في (ب) وشرح النهج: وينبت.

(5) في (ب): تنتثر .

(لا يخالف سائر(1) ألوانه): عند بدوه واستكماله في(2) النبات.

(ولا يقع لون في غير مكانه): فيؤدي ذلك إلى الاختلاف والتباين.

(وإذا تصفَّحت شعرة من شعرات قصبه): بالنظرالصحيح والفكر الصافي.

(أرتك): إسناد الرؤية إليها مجاز، والغرض رأ يت عند إبصارك لها.

(حمرة وردية): تشبه لون الورد في اختلاط حمرتها ببياض مثل لون الورد، أو حمرة قانية(3) لا لبس فيها بغيرها مثل لون الورد الأحمر.

(وتارة خضرة زبرجدية): مثل لون الزبرجد وهو: نوع من أنواع الجواهر(4) شديد الخضرة.

(وأحياناً صفرة عسجدية): العسجد هو: الذهب، وأراد أنها تشبه لون الذهب في اصفرارها، فهذه الألوان كلها حاصلة في ريشة واحدة من ريشه، فإذا صوبت النظر وقررت البصر إلى واحد من هذه الشعرات، أرتك هذه الألوان لإقبالك عليها، ووجودها كلها في الشعرة الواحدة.

(وكيف(5) تصل إلى صفة هذا): الطير من الحيوانات.

(عمائق الفطن): عميق الشيء: قعره وأقصاه، والفطنة: الفهم.

(أو تبلغه قرائح العقول): والقريحة: جودة الطبع، وصفاء الذهن، وصحة الغريزة.

(أو تستنظم وصفه): تطلب نظمه وتأليفه.

(أقوال الواصفين): على ما اشتمل عليه من هذه البدائع، واستولى عليه من هذه الحكم.

(وأقل أجزائه): شعرة من شعرات ريشه.

(قد أعجز الأوهام): العقول التي هي طريق للوهم.

(أن تدركه): تقع على(6) كُنْهِ حقيقته.

(والألسنة أن تصفه): بالأقوال وتحرز كُنْه أوصافه، وإذا كان بعض أجزائه غير مدركة حقيقة، فمجموعها(7) أبعد عن ذلك.

---

(1) في شرح النهج: سالف.

(2) في، سقط من (أ).

(3) أي شديدة الحمرة.

(4) في (أ): الجوهر.

(5) في شرح النهج: فكيف.

(6) في (أ): عليه.

(7) في (أ): فجموعها.

(فسبحان الذي بهر العقول): تنزه عن الإحاطة بجلاله، وبهرالعقول أي غلبها بتعاليه عن إحاطتها وقهرها.
(عن وصف خلق): من مخلوقاته وهوالطاؤوس.
(جلاَّه للعيون فأدركته): أظهره للأبصار فهي تراه كما ترى سائر المدَّركات.
(محدوداً): بحدود.
(مكَّوناً): مخلوقاً بعد أن لم يكن.
(ومؤَّلفاً): من أجزاء وأبعاض وأوصال.
(ملوناً): بهذه الأصابيغ العجيبة.
(وأعجز الألسن): أخرسها عن الإحاطة به وأفحمها.
(عن تلخيص صفته): بيانها وتحصيلها.
(وقعد(1) بها): العجز.
(عن تأدية نعته!): إيجاده وإيقاعه في الوجود.
(سبحان(2) من أدمج قوائم الذَّرَّة): ألَّفها تأليفاً منتظماً مدمجاً بعضه إلى بعض مدوراً ملساً ليس مضرساً.
(والهَمَجَة): وهي: ذباب صغير دون البعوضة.
(إلى ما فوقها(3) من خلق الحيتان والفيلة!): وإنما ذكرها وخصَّها لاختصاصها بالكبر من بين سائر الحيوانات، هذا من حيوان البر، وهو أكبرها أعني الفيل، وهذا من حيوان البحر فإن بعض الحوت يختص بخلق عظيم.

---

(1) في (ب): وبعد بها.
(2) في (ب) والنهج: وسبحان.
(3) في شرح النهج: فوقهما.

(1040/3)

وحكى ابن هشام(1) في سيرته: أن الرسول عليه السلام بعث أبا عبيدة بن الجراح في سرية، وزودهم جراباً من تمر فأكلوه حتى نفد، حتى لقد كان قدر قوت واحد منهم تمرة واحدة كل(2) يوم، فلما فرغ ذلك أجهدنا الجوع، فأخرج الله لنا دابة من البحر فأكلناها وسمنا عليها، فأخذ أميرنا ضلعاً

من أضلاعها، فوضعها(3) في طريقه ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل منَّا فجلس عليه ثم خرج من تحتها، وما مست رأسه(4)، وغير ذلك من المخلوقات العظيمة.

(ووأى على نفسه): الوأي: الوعد، وتعديته بعلى(5) حملاً علىالمعنى، كأنه قال: كتب على نفسه، وأقسم عليها، كما قال تعالى {كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}[الأنعام:12].

وفي بعض النسخ: (ورأى على نفسه): أي علم من حالها، وسبق ذلك في اللوح المحفوظ.

(ألا يضطرب): يتحرك وينصرف(6)، يميناًوشمالاً.

(شبح): من هذه الأشباح كلها.

(ممَّا(7) أولج فيه الروح): الذي يكون قواماً لجسمه، وسبباً لتصرفه.

(إلا وجعل الحِمَام موعده!): الحمام بالكسر هو: قدر الموت، والموعد زمان الوعد، أي هو الوقت الذي لا يتجاوزه.

(والفناء غايته): التي يصل إليها.

---

(1) هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، المتوفى سنة 213هـ، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر، أشهر كتبه السيرة النبوية المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق (الأعلام 166/4).

(2) قوله: كل يوم، سقط من (ب).

(3) في (ب): فوضعه.

(4) انظر الرواية في سيرة ابن هشام 309/4-310، وهي هنا باختلاف يسير.

(5) بعلى، سقط من (أ).

(6) في (ب): ويتصرف.

(7) في (أ): ما.

وأقول ها هنا: إذا كان كلام أمير المؤمنين مؤذن بأن خلقة الطاؤوس على حقارتها وضعفها بالإضافة إلى المخلوقات الباهرة لاتنال، فكيف حال خالقها، إذاً نكون على الوقوف على حقيقته أبعد، وضَعُفَ بما ذكرناه كلام من زعم أن حقيقة ذات الله معلومة للبشر، كما حكينا عن المعتزلة وغيرهم.

ثم عقَّب ذلك بذكر حال الجنة وصفاتها بقوله:

(فلو رميت ببصر قلبك): أراد نظرت وتفكرت بقلبك.

(نحو ما وصف(1) لك): إلى ما وصف الله في كتابه الكريم، وورد على لسان نبيه الرحيم.

(لعَزفتْ نفسك): أي زهدت، يقال: عزف نفسه عزوفاً في كذا إذا زهد عنه.

(عن بدائع ما أخرج إلى الدنيا من شهواتها): إعراضاً عنها، وشوقاً إلى لقاء(2) ما هو أغلى منها وأنفس.

(ولذاتها): جمع لذة وهو: ما يلذُّ الإنسان ويعجبه.

(وزخارف مناظرها): جمع منظر وهو: ما تروق النفس إليه وتشتهيه.

(ولذَهِلت بالفكر): تحيرت متفكراً.

(في اصطفاق(3) أشجار): في الأشجار التي تصفقها الريح أي تحركها.

(غيِّبت عروقها في كثُبان المسك): أدخلت عروقها فغابت عن الرؤية، الكثيب هو: العمود من الرمل.

(على سواحل أنهارها): شواطئها وجوانبها.

(وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب): كبائس: جمع كباسة، وهو العذق(4) من التمر بمنزلة العنقود من العنب.

(في عساليجها): واحدها عسلوج وهو: الغصن الواحد من الشجر.

(وأفنانها): واحدها فَنَن وهو: الشمراخ الواحد، قال الله تعالى: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[الرحمن:48].

(وطلوع تلك الثمار مختلفة): في هيئاتها، وطعومها، وأجناسها.

---

(1) في شرح النهج: ما يوصف لك منها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(2) في (أ) وفي نسخة أخرى: بقاء.

(3) في شرح النهج: اصطفاف.

(4) في (أ): العرق، وهو تحريف.

(1042/3)

(في غلف أكمامها): الغلف جمع غلاف، وهو: غطاء القارورة، والكمامة، والكِمِّ بكسر الكاف وهو: وعاء الطلع وغطاء النور الذي يكون فيه.

(تُجنى من غير تكلف): صعوبة ولا(1) عسرة على جانيها.

(فتأتي على منية مجتنيها): على وفق إرادته وشهوته.

(ويطاف على نزُّالها): الضمير للمناظر، وهي: المساكن المتقدم ذكرها.

(في أفنية قصورها): ساحاتها وجوانبها.

(بالأعسال المصفقة): تصفيق الشراب: تحويله من إناء إلى إناء ليبقى الصافي منه.

(والخمور المروَّقة): راق الشراب يروقه روقاً أي صفا، والمروَّقة: المصفَّاة.

(قوم): أي هم قوم.

(لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار): تمادى في فعله إذا فعله مرة بعد مرة، وأراد أنهم ما زالوا يكرمون بأنواع الكرامات، وتُحَفِها وَطُرَفِها إلى أن كان منتهاها وغايتها استقرارهم في الجنة وتوطّنهم لها.

(وأمنوا نُقلَة الأسفار): عن أن يكونوا منتقلين عنها، كما ينتقلون في أماكن الأسفار.

(فلو شغلت قلبك(2) أيها المستمع): لما نحكيه من هذه الأوصاف، ونذكره من هذه العجائب.

(بالوصول إلى مايهجم عليك): يرد عليك نعته وصفته.

(من تلك المناظر المونقة): المعجبة بنضارتها.

(لزهقت نفسك شوقاً): تعجلت نفسك شوقاً.

(إليها): إلى لذاتها وعجائبها وَطُرَفِها.

(ولتحملت من مجلسي هذا): نهضت منه.

(إلى مجاورة أهل القبور): أراد إلى الموت؛ لأنه لا يمكن الوصول إليها إلا بانقطاع التكليف، وذلك لا يحصل إلا بالموت.

(استعجالاً بها(3)): طلباً للعجلة إليها.

---

(1) في (أ): وعلى عسره.

(2) في (أ): نفسك.

(3) في (أ) و(ب): لها، وكتب الناسخ في (ب) فوقها: بها، وما أثبته منها ومن نسخة أخرى ومن شرح النهج.

(1043/3)

(جعلنا الله وإياكم ممن يسعى بقلبه): بالا جتهاد في الأعمال الصالحة لِيَعْبُرَ بها:

(إلى منازل الأبرار برحمته): في(1) الجنة بلطفه الموصل إلى رحمته، وكريم مغفرته.

(156) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بني أمية

(ليتأسَّ صغيركم بكبيركم): الأسوة هي: القدوة، وأردا أن الصغيرمنكم عليه الا قتداء بالكبير في أفعاله وأعماله من الخير، واصطناع المعروف.

(وليرأف كبيركم بصغيركم): أراد أن الكبير عليه الرأفة بالصغير، وإنما خصَّ التأسي بالصغير لأن الكبير هو أحق بالاقتداء، لما تقدم له من الخبرة والسبر للأحوال كلها، وظهور الحنكة في حاله، وإنما خص الرأفة بالكبير لأنه أحق بها لضعف حالة الصغير فهو أولى لا محالة بها، وهذا هو الذي ورد به الشرع وامتاز به المسلمون عن غيرهم، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}[الحجرات:10]، وفي الحديث: ((المسلمون كالبنيان يشد بعضه بعضاً))(2).

---

(1) في (ب): إلى.

(2) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى عليه السلام في تكملة الأحكام ص 86 وقوله: ((المسلمون))، في تكملة الأحكام: ((المؤمنون))، وأخرج نحوه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 178/2 بلفظ: ((المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي 675/8 وعزاه إلى أمالي الشجري 178/2 قلت: والشجري هو الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (ع).

والحديث بلفظ ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) أخرجه مسلم في صحيحه 1999/4، والبخاري في صحيحه 182/1، والترمذي في سننه 325/4.

(1044/3)

(ولا(1) تكونوا كجُفاة الجاهلية): كأهل الجفاء المختصون به من بين سائر الخلائق، وهم عبدة الأوثان والأصنام من العرب، وبيان جفائهم هو أنهم:

(لا في الدين يتفقهون): فقه الشيء إذا فهمه، أي أنهم لا يفهمون شيئاً من أمورالدين، ولايعرفون طرفاً من أحواله.

(ولا عن الله يعقلون): ما يصلحهم مما أَبْلَغَهُمْ إياه من أحوال الشرائع وتعريف الألطاف [الخفية](2)، ومثلهم فيما هم عليه من الغفلة عن الله، وعدم التفقه والتعقل عن الله:

(كقيض بيض في أداحٍ(3)): القيض هو: القشر الأعلى من البيضة، والأداح: جمع أدحى وهو: موضع تفريخ النعامة، ومدحاها: موضع بيضها، ويقال: أدحى(4) أيضاً على وزن أفعول لموضع مراحها أيضاً، لأنها تدحوه برجلها تبسطه وتفرخ فيه وليس لها عش كالطائر.

---

(1) في (ب): فلا تكونوا.

(2) زيادة في نسخة أخرى.

(3) في (ب): أداحي.
(4) ظنن في هامش في (ب) بقوله: ظ: أدحيي على وزن أفعول. تمت.

(1045/3)

(يكون كسرها وزراً، ويخرج حضانها شراً): أراد أن البيض التي تكون في الأداحي ليس يخلو حالها، إما أن يكون للنعامة فإن كسرته كان عليك وزراً، إذ لاوجه يتيح كسره بغير غرض(1) فيه، وإن كان ذلك البيض للحية وترك عن الكسر خرج حضانها شراً؛ لأنه يكون حيات، فهو لا يخلو عن هاتين الحالتين، فهكذا يكون حال جهَّال الجاهلية الذين يتعلمون أحكام الدين ممن يعلِّمهم، ولا يريد الله تعالى تعلّمهم(2) ويخذلهم(3) عن إدراكه؛ لإعراضهم عنه، إن قتلتهم(4) فلا يعرى قتلهم عن إثم لتلبسهم بالإسلام، وإن تركتهم فلا ينشأ منهم إلا الشر والفتنة، كالبيض في الأداحي، ثم ذكر الأمرالذي جرى على بني أمية:

(افترقوا بعد ألفتهم): في أيام خلافتهم، يقال: ألف هذا الشيء إلْفاً وإلافاً إذا غري به وعشقه، والاسم فيه(5) الألفة.

(وتشتتوا عن أصلهم): الذي كان يجمعهم، وهو أمرهم واستحكام الدولة لهم.

(فمنهم آخذ بغصن): يعني أن بعضهم يعتمد على غيره، ويتكل عليه، لما تفرَّقوا في البلاد ومزقوا كل ممزق التجأوا إلى غيرهم، واستندوا إليه وتمسك كل واحد منهم بغيره(6).

---

(1) في (أ): بغير عوض، وفي نسخة أخرى: لغير غرض.
(2) في نسخة أخرى: تفهمهم.
(3) في (ب): فيخذلهم.
(4) في (أ): قتلهم.
(5) في نسخة أخرى: منه.
(6) وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 284/9 في شرح قوله: (فمنهم آخذ بغصن) ما لفظه: أي يكون منهم من يتمسك بمن أخلفه بعدي من ذرية الرسول، أينما سلكوا سلكوا معهم، وتقدير الكلام: ومنهم من لا يكون هذه حاله، لكنه لم يذكره عليه السلام اكتفاء بذكر القسم الأول؛ لأنه دال على القسم الثاني. انتهى.

(1046/3)

(أينما مال مال معه): حيث كان لا يستقل بنفسه، ولا يجد له ملجأً سوى تمسكه به، فلهذا كان واقفاً على حسب إرادته يكون حيث كان ويقع حيث وقع.

(على أن الله تعالى سيجمعهم لشر يوم لبني أمية): على هذه متعلقة بأمر محذوف تقديره أمرهم هذا زائد على جمع الله لهم لشر يوم، يريد أنهم وإن تفرقوا في البلاد وتبددوا [فيها](1)فإن الله تعالى يجمعهم ليوم عظيم، وهو يوم كان هرب مروان الحمار، وهزم(2) عسكره وفرق جيشه(3).

(كما تجتمع قزع الخريف): القزع: قطع من السحاب رقيقة؛ لأنها في أيام الخريف تجتمع من كل ناحية.

(يؤلف الله بينهم): لمايريد بذلك من عذابهم، والنكال بهم.

([ثم](4) يجعلهم ركاماً): الركام هو: السحاب المتراكم الذي يكون بعضه على بعض.

(كركام السحاب): المترادف يركب بعضه بعضاً؛ لكثرته وعظمه، وأراد أنه يجمعهم حتيكونوا خلقاً عظيماً متكاثفاً.

(ثم يفتح الله عليهم(5) أبواباً): من أنواع بلائه، وعظائم نقماته لا تسدُّ عنهم ولا تغلق حتى يقضي الله فيهم أمره بالانتقام وقطع الدابر.

(يسيلون): يرتحلون(6).

(من مستثارهم): فيه روايتان:

أحدهما: بالثاء بثلاث من أعلاها، وأراد من حيث أزعجوا عن أماكنهم التي كانت لهم مستقراً(7) ومستوطنات، أخذاً من قولهم: استثارالناقة أي أزعجها للنهوض.

وثانيهما: بالشين من أعلاها وأراد من المواطن التي نعموا فيها وسمنوا، أخذاً من قولهم: استشارالبعير إذا سمن.

---

(1) زيادة في (ب).

(2) في (أ): وهرب.

(3) انظر تفاصيل ذلك في شرح النهج لابن أبي الحديد 7/121-123.

(4) زيادة في (ب) والنهج.

(5) في نسخة وشرح النهج: لهم.

(6) في (أ): يرحلون.

(7) في (ب): مستقرات.

(كسيل الجنتين): في الإسراع، يشير بها إلى ما كان من تغيير أحوالهم، وهربهم إلى بلاد الأندلس. وحكي أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك هرب إليها، وأقام هو وعقبه فيها مدة طويلة، وتابعه أهلها، ثم هلكوا هنالك شاردين عمَّا كانوا فيه من الخلافة والملك، فمثلهم فيماأصابهم بمافعل الله بسبأ لما طغوا وبغوا وأرسل عليهم سيل العرم فتفرقوا في البلاد، كما قال الله تعالى: {وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ}[سبأ:19] وضرب بهم المثل في التفرق، فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، وسبب ذلك أن بلقيس جعلت عليهم سداً ما بين الجبلين، وسددته بالبناء الأكيد، وكان يجمع الأمواء(1) من العيون والأمطار، وتركت فيه خروقاً(2) يأخذون الماء منها على قدر حاجتهم في السقي فلما كفروا وطغوا وبغوا، أرسل عليهم الجرذ(3) فنقبه، فأغرقهم به(4)، والجنتان هما ما حكاه الله تعالى في قوله: {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ}[سبأ:15]، وكل واحدة منهما مشتمل على عدة كثيرة من البساتين، ولم يرد بساتين؛ وإنما أراد الشطين العظيمين عن يمين وشمال، فأرسل الله عليهم من(5) السيل ما غيَّر ذلك كله وهدمه.

(حيث لم تسلم عليه قارّة(6)): القارَّة بتشديد الراء هي: الحفير الذي يستقر فيه الماء، أي لم تسلم عن الخراب والهدم.

(ولم تثبت له(7) أكمة): تردَّه عن النفوذ لقوته، وشدة أمره.

---

(1) في (ب): الماء.

(2) في (أ): ويركب فيه خروقاً.

(3) الجرذ: نوع من الفيران، والعبارة في (ب): أرسل الله عليهم الجراذ.

(4) انظر الكشاف 585/3.

(5) قوله: من، سقط من (أ).

(6) في (أ): فارَّة.

(7) في النهج: عليه.

(1048/3)

(ولم يَرُدُّ سَنَنَهُ): السنن: وجه الشيء الذي فيه يتوجه، يقال: جاء من الجبل ما لايرد سننه أي وجهه.

(رصُّ طود): الرصُّ: إلصاق البنيان بعضه ببعض، والطود هو: الجبل العظيم.

(ولا حِداب أرض): الحداب جمع حدب، وهو: ما ارتفع من الأرض، والمعنى في هذا أن السيل لقوته، وفخامة حاله، لم ترده عما هو فيه الأطواد العظيمة من الجبال ولاالأكام الواسعة الطويلة، كما في سائر السيول التي أريد بها الرحمة، فأما ما أريد به النقمة والعذاب، فلا يدَّ(1) لأحد تدفعه، فنعوذ

بالله من قضائه(2) النافذ، وقدره السابق!.
(يذعذعهم الله): أي يفرِّقهم، والذعذعة: التفريق، بذال منقوطة من أعلا ها، والضمير لبني أمية:
(في بطون أوديته): الضمير لله أو للسيل.
(ثم يسلكهم ينابيع في الأرض): إما جعلناهم(3) متفرقين في الأوديه التي ينبع منها الماء هرباً وتشريداً، وإماأدخلناهم في بطون الأودية قتلاً وموتاً، من قولهم: سلكته في الأرض فانسلك أي أدخلته فدخل، وكل ذلك قدفعله الله بهم، ويحتمل أن تكون هذه الضمائر لسبأ، وحكاية ما فعل الله بهم لما أهلكهم بالسيل، وتمثيل حال بني أمية بحالهم في ذلك، إياك أعني فاسمعي يا جارة.
(يأخذ بهم من قوم حقوق قوم): أي من كان عندهم(4) له حق أخذ منهم.

---

(1) في (أ): فلا شيء لأحد يدفعه.
(2) في (ب): من شر قضائه.
(3) في (ب): جعلهم.
(4) في (أ): عند.

(1049/3)

(ويمكّن لقوم في ديارقوم): ومن كان له(1) قِبَلَهم ثأرأدركه في حقهم لما صاروا إليه من الذل والهوان، فكل واحد ممن قهروه يتذكر ما كان عليهم له فيأخذه منهم، إذ لا يخاف فيهم(2) مكر ولا يخشى من جهتهم سطوة، ويحتمل أن يكون هذا على جهة العموم، والمعنى أن الله تعالى جعل الأيام مداولة بين الخلق فيعزُّ هذا ويذلُّ هذا، ويمكِّن هذا(3) من هذا، ويرفع هذا ويضع هذا، كما قال تعالى: {وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}[آل عمران:140].
(وايم الله ليذوبنَّ ما في أيديهم): يزول ويتفرق، يعني بني أمية.
(بعد العلو والتمكين): بعد الرفعة بالخلافة والملك، والاستيلاء على الخلق بالقهر والظلم.
(كما تذوب الأَلْيَةُ على النار): فيصير ماء متلاشياً بعد أن كان شحماً، وهذه(4) من العلوم التي أعلمها إياه رسول الله وأقرَّها في نفسه؛ لأن مثل هذا يكون أمراً غيبياً لا يكون إلا بإعلام الله تعالى.
(أيها الناس، لولم تتخاذلوا عن نصر الحق): يخذل بعضهم بعضاً عن القيام بالحق، والانتصار بجانبه.
(ولم تَهِنَوا عن توهين الباطل): ولم تضعفوا عن خذلان الباطل وإهماله.
(لم يطمع فيكم من ليس مثلكم): من ليس حاله كحالكم في الشدة والقوة والبطش.
(ولم يقوَ من قَوِيَ عليكم): ولم ينصر عليكم من نصر [من] (5) غيركم.

(لكنكم تهتم متاه بني إسرائيل): فنصر عليكم عدوكم وخذلتم.

---

(1) في (أ) و(ب): به، وما أثبته من نسخة أخرى.

(2) في نسخة أخرى: منهم.

(3) في (ب): لهذا.

(4) في (ب): وهذا.

(5) سقط من (أ).

(1050/3)

حكي أن التيه لبثوا فيه أربعين سنة، كما حكى الله(1) ذلك في ستة فراسخ، يسيرون كل يوم مجدين في السير، حتى إذا كَلُّوا وملُّوا وأمسوا إذ هم بحيث ارتحلوا، وكان الغمام يظلهم من حر الشمس، ويطلع عليهم عمود من نور الليل يضيء لهم، وينزل عليهم المنُّ والسلوى(2)، فالمنُّ: هو الترنْجبَين مثل الثلج ينزل عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، والسلوى: طائر يسمى السماني(3).

(ولعمري ليضعّفنَّ لكم التيه من بعدي أضعافاً): أراد الحيرة، والذهاب عن الحق.

سؤال؛ ماو جه تشبيههم بحال بني إسرائيل(4) في التيه، وليس حالهم كحالهم في ذلك؟

وجوابه؛ هو أنه عليه السلام شبَّه حاله فيما أمر به أصحابه من الجهاد للبغاة بحال موسي وهارون في أمرهما لقومهما بدخول الأرض المقدسة، فخالفتم(5) كما خالف بنو إسرائيل، ففعل الله بكم مثلما فعل بهم، فتهتم عن الحق وضللتم عنه خذلاناً من الله تعالى لكم، كما تاه بنو إسرائيل، وكان التيه عقوبة لهم على التأخر عن الدخول بيت المقدس، وأراد أن زيغكم بعدي عن الحق، وَبُعْدَكُم عنه أكثر من أيامي.

---

(1) في (ب): في ذلك.

(2) انظر الكشاف 656/1.

(3) وقال الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام في مجموع كتبه ورسائله 131/2 في كتاب الإيضاح في تفسير المن والسلوى قال ما لفظه: المن فهو شيء كان يقع على الشجر، طعمه كطعم السكر، يضرب إلى لون الخضرة، وقد ربما وجد الآن منه الشيء اليسير، فكان بنو إسرائيل يأكلونه، والسلوى فهو طائر دون الحمام، وقد يكون بالحجاز كثيراً، فكانوا يأكلونه مع المن. انتهى.

(4) في (ب): ما وجه تشبيههم ببني إسرائيل.

(5) في (ب): فخالفتهم.

(1051/3)

(بما(1) خلفتم الحق وراء ظهوركم): تركتموه بمنزلة الشيء الذي يكون وراء الظهر فلا يلتفت إليه، ولا يعول عليه.

(وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد نفسه بذلك لقربه منهم فقطعوه مع قربه منهم بمخالفته فيما يأمرهم به، ووصلتم الأبعد عنكم لموافقتكم(2) له فيما يريد وإن كان بعيداً عنكم.

وثانيهما: أن يريد قطعتم الحق مع قربه إليكم، ووضوحه(3) في أعينكم بالمخالفة له، ووصلتم الباطل مع بُعْدِه، وبطلان أمره لموافقتكم له واعتمادكم عليه.

(واعلموا أنكم إن اتبعتم الداعي لكم): يشير إلى نفسه.

(سلك بكم منهاج الرسول): طريقه فيما أمر به ونهى عنه.

(وكفيتم مؤونة الاعتساف): وهو الأخذ على غيرطريق.

(ونبذتم الثِّقل الفادح عن الأعناق(4)): طرحتم الأمر المثقل الغالب لكم من فوق أعناقكم، وعنى بذلك أن اتِّباعهم له يزيل ما قد حملوه(5) على ظهورهم من أوزار المخالفة، فلهذا قال: (ونبذتم الثقل الفادح) يشير إلى ذلك.

(157) ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته

(إن الله سبحانه أنزل كتاباً): وهو القرآن.

(هادياً): إلى كل خير.

(بيَّن فيه الخير والشر): الأعمال الصالحة والأعمال السيئة، أوالهدى والضلال، أو غير ذلك مما يكون خيراً وشراً، فإن القرآن مشتمل عليه.

(فخذوا نهج الخير): طريق الجنة.

(تهتدوا): إليها.

(واصدفوا): ميلوا.

(عن سمت الشر): طريقه.

(تَقْصِدوا): تصيبوا القصد من ذلك، أو تعدلوا أي تستقيموا، من قولهم: قصد إذا عدل.

---

(1) قوله: بما، زيادة في النهج.

(2) في (أ): لموافقتهم.

(3) في (ب): ورسوخه في أنفسكم.

(4) قوله: عن الأعناق، زيادة في النهج.

(5) في (ب): تحملوه.

(1052/3)

(الفرائض الفرائض!): تحذير عن تركها، وأراد الزموا الفرائض، وفي الحديث: ((ما تقرب إليَّ المتقربون بمثل أداء(1) ما افترضت عليهم)).

(أدُّوها إلى الله): أحسنوا تأديتها على الوجه الذي أراده منكم.

(تؤدّكم إلىالجنة): توصلكم إلى ثواب الله بدخول الجنة إذ هي جزاء عليها.

(إن الله حرَّم حراماً غير مجهول(2)): أراد أن جميع ما حرَّم الله تعالى على عباده قد أوضحه وبيَّنه على لسان نبيه، وبما قرره في العقول من المنع منه فليس مجهولاً، وإنما فعل ذلك لئلا يكون للعباد حجة بعد ذلك، ولئلا يقولوا حرَّم علينا ما لا نعلمه من ذلك.

---

(1) قوله: أداء، سقط من (ب)، والحديث أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف 105/9 وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين 477/8. وله شاهد بلفظ: ((ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء فريضتي)) أخرجه من حديث الهيثمي في مجمع الزوائد 269/10، وأبو يعلى في مسنده 520/12.

(2) بعده في النهج: وأحل حلالاً غير مدخول.

(1053/3)

(وفضَّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها): أراد أن المساجد لها حرمة، والكعبة لها حرمة، وغير ذلك مما وضع الله له حرمة، ولكن المؤمن حرمته فوق هذه الحرم عند الله تعالى؛ لمايريد من كرامته بالإيمان به، والإقرار بتوحيده، وفي الحديث: ((إن الرسول عليه السلام ضرب بيده يوماً على جدار الكعبة، وقال: إن الله شرَّفك وعظَّمك، ولكنَّ حرمة المؤمن أعظم عند الله منك))، ومن هذه حاله فالواجب الانكفاف عن أذيته(1) في كل ما يؤذيه، وفي الحديث: ((من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله)) (2) ثم تلا قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ

اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ}[الأحزاب:57] أو(3) أن يقال فيه ما ليس فيه، وفي الحديث: ((من قال في مؤمن ما لا يعلمه أقامه الله على تلٍّ من تلال جهنم، حتى يخرج عمَّا يقول وما هو بخارج))(4) وخليق بمن قرع سمعه هذه الوعيدات الشديدة ألا يقرب شيئاً من ذلك، وأن يكون على حذرمنه.
اللَّهُمَّ، اجعل حظَّنا من ذلك السلامة.

---

(1) في (ب): ذاته.
(2) ورد بلفظ: ((من آذى مسلماً فقد آذاني...)) الحديث، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط 61/4، والمعجم الصغير 284/1، والمنذري في الترغيب والترهيب 291/1.
(3) في (ب): وأن.
(4) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب في الأمالي ص 551 بسنده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه))._ ... _وله شاهد آخر أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء 189/8، بلفظ: ((من قال في مؤمن ما لا يعلم حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال)).

(1054/3)

(وشدَّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها): أراد أن كل من كان موحِّداً لله تعالى مخلصاً لدينه عن الشرك، فإن الإخلاص والتوحيد يؤكدان حقه، ويكرمانه(1) ويعظمانه عما يعتريه(2) ويشدانه عن السقوط، ويوجبان وضع الحقوق على ما عقدت عليه، والوفاء بها من الذمم والعهود والمواثيق.
(فالمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه(3)): أراد أن المسلم حقيقة من كفَّ يده عن أموال الناس بالظلم والتعدي، وكفَّ لسانه عن أعراضهم بالنقص(4) والغيبة والنميمة.
(إلا بالحق): من ذلك فيؤخذ دمه قصاصاً، ويؤخذ ماله دَيْناً وعلى جهة الاستقراض بطيبة من نفسه.
(ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب): أي لايباح ذلك لأحد، وقوله: (إلا بما يجب) فيه روايتان:
أحدهما: أن يكون بالجيم، وعلى هذا يكون(5) الاستثناء فيه متصلاً، ويكون المعنى لايباح أذى المسلم بشيء من الأشياء إلا بما يجب، وذلك نحو الجرح عند الحاكم فإن مثل هذا يكون واجباً لأجل الاحتياط في الشهادة.
وثانيهما: أن يكون بالحاء وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً، ويكون المعنى فيه لا يحل أذى المسلم لكن يذكر بما يحب من الذكر.

(1) في (ب): ويلزمانه.

(2) في (أ): يعيره، وفي نسخة أخرى: عما بعده، وما أثبته من (ب).

(3) في (ب) و في شرح النهج: من لسانه ويده.

(4) في (أ): بالبغض.

(5) قوله: يكون، سقط من (أ).

(بادروا أمر العامة): أي أحرزوا ما يعمُّ نفعه لكافة المسلمين، واتركوا ما يعمُّ ضرره على الكافة، وهذا نحو الجهاد وإصلاح الطرقات والمناهل والمساجد، فإن هذه الأمور إصلاحها مما يتعلق بالكافة، ولا يختص أحد بحق(1) أحد، وما لحقها من الضرر فإنه يعمُّ الكافة أيضاً، ولهذا كان نفعها عند الله عظيماً لما يلحق فيها من الصلاح.

(وخاصة أحدكم وهو الموت): أراد وأصلحوا أمر الخاصة، وهو ما يختص الآحاد والأفراد، وهو إصلاح حال الآخرة قبل وقوع الموت فيقطع ذلك كله.

(فإن اليأس أمامكم): يريد أن الآجال منقطعة في الأزمنة المستقبلة، وفيها انقطاع كل أمر واليأس من كل شيء.

(وإن الساعة تحدو بكم(2) من خلفكم): تسوقكم من ورائكم، وتحثكم على السير إلى القيامة.

(تخففوا تلحقوا): أراد تخففوا من أشغال الدنيا وأعمالها وتبعاتها، تلحقوا بأهل الصلاح التاركين للدنيا، والعاملين للآخرة.

(فإنما ينتظر بأولكم آخركم): أي أن من سبق منكم فإنه موقوف حتى يلحق به الآخرمن الخلق ليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين وهو يوم القيامة.

(اتقوا الله في عباده): بترك الظلم لهم والرحمة لضعيفهم، والتوقير لكبيرهم.

(وبلاده): بترك الفساد فيها وإصلاح أحوالها بالعدل، وتطهيرها عن جميع المعاصي.

(فإنكم مسؤولون): عن كل شيء من الأعمال، كبيرها وصغيرها، وجليلها ودقيقها.

(1) في (ب): دون.

(2) في نسخة وشرح النهج: تحدوكم.

(حتى عن البقاع والبهائم): فالسؤال عن البقاع لِمَ ظُلِمَت؟ ولِمَ عصي الله فيها(1)؟، والسؤال عن البهائم: لِمَ صُبِرَتْ(2)؟ ولِمَ حُمِّلت ما لا تطيقه؟، وفي الحديث: ((إن الله تعالى عذب امرأة في حبس هرَّة، فلا هي أطعمتها وسقتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش(3) الأرض)).

(أطيعوا(4) الله): بامتثال ما أمر به(5).

(ولا تعصوه): بمواقعة ما نهى عنه.

(فإذا رأيتم الخير): أمكنكم فعله.

(فخذوا به): فافعلوا به، وهذا عام في جميع الخيرات كلها.

(وإذا رأيتم الشر): عاينتموه.

(فأعرضوا عنه): اتركوه ولا تشتغلوا به، وهذا عام في جميع أنواع الشر كلها.

(158) ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة

وقد قال أقوام(6) من أصحابه: لو عاقبت قوماً ممَّن أجلب على عثمان، فقال لهم:

(يا إخوتا) (7): أي يا إخوتاه على جهة النداء لهم، أو يا إخوتي فأبدل من الياء ألفاً كما مرَّ في نظائره.

(إني لست أجهل ما تعلمون): من وجوب ذلك، والقطع على كونهم مخطئين فيما أتوه من القبيح والمنكر العظيم في قتله، وفي هذا دلالة على تنزيه ساحة أمير المؤمنين عن الرضا بما كان إليه.

---

(1) في (ب): بها.

(2) أي حبست ومنعت.

(3) أي هوامها وحشراتها، الواحدة خشاشة (النهاية لابن الأثير 33/2). والحديث بلفظ: ((دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من حشائش الأرض)) رواه في مطمح الآمال ص 78 عن ابن عمر، والحديث في مسلم 2023/4،2022، والبخاري 834/2،833، 1205/3، وصحيح ابن خزيمة 315/2، وصحيح ابن حبان 305/2.

(4) في (ب) وشرح النهج: وأطيعوا.

(5) في (أ): ما أمره.

(6) في (ب) وشرح النهج: قوم.

(7) في شرح النهج: يا إخوتاه.

نعم: قد كان وقع في خلافته أمور أنكرت عليه حتى طرق ذلك النكر(1) في إسلامه في قلوب كثير من أفاضل الصحابة رضي الله عنهم.

ويحكى عن الحسن بن علي، وعماربن ياسر، أنهما اختصما إلى أمير المؤمنين في إسلامه، فقال عمار: قتل كافراً، وقال الحسن بن علي: قتل مسلماً.

فقال أمير المؤمنين منكراً لذلك:

(يا عمار، أتكفر بربب يؤمن به عثمان) فسكت عمار(2).

(ولكن كيف لي بقَّوة): أين القوة التي توصلني إلى ذلك، وهو إنما يتوجه بشرط التمكن من ذلك.

(والقوم المجلبون): على قتله.

(على حد شوكتهم): من النجدة والقوة في أمرهم.

(يملكوننا): بالقهر والغلبة.

(ولا نملكهم): ولا نقدر على أخذ الحق منهم، وقوله: (يملكوننا، ولا نملكهم) من غريب الكلام وبديعه الذي يقضى منه العجب، وتحار في كُنْهِ جزالته وبلاغته الأفهام.

(وهاهم هؤلاء): ها للتنبيه وهم اسم مضمر، وهؤلاء اسم للإشارة مع التنبيه أيضاً.

(قد ثارت معهم عِبدَانكم): قامت ووثبت، والعبدان: جمع عبد.

(والتفَّت بهم أغراركم(3)): اجتمعت وانضمَّت، والأغرار: جمع غرِّ وهو الجاهل.

(وهم جلالكم): أكثركم ومعظمكم(4)، والجلة: الخيارمن الجمع، وجلائل الأمور: عظائمها(5).

(يسومونكم): من أجل كثرتهم ونجدتهم.

(ما شاءوا): من الأمور المكروهة.

(وهل ترون): والحال على هذه الصفه.

(مو ضعاً لقدرة على شئ تريدونه!): مما(6) في نفوسكم من ذلك.

---

(1) في (ب) وفي نسخة أخرى: الشك.

(2) شرح ابن أبي الحديد 48/3 عن قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني، وانظر المغني 54/2/20.

(3) العبارة في النهج: والتفت إليهم أعرابكم.

(4) في (أ): ومعظكم، وهو تحريف.

(5) في (ب): معظماتها.

(6) في (ب): ما.

(إن هذا الأمر): وهو ماكان من قتل عثمان، والإجلاب عليه.
(أمر جاهلية): يريد أن ذلك إنما كان من أجل ضغائن كانت في الجاهلية، وأحداث متقدمة فسكن أمرها في حياة الرسول ثم تذكروها بعد وفاته.
ويحكى ما نقله ابن هشام في سيرته: أن النبي صلى الله عليه لما شرع في عمارة مسجده عقيب قدومه من مكة، جعل عمار يرتجز بقوله:

لا يستوي من يعمر المساجدا
ومن يُرَى عن الغبار حائدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

يعرِّض بذلك إلى عثمان وكان قريب عهد بعرس، فقال عثمان: والله لئن لا تسكت لأعرض بهذه العصا على عينيك، فبلغ ذلك الرسول فغضب، وقال: ((ما لهم ولعمار، عمار يدعوهم إلى الجنة، وهم يدعونه إلى النار)) ثم قال: ((عمار جلدة ما بين عيني وأنفي فإذا بُلِغَ ذلك من الرجل، فلن يُسْتَبَقَ فا جتنبوه))(1)

---

(1) أخرج نحو رواية ابن هشام التي حكاها المؤلف هنا الإمام أبو العباس الحسني رضي الله عنه في المصابيح في السيرة ص230 عن ابن إسحاق والحديث فيه بلفظ: ((مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي))، وأورد رواية ابن هشام الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام 124/2 في ذكر مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وانظر سيرة ابن هشام 114/2-115، ونقلها المؤلف هنا باختصار، وفي سيرة ابن هشام: وارتجز علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا

يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به فلا يدرى أهو قائله أم غيره.
قال ابن إسحاق: فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها.

قال ابن هشام: فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما يعرض به، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي، عن ابن إسحاق، وقد سمى ابن إسحاق الرجل._ ... _قال ابن إسحاق: فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك، قال: وفي يده عصا. قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: ((ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلن يُستَبق فاجتنبوه)).

(1059/3)

، فتلك أمور كانت سابقة(1).

(وإن لهؤلاء القوم): قتلة عثمان.

(مادَّة): قوماً يمدُّونهم ويكونون عوناً لهم على من قاتلهم.

(إن الناس من هذا الأمر): وهو حربهم وقتالهم.

(إذا حُرِّك): عزم عليه وهمَّ به.

(على أمور): أحوال مختلفة، ومذاهب متفرقة عند الشروع فيه.

(فرقة ترى ما ترون): قوم يرون أن قتالهم صواب كما هو رأيكم.

(وفرقة ترى ما لاترون): وقوم آخرون لايرون ذلك صواباً، إما لأنهم يصوِّبون رأيهم في ذلك، وإما لأن القتال يؤدي إلى منكر كثير(2)، وقتل وقتال عظيم، ويفتح الشجار والخصومة.

(وفرقة ترى لا هذا ولا هذا): وقوم آخرون يزعمون أن ما فعلوه خطأ، وأن قتالهم يكون خطأً أيضاً، فهذه مذاهب الناس في ذلك.

(فاصبروا): عن حربهم.

(حتى يهدأ الناس): تسكن سورة(3) غضبهم.

(وتقع القلوب مواقعها): في الحلم، والأناة وتبصرالعواقب، وترجع أحلام ذوي النهى إليهم، ويزول الطيش والفشل.

(وتؤخذ الحقوق): من أهلها، هذا وغيره من الحقوق.

(مسمحة): سهلة ذات سماحة، يقال: أسمح الرجل فهو مسمح إذا صار ذا سماح.

(فاهدؤوا عني (4)): اسكنوا عن مراودتي في [هذا](5) الأمر.

(وانظروا ما(6) يأتيكم [به](7) أمري): ينتجه نظري من الحرب لهم أو الكفِّ عنهم.

(ولا تفعلوا فعلة): إما تجهلون جهلة أو تفعلون قضية بجهل.

(تُضَعْضعُ قوة): تهدم أموراً قوية قد شيِّدت ومهِّدت قواعدها.

(وتُسْقِط مُنَّة): قوة من قوى الدين وتزيلها.

(وتُورث وهناً): ضعفاً في الإسلام وأهله.

---

(1) في (ب): تقية.

(2) في (ب): كبير.

(3) سورة الغضب: وثوبه وحدته.

(4) قوله: عني، سقط من (أ).

(5) سقط من (أ) و(ب) وهو في نسخة أخرى.

(6) في النهج: ماذا يأتيكم.

(7) زيادة في نسخة أخرى والنهج.

(1060/3)

(وذلَّة): على المسلمين.

(وسأمسك الأمر): أسكِّن الأمور، وأقررها بجهدي.

(ما استمسك): مهما كان الدين سالماً وأمرالإسلام نافذاً.

(وإذا لم أجد بُدَّاً): من الحرب فعلته، وصبَّرت نفسي عليه إعزازاً لدين الله، وإعلاءً لكلمته.

(فآخر الداء(1) الكيُّ): يقول الداء يعالج بكثير من الأدوية فإذا أعضل أمره وصعبت معالجته بالأدوية فآخر المعالجة هو حسمه بالنار وكيُّهُ بها، والحرب هو غاية الأمور وقصاراها.

واعلم: أنا(2) قد حكينا عن أمير المؤمنين إنكاره على قتلة عثمان ما فعلوه، وقوله: (اللَّهُمَّ، العن قتلة عثمان في البر والبحر، والسهل والجبل) وليس تأخره عن الانتقام منهم إلا لما ذكره وهو عذر واضح مقبول عند الله، إذ لايصلح فعل معروف بارتكاب منكر أكبرمنه، فكلامه ها هنا مؤذن بالانتقام منهم متى وجد إلى ذلك سبيلاً، وخلا وجهه عن الأمور المهمة، والعوارض العظيمة التي تكون ثلماً في الدين.

(159) ومن خطبة(3) له عليه السلام عند مسير أصحاب الجمل إلى البصرة

(إن الله بعث رسولاً هادياً): بعث وابتعث أي أرسل، كله بمعنى واحد، رسولاً أراد النبي [هذا](4) هادياً للخلق إلى معالم دينهم.

(بكتاب ناطق): يعني القرآن ينطق بالحق.

(وأمرقائم): مستقيم لا يعوِّج.

(لا يهلك عنه): أي لا يتخلف عنه، وسمي التخلف عنه هلاكاً لما كان يؤدي إليه، فلا ينكره ويتخلف عن إمضاء أحكامه:

(إلا هالك): بتخلفه عنه، مهلك لنفسه.

(وإن المبتدعات): الأمور المبتدعة في الدين التي لا يشهد لها(5) برهان ولا حجة واضحة.

---

(1) في النهج: الدواء.

(2) في (أ): أن.

(3) في (ب): ومن كلام.

(4) سقط من (ب).

(5) في (ب): بها.

(1061/3)

([من](1) المشبّهات): اللواتي يُشَبَّهْنَ بالحق، ولسن(2) منه في ورد ولا صدر .

(هن المهلكات): للدين والمبطلات له.

(إلا ما حفظ الله منها(3)): بالتوبة والإقبال والإنابة.

(وإن في سلطان الله): الفيء إلى دينه والا عتصام به والاستمساك بحبله.

(عصمة لأمركم): منع لما أنتم فيه من أمر البغي والمخالفة.

(فأعطوه طاعتكم): الامتثال لأمره والانقياد لحكمه، وإنما أضاف الطاعة إليهم لما لهم فيها من الاختصاص، أي الطاعة التي تليق بكم من أجل أنكم عبيده وهو إلهكم، والْمُنْعِمُ عليكم بضروب(4) النعم وجزيلها.

(غيرمُلوَّمَةٍ): فيه وجهان:

أحدهما: غير بطيّة وغير منتظر بها، من قولهم: تلوَّم أي انتظر.

وثانيهما: أن يريد أعطوه طاعة خالصة عن الرياء فلا يكون فيها شيء(5) يلام عليه من ذلك.

([و](6)لا مستكره بها): ولا يلحقها إكراه فينقص أجرها، كما قال تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ}[البقرة:256].

(والله لتفعلنَّ): ما ذكرته من الطاعة لله تعالى، والانقياد لأمره.

(أو لينقلنَّ(7) الله عنكم سلطان الإسلام): يحوِّل الله عنكم عزَّكم بالإسلام والسلطنة الذي لكم من أجله، والعزُّ(8) الحاصل لكم بسببه.

(ثم لا ينقله إليكم أبداً): لأجل انتقاصكم له وعدم التفاتكم إليه.

---

(1) سقط من (ب) و من شرح النهج.
(2) في (ب): وليس
(3) في (ب): منهما.
(4) في (أ): بصروف، وهو تحريف.
(5) في (ب): ما يلام عليه.
(6) سقط من (أ).
(7) في (أ): وليتفلن، وهو خطأ، والصواب ما أثبته من (ب) والنهج.
(8) في (أ): والبر.

(1062/3)

(حتىَ يَأرِزَ الأمر إلى غيركم): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره فيزول عنكم حتى يأرز أي ينضم إلى غيركم، ويكون حاصلاً في حقهم.
(إن هؤلاء): يريد طلحة والزبير وعائشة، ومن كان معهم ممن أجلبوا به.
(قد تمالؤوا): اجتمعوا وتعاونوا، وكانوا إلباً واحداً(1).
(على سَخْطَة إمارتي): كراهتها وبغضها(2).
(وسأصبر): على تلك الكراهة تحملاً للغيظ وإكراهاً للنفس على ذلك، وفي الحديث: ((ما جرع عبد قط جرعتين أعظم عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل)) فالصبر عواقبه محمودة.
(ما لم أخف على جماعتكم): على تشتيت(3) الشمل لأهل الدين، والنكاية لأهل الإسلام وإظهار البدع.
(فإنهم إن يمموا على قُبالة هذا الرأي): القُبالة بالضم: ما واجهك(4) ويقال: اجلس قُبالتي أي مواجهي، والقَبالة بالفتح: الورقة للقبال(5)، والقِبالة بالكسر مصدر قِبَلَ قِبالة أي ضَمِنَ، وَيَمَّم الشيء إذا قصده، وأراد أنهم إذا عزموا على حربي وقتالي والبغي علي.
وفي نسخة أخرى: (إذا أتموا): من التمام أي إذا تمموا ما شرعوا فيه من القتال والبغي:
(انقطع نظام المسلمين): بانشقاق(6) العصا وتفرق الشمل.

---

(1) في (أ): وكانوا ليأخذوا، وهو تحريف، وفي (ب): وكانوا ولياً، وظنن فوقها بقوله: ظ: ملياً، وفي

نسخة أخرى: إلباً واحداً، كما أثبته.

(2) في (ب): ونقضها.

(3) في (ب): تشتت.

(4) في (أ): وجهك، وهو تحريف.

(5) أي للضمان.

(6) في (ب): باشتقاق.

(1063/3)

(وإنما طلبوا هذه الدنيا): أخذ الإمرة لنفوسهم يريد طلحة والزبير، فأما عائشة فما كان مسيرها ذلك إلا بمراودتهم لها واعتضاداً بمسيرها معهما، وإلا فهي لا تطلب الخلافة مثل طلبهما، وقد حكينا من قبل سبب مسيرها معهما ونزولها البصرة، فاجتماعهم جميعاً وتألبهم:

(حسداً): لأن حقيقة الحسد حاصلة، وهو أنهم يريدون أخذ الإمرة منهم لهما، وهذا هو فائدة الحسد، ومعناه وهو: أن تريد ما لأخيك ينزع منه ويكون لك بانفرادك.

(لمن أفاءها الله عليه): أعطاها إياه، يريد الخلافة بمنزلة الفيء وهو الغنيمة.

(فأرادوا ردَّ الأمور على أدبارها): إما ردُّ(1) الخلافة إليهم، وقد تقدمته بها وسبقته(2) إليها، وإما ردُّ(3) ما كان صواباً من الا ستقامة على الدين، والنصرة إلى ما يكون خطأ وهو المخالفة للدين والبغي عليَّ بذلك.

(ولكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله[صلى الله عليه وآله وسلم](4)): في الإقدام والإحجام.

(والقيام بحقه): فيما أوجب من ذلك وندب إليه من أمور الخلق.

(والنعش لسنته): إظهارها.

سؤال؛ ما وجه اتصال قوله: (ولكم علينا العمل بكتاب الله) بما قبله، وليس بينهما مداناة ولا مقاربة؟

وجوابه من وجهين؛

أما أولاً: فيجوز أن يكون هذا من باب الا ستطراد، وهو أن يذكر كلاماً عقيب كلام ليس بينهما ملاءمة، وهو كثير الورود في كتاب الله تعالى، وفي ألسنة الفصحاء، وقد نبهنا على ذلك في أثناء كلامه.

---

(1) في (أ): أراد.

(2) في (أ): وسبقت.

(3) في (أ):أرادَ.

(4) زيادة في شرح النهج، وفي نسخة أخرى: وسيرة رسول الله (هامش في ب).

(1064/3)

وأما ثانياً: فلأنه لما ذكر بغي أهل الجمل وكراهتهم لإمرته، عقَّب ذلك بما يدل على كونه أهلاً لها، وأحق بها لكونه عاملاً بكتاب الله وسنة رسوله، وهما الأصل في ذلك.

ثم التفت إلى كليب الجرميِّ(1) قبل وقعة الجمل، فقال له:

(بايع)(2)، فقال: إني رسول قومي ولا أحدث حدثاً دونهم، فقال عليه السلام:

(أر أيت الذين وراءك): من قومك الذين أرسلوك رائداً لهم وطليعة لأحوالهم، وفي استفهامه هذا معنى التقرير.

(لو بعثوك رائداً لهم تبتغي لهم مساقط الغيث): الرائد هو: الذي يرسله القوم يبتغي لهم الكلأ، ومساقط الغيث: جمع مَسْقَطٍ وهو مكان سقوطه.

(فرجعت إليهم وأخبرتهم): بما كان من أمرك، وبما وجدت.

(عن الكلأ والماء): فإنه حاصل في الأماكن التي أخبرتهم بها.

(ثم خالفوك(3)): فكذبوا(4) خبرك فيما جئت به، وصدروا.

(إلى المعاطش): أمكنة العطش.

(والمجادب): أمكنة الجدب.

(ما كنت صانعاً؟): في أمرك بعد ما تحققت ذلك.

---

(1) كليب الجرمي منسوب إلى بني جرم بن ربان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة من حمير، وكان هذا الرجل بعثه قوم من أهل البصرة إليه عليه السلام، يستعلم حاله، أهو على حجة أم على شبهة؟ فلما رآه عليه السلام وسمع لفظه علم صدقه وبرهانه، فكان بينهما ما قد شرحه عليه السلام (انظر شرح ابن أبي الحديد 9/299-300)._ ... _قلت: ولعله كليب بن شهاب الجرمي الذي ترجم له البخاري في التأريخ الكبير 229/7، فقال: كليب بن شهاب الجرمي، يعد في الكوفيين، سمع علياً وعمر، وروى عنه ابنه عاصم، وإبراهيم بن مهاجر.

(2) في (أ): تابع، وهو تصحيف.

(3) في النهج: فخالفوا.

(4) في (ب): وكذبوا.

(قال: كنت تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء، فقال [له](1): امدد يدك إذاً، فقال الرجل: والله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجة عليَّ فبايعته، والرجل مشهور في بني جرم).

(160) ومن كلام له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين

(اللَّهُمَّ، رب السقف المرفوع): وهو السماء كما أقسم الله به في قوله: {وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ}[الطور:5]، وإنما أقسم بها لما لها من الشرف والكرامة؛ لأنها مواضع الرحمة ومستقر الملائكة.

(والجو المكفوف): عن التغيّر والزوال، والذهاب والانتقال.

(الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار): مغيض الماء هو: الذي يجتمع فيه فينبت فيه الشجر، ومن هذا سميت الغيضة غيضة لاجتماع الماء فيها؛ لأنهما يجتمعان فيه، فالنهار عبارة عن طلوع الشمس، والليل عبارة عن غروبها، كما قال تعالى: {وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ}[يس:37]، فهذا دليل على أن الليل هو عدم النهار لا غير.

(ومجرىً للشمس والقمر): يجريان فيه على ما قدَّر من مصالح الخلق في اختلاف جريهما، فالقمر يقطع الفلك في شهر، يقف في كل منزلة من منازل البروج ليلة، والشمس تقطعه في السنة مرة في كل برج من البروج الاثني(2) عشر شهراً.

(ومختلفاً للنجوم السيارة): مكان اختلافها.

سؤال؛ أراه قال ها هنا: مجرى للشمس والقمر، وقال: مختلفاً للنجوم، فهل بينهما فرق أم لا؟

---

(1) سقط من (ب).

(2) في النسختين: الاثنا، ولعل الأصح كما أثبته.

وجوابه؛ هو أن سير الشمس والقمر لا يختلف في الطلوع من المشرق، وغروبها(1) في المغرب على جهة الاستقامة، بخلاف سير النجوم، فإن فيها ما يكون سيره على جهة الاستقامة، نحو هذه المنازل والبروج الاثني عشر، ومنها ما لايقطع الفلك نحو هذه الزهرة، فإنها لا تقطع الفلك، ولكن تنتهي إلى مقدار معلوم في السماء، تارة من(2) المشرق وتارة من المغرب، وليس قاطعة للفلك، ثم بنات نعش فإنها تكون دائرة حول القطب لا غير، إلى غيرذلك من الاختلاف في سيرها، فلهذا جعله

مختلفاً لها لما يظهر فيها من الاختلاف، وجعل ذلك مجرى لما كان على جهة الاستقامة.

(وجعلت سكانه): من يسكن فيه.

(سِبْطاً من ملائكتك): السِبط: البطن الواحد من القبيلة، قال الله تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً}[الأعراف:160].

(لا يسأمون من(3) عبادتك): لا تصيبهم سآمة ولا فتور على(4) ذلك، ولا تأخذهم ملالة.

(ورب هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام): مستقراً للخلق يتصرفون عليها في منافعهم.

(ومدرجاً للهوام والأنعام): مكاناً تدرج فيه في غاراتها وأماكنها.

سؤال؛ أراه جعل الأرض قراراً، وجعلها مدرجاً للهوام، فما وجه الفرق بينهما، وكل واحد من الفريقين يستقرُّ عليها؟

وجوابه؛ هو أن القرار عبارة عما يكون فيه راحة، ويكون موطّئاً ممهَّداً لمن يكون عليه، [وهذا](5)إنما يكون في حق الأنام.

---

(1) في (ب): وغروبهما.

(2) في (أ): في.

(3) في (ب): عن.

(4) في (ب): عن.

(5) سقط من (أ).

(1067/3)

فأما البهائم والأنعام فإنه لا يفعل لها(1) ذلك، وإنما الغرض هو حصولها في تلك الأماكن، فلهذا جعلها لها مدارج إشارة إلى ما ذكرناه(2) من التفرقة بينهما بما ذكرناه.

(وما لا يحصر(3) مما نرى وما لانرى): أي ورب ما لا نهاية له ولا غاية تحصره(4) مما يدرك بالحواس، وما لا يدرك بها.

(ورب الجبال الرواسي): الراسخة.

(التي جعلتها للأرض أوتاداً): حافظة عن الْمَيَدَان بأهلها والتحرك والاضطراب.

(وللخلق اعتماداً): يعتمدون عليها في إحراز أنفسهم بالقلاع والحصون.

(إن أظهرتنا على عدونا): من بغى علينا وخالفنا، وأراد المشاقَّة والفتنة في الدين.

(فجنِّبنا البغي): الزيادة على الاستحقاق فنكون باغين عليهم.

(وسددنا للحق): ثبتنا لأخذه منهم وإعطائه لهم.

(وإن أظهرتهم علينا): بالنصر والظفر.
(فارزقنا الشهادة): الموت عليها والتثبت لها.
(واعصمنا من الفتنة): عن أن نفتتن في الدنيا ونميل عن الحق بحبِّها.
(أين المانع الذِّمار): الذِّمار: ما وراء الرجل مما يحقُّ عليه أن يحميه(5) من حريمه ونسائه، وأراد أين هوفأعرفه الآن.
(والغائر): من الغِيْرة.
(عند نزول الحقائق): الأمور المكروهة والشدائد العظيمة، إذا حقَّ الأمر من ذلك.
(من أهل الحفاظ!): من أهل الأنفة.
(العار وراءكم): فلا تنكصوا(6) على أعقابكم فيتصل بكم.

---

(1) في (ب): بها.
(2) في (أ): ذكره، وأثبته من (ب).
(3) في (ب) والنهج: وما لايحصى مما يرى وما لا يرى.
(4) في نسخة أخرى: لحصره.
(5) في (أ): يحتميه.
(6) في (أ): تنكصون وهو خطأ.

(1068/3)

(والجنة أمامكم): فا قدموا عليها، فمن هذه حاله فإنه لا مطمع له في غير الديانة، ولا حظ له في خلاف النَّصَفَةِ، فأين حاله عن حال من يقاتله في إيثار الدنيا والإعراض عن الآخرة؟!.
(161) ومن خطبة له عليه السلام يذكرفيها طلحة والزبير
(الحمد لله الذي لا تُوارِي عنه سماء سماء): يعني(1) لا تحجبه(2) سماء تقوم بينه وبين سماء أخرى عن أن يكون رائياً لها.
(ولا أرض أرضاً): أي ولا تحجبه رؤية أرض عن أرض أخرى مثلها إذ ليس حاله كحال الواحد منَّا إذا قام بيننا وبين الأجسام المرئية جسم حاجز، فإنَّا لا ندركه لما كان إدراكنا للأجسام بآلة، فلهذا كان حاله مخالفاً لحالنا في ذلك.
(وقائل يقول لي: إنك يا ابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص(3)، فقلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد): الحرص هو: شدة الرغبة في طلب الشيء، وأراد أنكم إن زعمتم أني حريص على الإمارة لما ترون من منازعتي لكم وشدة شجاري إياكم فأنتم لا محالة أشد رغبة فيها، وأعظم طلباً لها، فأنتم

تطلبونها وتشتدُّ رغبتكم في تحصيلها مع بُعْدِكُم عن استحقاقها وأن تكونوا أهلاً لها.

(وأنا أخص بها): لإحرازي لخصالها واستكمال شرائطها.

(وأقرب): إما إلى الرسول فأكون أحقُّ بمكانه منكم وأولى به من غيري(4)، وإما أقرب إلى حصول ما يشترط من الصفات فيها، فإنها فيَّ متكاملة دون غيري.

(وإنما طلبت حقاً لي): بقيام الحجة والبرهان على ذلك من جهة الرسول.

(وأنتم تحولون بيني و بينه): بالمنازعة والشقاق والبغي.

(وتضربون وجهي دونه): بسلِّ السيوف وإشراع(5) الرماح.

---

(1) في (ب): أي.

(2) في (أ): لاتحجب.

(3) في (أ) تحرص، وما أثبتناه من (ب) والنهج.

(4) في (ب): غيرهم.

(5) في (ب): وانتزاع.

(1069/3)

(فلما قرَّعته بالحجة): بما كان من جهة الرسول من النصوص الواردة، أو بما كان من جهة الأفاضل من الصحابة من العقد لي والرضاء بي.

(في(1) الملأ الحاضرين): حال من الضمير في قرَّعت مقطوعاً على إمامتى بالوجهين جميعاً، والقرع هو: التنبيه، وفي المثل: فلان ممن لا تقرع له العصا، قال المتلمس(2):

لذي(3) الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا

وما عُلِّمَ الإنسان إلا ليعلما(4)

والأصل فيه أن رجلاً حكماً(5) من حكام العرب عاش حتى كبر وأهتر(6)، فقال لابنته: إذا أنكرت من فهمي شيئاً عند الحكم، فاقرعي لي المجن بالعصا لأرتدع.

قال:

وزعمت أنَّا لا حلوم لنا

إن العصا قرعت لذي الحلم(7)

واعلم: أنه لا خلاف بين أهل القبلة في صحة إمامة أمير المؤمنين وثبوتها، وإنما وقع الخلاف بين الأمة في طريقها، فأثبتها فريق بالنصِّ، وأثبتها آخرون بالاختيار.

---

(1) في (أ): والملأ، وفي (ب) والنهج كما أثبته.
(2) هو جرير بن عبد العزى أو عبد المسيح بن بني ضيعه، من ربيعة، المتوفى نحو سنة 50ق. ه، شاعر جاهلي، من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد، ومات ببصرى (من أعمال حوران في سورية) وله ديوان شعر مطبوع (الأعلام 119/2).
(3) في (ب): أرى.
(4) لسان العرب 64/3.
(5) هو عمرو بن حممة الدوسي، قضى بين العرب ثلاث مائة سنة، فلما كبر ألزموه السابع من ولده، يقرع العصا إذا غلط في حكومته (لسان العرب 64/3).
(6) أهتر: خرف.
(7) المصدر السابق 64/3 ونسبه للحرث بن وعلة الذهلي، وأوله فيه: وزعمتم أن ....إلخ.

(1070/3)

سؤال؛ كيف تزعمون أنه لاخلاف بين الأمة في إمامته، وقد حكي عن عباد(1) أنه كان يقول: كان لا يصلح للإمامة، والخوارج كفَّروه، فكيف يصح ما ذكرتموه؟
وجوابه؛ أما عباداً فإنما غرضه بما قال قبل أن يعقد له بناءً على قوله: إن إمامته إنما ثبتت بالاختيار بزعمه، فأما على ما نقوله فإنما ثبتت بالنصوص(2)، وأما الخوارج فإنما مقالتهم هذه إنما كانت بعد التحكيم لظنهم أنه كفر، وهكذا ما يحكى عن الأصم(3) والحشوية(4) فإنما أتوا في إنكار إمامته من جهة ما اتفق من حربه لأهل القبلة لجهلهم بأنه لا يحل ذلك، وكلها آراء فاسدة لمخالفتها للإجماع.

---

(1) لعله عباد بن سليمان، عدَّه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة، قال: وله كتب معروفة إلى أن قال: وكان من أصحاب هشام الفوطي، وله كتاب يسمى (الأبواب) نقضه أبوهاشم (المنية والأمل ص 177).
(2) في (ب): بالنص.
(3) الأصم هو حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن، المتوفى سنة 237ه، المعروف بالأصم، من أهل

بلخ (انظر الأعلام 152/2).
(4) الحشوية: هم الذين يروون الأحاديث المحشوة أي التي حشاها الزنادقة في أخبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويقبلونها ولا يتأولونها، وهم يصفون أنفسهم بأنه أصحاب الحديث، وأنهم أهل السنة والجماعة، ولا مذهب لهم منفرد، وأجمعوا على الجبر والتشبيه، وجسّموا وصوَّروا، وقالوا بالأعضاء وغير ذلك (انظر المنية والأمل ص121-124).

(1071/3)

(بهت): يعني القائل الذي قال له، ولعله يريد طلحة أوالزبير بهذا الكلام(1)، يقال: بُهِتَ الرجل بكسر الهاء إذا فشل وتحير، وبفتحها أيضاً وبضمها أيضاً، وعلى بناء ما لم يسم فاعله وهو أفصحها، قال الله تعالى: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}[البقرة:258].
(لا يدري ما يجيبني به): من الفشل والتحيروالدهشة، وأراد أنه أفحمه بما أورد عليه من الحجة.
(اللَّهُمَّ، إني أستعديك): أطلبك ناصراً من قولهم: استعدى فلاناً(2) على غيره إذا طلب النصرة.
(على قريش): طلحة والزبير وعائشة.
(ومن أعانهم): على آرائهم وما هم عليه من البغي.
(فإنهم قطعوا رحمي): بالحرب والعداوة البالغة.
(وصغَّروا عظيم منزلتي): عند الله وعند الخلق بما رفع الله من قدري.

---

(1) قال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج 305/10 في شرح هذه الخطبة ما لفظه: هذا من خطبة يذكر فيها عليه السلام ما جرى يوم الشورى بعد مقتل عمر، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص، سعد بن أبي وقاص، مع روايته فيه: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) وهذا عجب، فقال: لهم بل أنتم أحرص وأبعد، الكلام المذكور، وقد رواه الناس كافة.
وقالت الإمامية: هذا الكلام يوم السقيفة، والذي قال له: إنك على هذا الأمر لحريص أبو عبيدة بن الجراح، والرواية الأولى أظهر وأشهر. انتهى المراد نقله من ابن أبي الحديد.
(2) في نسخة أخرى: فلان.

(1072/3)

وروي عن ابن عباس أنه قال: ما نزلت آية منها(1): {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} إلا وعلي بن أبي طالب رأسها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد على أشياء وما عاتبه على شيء أصلاً(2).

(فأجمعوا على منازعتي أمراً هولي): يريد أنهم اتفقوا وتواطؤوا عن آخرهم على إخراجه عن الإمامة، وقد تقررت له بما ذكرناه من النصوص والرضاء به.

(وقالوا: ألا إن في الحق أن نأخذه): نكون أولى منك بالإمامة.

(وفي الحق أن تتركه): تخرج عنها وتخلِّيها، وهذا منهم خطأ وغلط، فإنما قالوه إنما يكون في الحقوق المالية، فإن كل من(3) كان له حق على غيره فإنه يجوز له تركه ويجوز له أخذه، فأما الإمامة فهي بمعزل عن ذلك، فإن الإمام إذا صارإماماً وثبتت إمامته واستحقها فإنه لا يجوز له تركها، ولا يسعه ذلك عند الله، إلا أن يؤ دي ذلك إلى خلل في الدين، كما كان منه تركها في أول الأمر، فأما بعد ذلك وحصول التمكن فلايجوز ذلك بحال.

(ثم خرجوا): من بيوتهم على جهة البغي، يريد أصحاب الجمل.

(يجرون حرمة رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](4)): يعني عائشة رضي الله عنها.

---

(1) في (ب): فيها.

(2) المغني 63/2/20، وأخرجه الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق 429/2-430 تحت الرقم (938)، (939) بسنده عن ابن عباس مع اختلاف يسير في اللفظ، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص31، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل 49/1-54 تحت الأرقام من (70) إلى (82)، وأخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية 133/1 مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وانظر الروضة الندية ص132.

(3) في (أ): ما.

(4) زيادة في شرح النهج.

(1073/3)

(كما تجر الأمة عند شرائها): أراد أنها لا تملك لنفسها حيلة سوى ما قالاه أعني طلحة والزبير، فإنهما هما اللذان أخرجاها من بيتها، كما حكينا ذلك من قبل هذا.

(موجهين(1) بها إلى البصرة): للحرب ورفع يده عنها؛ لأنها من أعماله وحيث ينفذ حكمه(2) وأمره.

(فحبسا(3) نساءهما في بيوتهما): تحشماً عن ذلك وكراهة له.

(وأبرزا حبيس رسول الله): [يريد أنه أمرها بالقرارفي بيتها والاحتباس فيه.

(لهما ولغيرهما): من أفناء الناس](4)، يريد أنهما أظهراها على أعين الخلق والملأ.

(في جيش): فيمن أقبلوا به من الجيوش ممن غرُّوه وخدعوه.

(ما فيهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة): أنه سامع لقولي ومطيع لما آمر به من أمر الله وأمر رسوله غير مخالف في ذلك ولا ناكل عنه.

(وسمح لي بالبيعة): ضرب بكفي على كفه تأكيداً للأمر ومتابعة(5) فيه.

(طائعاً): من نفسه غير مكره على ذلك.

---

(1) في نسخة وشرح النهج: متوجهين.

(2) في (ب): تنفذ أحكامه.

(3) في (ب): وحبسا.

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(5) في (ب): ومبالغة

(فقدموا على عاملي): عثمان بن حُنيف(1) بضم الحاء، هكذا سماعنا، صاحب رسول الله.

(وخزَّان بيت مال المسلمين): الذين يحفظونه ويتولون إنفاقه وإخراجه.

(وغيرهم من أهلها): ممن يكون عوناً لي على مأريده من إصلاح أمور المسلمين.

(فقتلوا طائفة صبراً): أي حبسوهم حتى قتلوهم، يقال: قتله صبراً إذا حبسه حتى يقتل.

(وطائفة غدراً): الغدر: خلاف الوفاء، يعني أنهم عقدوا لهم عقداً فلم يفوا به وقتلوهم.

---

(1) هو عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري، الأوسي أبو عمرو، وقيل: أبو عبد الله، المتوفى بعد سنة41هـ، والٍ من الصحابة، شهد أحداً وما بعدها، عمل لأمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام وولاه عمر السواد، وولاه علي عليه السلام على البصرة، فأخرجه منها طلحة والزبير حين قدماها، وسكن عثمان الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام، ومات بها في زمن معاوية، ولما نشبت فتنة الجمل دعاه أنصار عائشة إلى الخروج معهم على علي عليه السلام، فامتنع فغدر به طلحة والزبير ونتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، واستأذنوا به عائشة فأمرتهم بإطلاقه، وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حُنيف أول غدر كان في الإسلام (انظر شرح نهج البلاغة 321/9، 206.205/16، والأعلام 205/4).

ويحكى أنهم أخذوا هذا عثمان بن حُنيف ونتفوا لحيته وأطلقوه بعد ذلك، فلما ورد على أمير المؤمنين قال له: (فارقتنا شيخاً، ورجعت إلينا غلاماً)(1).

(فوالله لولم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً متعمدين): لو لم يصيبوا في قدومهم ذلك(2) إلا على واحد من أفناء الناس؛ لقصدهم ذلك وعمدهم إليه.

(لقتله): جرأة.

(بلا جرم)(3): كان منه إليهم.

(لحل لي قتل ذلك الجيش كله): وهذا فيه دلالة من مذهبه على أن الجماعة الكثير(4) إذا قتلوا شخصاً واحداً اجتراءً(5) عليه عامدين لا شبهة لهم في قتله، ولا صدر قتله على جهة الخطأ أنهم يقتلون بأجمعهم به، وهو قول الجمهور.

ويحكى عن بعض أولاده أنه قال: يختار ولي الدم واحداً فيقتله، فأما من زعم أنه لا يُقْتَلُ واحد منهم، فقول لم يصدر عن فطانة لما فيه من إبطال عصمة الدماء وإهدارها.

---

(1) أعلام نهج البلاغة -خ- للشريف علي بن ناصر الحسيني، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 321/9 بعد ذكره ما كان من أمر طلحة والزبير مع عثمان بن حنيف وغدر طلحة والزبير به ما لفظه: عن أبي مخنف: قال وخيَّروا عثمان بن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي فاختار الرحيل، فلحق بعلي عليه السلام، فلما رآه بكى، وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد، فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون قالها ثلاثاً. انتهى._ ... _(وللمزيد من أخبار عثمان بن حنيف وما جرى له مع طلحة والزبير راجع المصدر المذكور 311/9-322).

(2) في (ب): لو لم يصيبوا في قدومهم ذلك علي إلا واحداً من ...إلخ.

(3) في شرح النهج: بلا جرم جرّه.

(4) في (ب): الكثيرة.

(5) في (ب): واحداً أقدموا عليه.

(1076/3)

(إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه(1) بلسان ولايد): وهذه العلة تدل على أن تركهم الإنكار مع تمكنهم منه على أن حكمهم حكمه، ومشاركين له في الإثم والجناية لرضاهم بذلك وموالاتهم له عليه، كما قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}[المائدة:51].

(دع ما إنهم قد(2) قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم!): أراد أنهم لو لم يقتلوا وحضروا ثم سكتوا عن النكير لكان حكمهم ماذكرناه، فكيف وقد قتلوا جمعاً كثيراً.

اعلم: أنَّا قد ذكرنا توبة عائشة من قبل فلا وجه لتكريرها، والذي نذكره الآن توبة الزبير، ونذكر توبة طلحة بعدها(3) في كلام يخصُّه، ولاخلاف في فسقه وبغيه، بما كان منه من الخروج على أمير المؤمنين، ولكن الله تعالى بعظيم رحمته تداركه بلطفه، فقد روي عنه ما يدلُّ على ندامته وتوبته أموركثيرة، قد قدَّمنا كثيراً منها، فمن ذلك ما روي أنه ولَّى عن المعسكرفتبعه عمار، فقال له: إلى أين أبا عبد الله؟، فوالله ما أنت بجبان، ولكني أراك شككت!، فقال: هو ذاك(4)، ثم أنشد هذين البيتين:

ترك الأمور التي تخشى عواقبها

لله أسلم في الدنيا وفي الدين

اخترت عاراً على نار مؤججة

أنى يقوم لها خلق من الطين(5)

---

(1) عنه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(2) قد، سقط من (أ).

(3) في (ب): بعد هذا.

(4) المغني 89/2/20.

(5) المرجع السابق 86/2/20، وأورد البيتين ابن أبي الحديد في شرح النهج 234/1 من جملة أربعة أبيات هي:

نادى علي بأمر لست أنكره

وكان عمر أبيك الخير مذحين

فقلت حسبك من عذل أبا حسن

بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

ترك الأمور التي يخشى مغبتها

والله أمثل في الدنيا وفي الدين

فاخترت عاراً على نار مؤججة

أنى يقوم لها خلق من الطين
_ ... _(وانظر الروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص 68).

(1077/3)

ومن ذلك قوله لعائشة بعد حجاج أمير المؤمنين له وتذكيره لقول رسول الله له: ((تحاربه وأنت له ظالم)) فقال لها: ما شهدت موطناً في جاهلية وإسلام إلا ولي فيه داع إلا هذا الموطن(1). ومن ذلك قوله: إني في هذا لعلى باطل(2).
وقوله لما نظرإلى عمار في أصحاب علي، فقال: وانقطاع ظهراه، فقال له بعض أصحابه: ممن؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)) وعند ذلك لحق(3) بأمير المؤمنين ثم انصرف(4).
فهذه الأخبار كلها دالة على ندامته وتوبته عماً كان فيه من حرب أمير المؤمنين والخروج عليه، ولولا ذلك لكان هالكاً مع الهالكين ممن حاربه وخرج عليه.

(162) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها حرب أهل القبلة
(أمين وحيه): يعني به(5) الرسول عليه السلام.
(وخاتم رسله): إذ لارسول بعده.
(وبشير رحمته): المبشِّر بما(6) أعدَّ الله لأوليائه من نعيمه في دار الكرامة.
(ونذير نقمته): والمنذر لعقاب(7) الله تعالى ونقماته النازلة بأعدائه.
(أيها الناس): خطاب عام، وأصل الناس الأناس، لكنها طرحت همزتها تخفيفاً، ولهذا نقول في تصغيرها: أنيس مشدداً ومخففاً.
(إن أحق الناس بهذا الأمر): يعني الخلافة.
(أقواهم عليه): لأن مع القوة يتمكن صاحبه من القيام بأحواله والنهوض بأعبائه.

---

(1) انظر الرواية بالتفصيل في شرح ابن أبي الحديد 167/2، والمغني 87/2/20.
(2) انظر المرجع السابق.

(3) في (أ): يحن، وهو تحريف، وما أثبته من (ب).

(4) المرجع السابق 88/2/20.

(5) قوله: به، زيادة في (ب).

(6) في (أ): مما.

(7) في (ب): بعقاب.

(1078/3)

(وأعلمهم بأمرالله فيه): [بما أنزل الله فيه] (1) من القيام بأحوال الخلق، والإعزاز للحوزة والحفظ لأمور المسلمين كلها.

(فإن شغب مشغب(2)): هاج من جهته شر وخصومة، يقال: تشغب(3) الأمر إذا كثرت فيه الخصومة.

(أُستُعتب): طلب رضاه.

(فإن أبى قوتل): لبغيه بعد ذلك وعناده.

(ولعمري): قسم.

(لئن كانت(4) الإمامة): على ما قالوه وزعموه.

(لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس): الخلق كلهم.

(ما إلى ذلك سبيل): لتعذره واستحالته.

(ولكن أهلها): من كان معتبراً في أن يكون عاقداً لها وكافياً في صحة ثبوتها.

(يحكمون على من غاب عنها): أراد أن أهل العقد إذا عقدوا لمن كان مرضياً عندهم، فإنه لا يلتفت بعد ذلك إلى مخالفته ولا يحتفل بإنكاره.

(ثم ليس للشاهد): للعقد منهم.

(أن يرجع): فيما فعله من ذلك.

(ولا للغائب أن يختار): خلاف ذلك، إذا بلغ إليه ما كان منهم من الاختيار.

(ألا وإني أقاتل رجلين): يريد أن حربه وتوجه القتال لايكون إلا لهذا العدد.

(رجلاً): انتصابه على التمييز أو على عطف البيان.

(ادَّعى ماليس له): من الحقوق فكان ظالماً.

(ورجل منع ما(5) عليه): من الحقوق فكان ظالماً أيضاً، فهذا يؤمر بالكف عمَّا ليس له، وهذا يؤ مر بإعطاء ما عليه من ذلك فإن أبيا قوتلا على ذلك وقتلا عليه(6).

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): إتقاه في كل الأحوال.

(فإنها(7) خيرما تواصبه العباد): أعظمها وأعلاها، وهي أصل الدين وقاعدة مها ده.

---

(1) سقط من (ب).

(2) في نسخة وشرح النهج: شاغب.

(3) في (أ): شغب

(4) في (أ): كان.

(5) في نسخة وشرح النهج: الذي عليه.

(6) في (أ): علي، وهو غامض.

(7) في (أ): فإنه أخير.

(1079/3)

(وخير عوا قب الأمور عند الله): وأفضل كل شيء عاقبته؛ لأن لكل شيء عاقبة وحد وغاية وقصارى ونهاية، وإن غاية تقوى الله وعاقبتها هو إحراز رضوان الله وكريم ثوابه.

(وقد فُتحَ باب الحرب بينكم وبين أهل القبله): يعني فسَّاق التأويل الخارجين علىإمام الحق، ظناً(1) منهم أنهم على حق، وانتصبوا للمحاربة، وكانوا في فئة وَمِنْعَةٍ كأهل الشام وغيرهم من أهل النهروان، فإن هؤلاء كلهم خوارج لما كان منهم من البغي على أمير المؤمنين والظهور عليه.

(ولا يحمل هذا العلم إلا أهل(2) البصر والصبر(3)): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون عاماً أي لا يحمل علم الشريعة، وما جاء به الرسول من العلوم الدينية إلا ذو البصائر والصبر على إبلاغها وتعليمها.

وثانيهما: أن يكون خاصاً، ويكون معناه لا يطلع على أحكام أهل البغي وما ينبغي فيهم من السيرة إلا ذو البصائر النافذة، وأهل الصبر على قتالهم، ولعله هو مراده؛ لأن قتال أهل البغي فيه من الصعوبة ما لا يخفى، ولهذا كان سبباً لأقوام في الشك في إمامة أمير المؤمنين كأهل الحشو وغيرهم، والتخلف عن الجهاد معه كا لذي عرض لعبد الله بن عمر وغيره ممن تأخر عنه.

(والعلم بمواضع الحق): كيف السيرة فيهم، وكيف يعاملون في قتالهم.

(فامضوا لما تؤمرون به): من ذلك في قتالهم وجهادهم، وأخذ ما يؤخذ منهم.

---

(1) في (ب): باطناً.

(2) قوله: أهل، سقط من (أ).

(3) في (ب): إلا أهل البصر والبصيرة.

(وقفوا عند ما تنهون عنه): من ذلك، والذي تؤمرون به هو قتلهم مقبلين واستئصال شأفتهم والنصيحة لهم مرة بعد مرة، كما كان يفعل أمير المؤمنين في ذلك، والذي(1) تنهون عنه هو سبيهم وقتلهم منهزمين والإنجاز(2) على جريحهم وغيرذلك من الأحكام.

(ولا تعجلوا في أمر): من أمورهم في الجهاد.

(حتى تثبتوا(3)): إما من الثبات، وأراد حتى تكونوا على حقيقة من حاله، وإما من البيان وأراد حتى تستيقنوا أمره ويظهر لكم حكمه.

(فإن لنا مع كل أمر تنكرونه عَبْراً): العبر بفتح العين المهملة والباء بنقطة من أسفلها هو: التدبر، يقال: عبرت الكتاب أعبره عبراً إذا تدبرته، وأراد أن أمرنا وإن كان ظاهره ينكر فإن فيه سراً ومصلحة فقفوا(4) عند الأوامر، وانتهوا عند المناهي.

(ألا وإن هذه الدنيا [التي](5)أصبحتم تمنونها): إما بأن يقول كل واحد منهم: ياليتها حيزت لي وكنت فيها متمكناً، وإما أن يريد تفرحون بحصولها لكم.

(وترغبون فيها): تتا فسون في جمعها وإحرازها.

(وأصبحت تغضبكم وترضيكم): فإغضابها لكم امتناعها عليكم فتغضبون من أجل ذلك، وإرضاؤها لكم انقيادها وإتيانها إليكم.

(ليست بداركم): التي تستقرون فيها.

(ولا منزلكم): ولاهي موضع لنزولكم.

(الذي(6) خلقتم له(7)): من أجله وهي الجنة، فإن الله تعالى ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته ليحوزوا ثواب طاعته ووراثة جنته.

---

(1) في (أ): والذين، وهو تحريف.

(2) أنجز على القتيل: أجهز. (القاموس المحيط ص677).

(3) في شرح النهج: حتى تتبينوا.

(4) في (أ): فبقوا، وما أثبته من (ب).

(5) سقط من (أ).

(6) في (ب): التي.

(7) له، زيادة في النهج.

(ولا الذي دعيتم إليه): وإنما دعيتم إلى الجنة، كما قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}[آل عمران:133].

(ألا وإنها ليست باقية لكم): دائمة.

(ولا تبقون لها): تدومون لها، بل تنقطع أعماركم بالموت، وتنقطع الدنيا بالزوال والانقضاء.

(وهي وإن غرتكم منها): بلذاتها، وتعجيل عاجلها.

(فقد حذرتكم شرها): إما بماكان من تغيرها وزوالها من غيركم، وإما بما كان من الحوادث والمصائب والتقلبات.

(فدعوا غرورها): الاغترار بها، والانهماك في حبها.

(لتحذيرها): لكم بالتغيروالزوال.

(وأطماعها): ودعوا ما تغري به أنفسكم من طمعها.

(لتخويفها): لما يلحق فيها من الخوف، إما بانقطاعها وبطلان نعيمها، وإما لما يلحق فيها من المخافات العظيمة والغموم الكثيرة.

(وسابقوا فيها): سارعوا إليها مسارعة من يسابق غيره إلى شيء نفيس يأخذه، والمسابقة إنما تكون بالأعمال الصالحة.

(إلى الدار التي دعيتم إليها): وهي الجنة، كما قال تعالى: {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}[العنكبوت:64].

(وانصرفوا بقلوبكم عنها): بالإعراض(1) عن شهواتها ولذاتها.

(ولا يحنن أحدكم حنين الأمة): الحنين هو: توقان النفس(2) وتشوقها، وحنين الناقة: صوتها إذا نزعت إلى ولدها، ومنه حنين الأمة.

---

(1) في (ب): بالانصراف.

(2) في (ب): النفوس، والعبارة في شرح النهج: (ولا يخنَّنَّ أحدكم خنين الأمة...إلخ)، بالخاء المعجمة وقال ابن أبي الحديد في شرحه: وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء، وأضافة إلى الأمة لأن الإماء كثيراً ما يضربن فيبكين ويسمع الخنين منهن، ولأن الحرة تأنف من البكاء والخنين. انتهى.

(1082/3)

(على ما زوي عنه منها): قبض وجمع فلم يتناوله منها.
(و(1)استتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعته): أراد اصبروا على الإتيان بالطاعة ليكون ذلك سبباً لتمام نعمة الله عليكم، وفي الحديث: ((إذا وصلت إليكم أوائل النعم، فلا تنفروا أواخرها بقلة الشكر، فما كل(2) شارد يعود))(3).
(والمحافظة على ما استحفظكم): والتحفظ على ماطلب منكم حفظه.
(من كتابه): والتحفظ عليه، إما بمراعاة أحكامه والوقوف عند حدوده وتحليل حلاله وتحريم حرامه، وإما بألاّ يزاد فيه ولا ينقص ولا يحرَّف ولا يقع فيه تغيير(4).
(ألا إنه(5) لا يضركم تضييع شيء من دنياكم): إهمالها واطِّراحها غير ضار لأحدمنكم.
(بعد حفظكم قائمة دينكم): وهو الدين المستقيم، العمل بالواجبات، والانكفاف عن المحرمات، والمحافظة على الحدود كلها.
(ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم): إهماله واطِّراحه.
(شيء حافظتم عليه): وإن غلا ونفس.
(من أمر دنياكم): لا نقطاعها منكم، وذهابها من أيديكم.
(أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق): صرفها إلى محبته والعمل بمقتضاه.
(وألهمنا وإياكم الصبر): على فعل الطاعة والقصد بها وجه الله تعالى، والانكفاف عن المعصية أيضاً.

(163) ومن خطبة له عليه السلام في معنى طلحة بن عبيد الله

---

(1) الواو، سقط من (أ).
(2) كل، سقط من (ب).
(3) الحديث ورد في شرح النهج لابن أبي الحديد 116/18 من كلام الإمام علي عليه السلام في قصار الحكم رقم (14) بلفظ: ((إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر)) وانظر نهج البلاغة بشرح مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده 5/4.
(4) في (أ): تغير.
(5) في (ب) وشرح النهج: ألا وإنه.

(قد كنت وما أُهدَّد بالحرب): أراد أني على حالتي وعلو شأني فيما مضى، وقوله: (وما أهدد بالحرب) عطف على شيء محذوف تقديره: قد كنت على حالتي من قبل لا أبالي بما يمرُّ عليَّ من الحوادث، وما أهدَّد بالحرب أي ما أوعدته(1)، والتهدد: التوعد بالمكاره.

(ولا أُرهَّب بالضرب): ولا أخوَّف به.

(وأنا على ما وعدني ربي من النصر): حيث قال: {ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ}[الحج:60]، ولا بغي أعظم مما بليت به، من أخذ إمارتي(2) الواجبة لي، وإنزالي من مرتبتي التي وضعني الله فيها، والبغي والفساد في الأرض.

(والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان): يخاطب بهذا الكلام طلحة، يقول: إنه ما نزل البصرة، وجاء مستعجلاً للحرب، محفزاً(3) لها، قاصداً لها، متجرداً عن سائر الأشغال، يزعم أنه ثائر بدم عثمان فما فعل ذلك، واستحب(4) فيه إرادة لوجه الله تعالى، وانتقاماً لعثمان، وما فعله:

(إلا خوفاً من أن يطالب بدمه): خوفاً منصوب على المصدرية مفعولاً من أجله أي من أجل خوفه عن أن يطالب هو بدمه(5).

(لأنه مظنته): موضع التهمة من أجل عثمان، يقال: فلان مظنّة كذا بكسر الظاء وفتحها أي موضعه الذي يظنُّ فيه.

(ولم يكن في القوم): الذين أجلبوا على قتل عثمان.

(أحرص عليه منه): أكثر ملاحقة لقتل(6) عثمان من طلحة، فلهذا كان مظنَّة للتهمة وموضعاً لها لأجل ذلك.

---

(1) في (ب): أوعد به.

(2) في (أ): ماربي، وفي (ب): إمارتي الواجب وإنزالي من رتبتي.

(3) في (ب): محقراً.

(4) في نسخة أخرى: واستحث.

(5) قوله: بدمه، في (ب): به.

(6) في (ب): بقتل.

(1084/3)

(فأراد أن يغالط): المغالطة: مفاعلة من الغلاط، وهو أن يُري الحق من ظاهره وباطنه بخلاف ذلك، فإظهاره للحرب والاستعجال إليه بزعمه من أجل عثمان ظاهره الانتصار لعثمان، وباطنه خلاف ذلك، يغالط:

(بما أجلب فيه): الضمير إما لعثمان أي أجلب في كفر عثمان، وإما للعسكر الذي أجلب فيه، والجيوش التي حشدها وجمعها.

(ليلتبس الأمر): فلا يقال: إنه معين(1) على قتل عثمان ولا يتهم بذلك لمايبدومن ظهورحاله بالانتصارله.

(ويقع الشك): في ذلك فيكون لقائل أن يقول: كيف يتهم طلحة بدم عثمان، وهاهو ذا في غاية الا نتصارله، بجمع العساكر، وقود الجيوش أخذاً بثأره، وقياماً بدمه فهذا وجه الشك.

(ووالله ماصنع): طلحة.

(في أمر عثمان): في طلبه بدمه، وانتصاره له.

(واحدة من ثلاث): خصلة من خصال ثلاث كان ينبغي له أن يفعل واحدة منها.

(لئن كان ابن عفان ظالماً): بما أحدث من الأحداث التي نقمت عليه واستنكرها الخلق.

(كما كان يزعم): طلحة، فإنه كان في حياته يتهمه بالظلم ويرميه به(2)، واللام في قوله: لئن كان هي الموطئة للقسم، مثلها في قوله تعالى: {لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ}[الحشر:12].

(لما كان ينبغي له أن يوازر قاتليه): لما هذه هي جواب القسم، والمعنى إن كان عثمان ظالماً عندك فقد استحق ما وقع به من ذلك، فمالك والموازرة لقاتليه أي المغالبة لهم وقتالهم، من قولهم: وزرت فلاناً إذا غلبته، فهم بزعمك على الحق في قتاله(3).

---

(1) في (أ): مغض.

(2) عن أخبار ما كان من أمر طلحة مع عثمان بن عفان في الإجلاب عليه والحصر له والاغراء به، انظر ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 10/5-9.

(3) في (ب): قتالهم

(أو ينابذ ناصريه): وكان من حقك(1) المنابذة والمشاجرة لمن نصره؛ لأنهم قد نصروه على الظلم وأعانوه عليه.

(ولئن كان مظلوماً): كما أنت تزعم الآن وتدعي.

(لقد كان ينبغي): يتوجه على طلحة من جهة الدين والمروءة.

(أن يكون من المنهنهين عنه): الذَّابّين عن حوزته، والصادِّين عن قتله.

(والمعذِّرين فيه): المنتصرين له، يقال: فلان معذِّر في فلان إذا قام في حقه، وذبَّ عنه ونصره.

(ولئن كان في شك من الخصلتين): أن يكون ظالماً، وأن يكون مظلوماً، ولم يعلم واحدة منهما ولا

درى بحاله:

(لقد كان ينبغي له أن يعتزله جانباً(2)): اعتزلت جانب فلان إذا تركته وأهملته.

(ويتركه): فلا ينصره، ولا يخذله.

(ويدع الناس معه): ويترك الناس الذين اجتمعوا عليه ورأيهم فيه.

(فما فعل واحدة من هذه الثلاث): التي ذكرتها وأشرت إليها.

(وجاء بأمر): وهو طلبه بدم عثمان، وهومن القائمين [عليه](3)فأمره في ذلك أمر:

(لم يعرف بابه): فيدخل إليه.

(ولم تسلم معاذيره): غير(4) الخطأ والمغالطة، ومخالفة الحق، وكما ذكرناه من قبل ماأنعم الله على الزبير وعائشة في إلهامهما للتوبة، وتداركهما عن الهلاك بها.

فلنذكر توبة طلحة كما وعدنا من قبل:

---

(1) في (ب): وكان مرجعك.

(2) العبارة في (ب): لقد كان ينبغي أن يعتزله ويركب جانباً، وفي شرح النهج: ويركد جانباً.

(3) زيادة في نسخة أخرى.

(4) في نسخة أخرى: عن.

(1086/3)

وأقول: إنه كان من الهالكين بما كان منه على أمير المؤمنين من البغي والخروج، ولكن الله لم ينس صحبته لرسوله، وكان من العشرة المبشرين بالجنة: علي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، والمقداد، وعبد الرحمن بن عوف(1).

فمن ذلك أنه [لما](2) أصابه السهم في المعركة(3) أظهرالندامة والتوبة، والتأسف على ما فعله، ثم قال [بعد ذلك] (4):

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكسْعِيّ لَمَّا

رَأت عَيْناه مَا صَنَعَت يَدَاه(5)

ومن ذلك أنه قال: ما رأيت مصرع شيخ(6) أضل من مصرعي هذا، بعدما أصيب.

---

(1) انظر التعليق على هذا الحديث في ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة للأمير الحسين بن بدر الدين رحمه الله تعالى.

(2) سقط من (أ).

(3) قال أبو مخنف: إن أهل الجمل لما تضعضعوا قال مروان: لا أطلب ثأر عثمان من طلحة بعد اليوم فانتحى له بسهم فأصاب ساقه، فقطع أكحله، فجعل الدم يبضّ، فاستدعى من مولى له بغلة فركبها وأدبر، وقال لمولاه: ويحك! أما من مكان أقدر فيه على النزول فقد قتلني الدم، فيقول له مولاه: انجُ وإلا لحقك القوم، فقال: تالله ما رأيت مصرع شيخ أضيع من مصرعي هذا، حتى انتهى إلى دار من دور البصرة فنزلها ومات بها._ ... _وقد روي أنه رمي قبل أن يرميه مروان، وجرح في غير موضع من جسده (انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 113/9).

(4) سقط من (أ).

(5) المغني 88/2/20، وانظر البيت في لسان العرب 258/3، وهو فيه بدون نسبة إلى قائله.

(6) في (أ): سنخ أصل، وفي شرح ابن أبي الحديد: شيخ أضيع، ونص العبارة في لوامع الأنوار 105/3: ما رأيت مصرع قرشي أضل من مصرعي، وانظر المغني 88/2/20.

(1087/3)

ومن ذلك أن أميرالمؤمنين لما وقف عليه وهو مقتول، فقال:

(يرحم الله أبا محمد) وترحمه عليه يدل على توبته وإنابته لامحالة.

ومن ذلك ما روي عن أمير المؤمنين أنه قال:

(إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير، كما قال الله: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}(1))[الحجر:47]، ولولا علمه بالتوبة منهما لما جاز أن يقول ذلك؛ لأن هذا لايكون فيمن مات وهو مصرٌّ على فسقه وبغيه، فتقرر بما ذكرناه صحة توبة طلحة، وأنه مقطوع على نجاته وسلامته بعد ذلك من غضب الله وسخطه.

(164) ومن كلام له عليه السلام قاله لذِعلب اليماني، وقد سأله: هل رأيت ربك؟

وهو [ذعلب] (2)بالذال بنقطة من أعلاها وبالباء بنقطة من أسفلها، وبالعين المهملة، وخلاف(3) ذلك تصحيف لايوجد في الكلام، والذعلب هو: السريع في الأمور، والذعلبة: الناقة السريعة قال جرير:

وَقَدْ أَكُوْنُ عَلى الْحَاجَاتِ ذَا لبَثٍ

وَأَحْوَذياً إذا انْضَمَّ الذَّعَالِيْبُ(4)

والأحوذي هو: المشمّر في الأمور القاهر لها، ومراده بالذعاليب: قطع الخرق، فقال له أمير المؤمنين:

(أفأعبد ما لا أرى): منكراً [لأن](5) يكون الأمر على خلاف ذلك؛ لأن العقول تحيل عبادة ما ليس معلوماً ولا مرئياً لحقائق العقول، فقال له ذعلب: وكيف تراه؟ قال:

---

(1) المغني 88/2/20، والروضة الندية في شرح التحفة العلوية ص 69.

(2) سقط من (أ).

(3) في (ب): وغير ذلك.

(4) لسان العرب 1069/1، وقوله: وقد، فيه: (لقد).

(5) سقط من (أ).

(1088/3)

(لا تراه العيون بمشاهدة(1) العيان): نفى رؤيته بهذه الأحداق، وإدراكه بهذه الحواس لما قد تقررفي العقول من خلاف ذلك واستحالته، وتكذيباً لمن خالفنا في ذلك من طوائف الأشعرية وغيرهم من الفرق الذاهبين إلى جواز رؤيته، وصحتها، ويلزمهم على شناعة هذه المقالة وبشاعتها أن يكون الله تعالى في جهة المقابلة؛ لأنه يستحيل إدراك ما ليس مقابلاً لهذه الحاسة، وإذا(2) كان خالصاً في جهة فلا بد إذا حصل من الجهة، إما أن يكون له حظ الاستقلال في الكون في الجهة فيكون متحيزاً حاصلاً فيها، فيكون جسماً وجوهراً، أو لا يكون حاصلاً في الجهة على جهة الاستقلال فيكون عرضاً من جملة المرئيات، ولا محيص لهم إذا قالوا بالجهة والرؤية فيها من أحد هاتين الشناعتين، وهم لا يقولون بذلك، فإذاً العيون لا تراه.

(ولكن تدركه القلوب): تعلمه وتثبته.

(بحقائق الإيمان): أراد أن القلوب تعلمه من حيث كانت مؤمنة له، ومصدقة به ويستحيل فيمن يكون مؤمناً بالشيء مصدقاً به أن يكون غير عالم به فلأجل هذا قال: إن القلوب تدركه بحقائق إيمانها، يشير إلى ما قلناه من ذلك.

(قريب من الأشياء): بالعلم والإحاطة والتدبير.

(غير ملامس): أراد أنه مع قربه منها فإنه غير ملاصق لها؛ لا ستحالة ذلك، فإن الملاصقة إنما هي في حق الأجسام لاغير.

(بعيد منها): في الحقيقة والمماثلة لها، أو بعيد عن تصورات الأوهام، أوبعيد عن الإحاطة للعقول به.

(غير مباين): يريد أنه وإن كان بعيداً ، فإنه لايقال: بأنه مباين لها، لأن المباينة هي البعد بين الشيئين، وهذا إنما يكون في الأجسام، وهو تعالى غير جسم.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: مشاهدة.

(2) في (ب): وإن.

(1089/3)

(متكلم): فاعل للكلام وموجد له، إما في الهواء، وإما في الشجر أوغير ذلك من المحالّ التي يوجد فيها الكلام.

(بلا رويَّة): فكر ونظر يوجد به الكلام كما يفعل الواحد منَّا.

(مريد): فاعل للإرادة على من يرى أن الإرادة [هي] (1) جنس برأسه مخالف للداعية، وهو قول طائفة من المتكلمين من الزيدية والمعتزلة، أو يكون مراده من ذلك مريداً على معنى أن له داعياً(2) إلى الفعل، وهي المصلحة وتكون الإرادة عبارة عن العلم لاغير، وهو قول النظام من المتكلمين.

(بلا همة): أي بلا مشقة عليه فيما يريده من الأفعال.

(صانع): إما فاعل لهذه المكونات العظيمة، والمصنوعات الباهرة في العالم، وإما محكم لها لما فيها من النظامات والتأليفات البديعة، وما اشتملت عليه من مطابقة المنافع فكل هذا صنع من جهته:

(لا بجارحة): يحكم بها هذه الإحكامات الدقيقة.

(لطيف): بالخلق راحم لهم في جميع أحوالهم، ومع لطفه بهم فإنه مع ذلك:

(لا يوصف بالخفاء[كبير لايوصف بالجفاء] (3)): لأن الخافي مايصغر حجمه فلا يدرك، وهو تعالى ليس بذي حجم فلايوصف بذلك.

(بصير): يدرك المبصرات كلها.

(لا يوصف بحاسّة): أراد أنه مع إبصاره لكل مبصر فلايكون إبصاره بحاسّة من هذه الحواس أصلاً.

(رحيم): للخلق، وفي الحديث: ((إن الله تعالى خلق مائة رحمة فادَّخر منها تسعة وتسعين رحمة عنده، ثم أنزل رحمة واحدة يتراحم بها الخلق فيما بينهم))(4).

---

(1) سقط من (ب).

(2) في (ب): داعية.

(3) سقط من (أ).

(4) أخرجه مسلم 2108/4، والدارمي في سننه 413/2، وابن ماجة في سننه 1435/2، وأحمد بن حنبل في مسنده 55/3، 439/5.

(1090/3)

(لا يوصف بالرقة): يريد ومع كونه موصوفاً بالرحمة فإنه لا يوصف بالرِّقة؛ لأن ذلك إنما يكون ممن كان ذا قلب وجارحة، وهو يتعالى عن ذلك.

(تعنو الوجوه): تخضع وتذل، كما قال تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ}[طه:111].

(لعظمته): من أجل كونه عظيماً لا يمكن وصف عظمته.

(تجب(1) القلوب): أي تضطرب وتشفق من قولهم: وجب قلبُه إذا اضطرب.

(من مخافته): خوفاً من سطوته، وإشفاقاً من عقوبته، وقد سرد هذه الصفات بغير نسق بحرف العطف، وهذا من علم البديع يسمى التعدية، كما قال تعالى: {شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ}[غافر:3] وله وقع في النفوس لا يخفى بخلاف ما لوكان بحرف العطف.

(165) ومن كلام له عليه السلام في معنى الحكمين

(فأجمع رأي ملئكم): الأفاضل من جمعكم ورؤسائكم لما(2) فعل معاوية وأصحابه من أهل الشام، من إلقاء المصاحف وتحكيمها غدراً بكم ومكراً.

(على(3) أن اختاروا رجلين): في الحكومة علينا وعليهم وفصلاً لشجارنا وشجارهم، وقد تكررحديثهما غير مرة في عدة من كلامه، ومواضع كثيرة من خطابه، وإنما تكرر ذلك لما وقع بسببهما من الفتنة العظيمة والضلال الكبير.

(فأخذنا عليهما): أوثقنا وربطنا.

(أن يجتمعا عند القرآن): يتفقان على حكمه، وأن لايخالفاه في حكم من أحكامه.

وفي نسخة أخرى: (أن يجعجعا عند القرآن): أي يقفا(4) عنده، من جعجع البعير إذا برك واستناخ.

(لايجاوزاه(5)): أي لايتعديا حكمه.

(وتكون ألسنتهما معه): مصاحبة له، أي لايقولان إلاماقال، ولا يحكمان إلا بما حكم.

---

(1) في (ب): وتجب.

(2) في (أ): كما.

(3) قوله: على، سقط من (أ).

(4) في (ب): يتفقا.

(5) في (ب) وشرح النهج: ولا يجاوزاه.

(1091/3)

(وقلوبهما(1) معه): يميلان معه حيث مال.

(فتاها): ذهبا عن أحكامه.

(عنه): بالمجاوزة لحده، والمخالفة لأمره.

(وتركا الحق): خلَّفاه وراء ظهورهما.

(وهما يبصرانه): معاينة لاسترة فيها، وأراد أنهما خالفا القرآن بالقصد إلى غير(2)ذلك من غير شبهة، وفعلا ذلك تمرداً وعناداً.

(وكان الجور هواهما): الميل عن الحق ما هوياه، وفعلاه بهواهما(3) وجهلهما.

(والاعوجاج): عن طريق الحق واتباع الهدى.

(دأبهما): في جميع أحوالهما كلها.

(وقد سبق استثناؤناعليهما في الحكم): أراد أنه قد عهد إليهما قبل الشروع فيه الاستقامة على كتاب الله وعلى الوفاء بأحكامه.

(في الحكم بالعدل): ألاَّ يحكما إلا بما يكون رضاً لله تعالى.

(والعمل بالحق): وبما(4) لاحيف فيه من أمر الباطل، فسبق استثناؤنا بما ذكرناه.

(سوء رأيهما): الذي فعلاه من عند أنفسهما.

(وجور حكمهما): ومخالفته للحق.

(والثقة): أي الوثاق إما الوثيقة(5)، يقال: فلان أخذ بالوثيقة في أمره، والغرض الاستيثاق في الأمر.

(في أيدينا لأنفسنا): أي الوثيقة باقية في أيدينا بعدما فعلا ما فعلا من الخديعة، لا يضر(6) فعلهما في ذلك شيئاً.

(حين خالفا سبيل الحق): ونكصا على أعقابهما وتركا طريقه.

---

(1) في (أ). : وقلوبهم.

(2) قوله: غير، سقط من (أ).

(3) في (ب): بهوانهما.

(4) في (ب): أي بما.

(5) في (ب): بتوثيقه.
(6) في (ب): لا يضرنا.

(وأتيا بما لا يُعْرَفُ): جاءا بما لا يعرفه أحد من المسلمين من مخالفة(1) ما قلناه، ومن قتير(2) الأمر.

(من معكوس الحكم): من الحكم الباطل(3)، والهداية إلى الخطأ والعماية والضلال.

اعلم: أن المتخلفين عن أمير المؤمنين التاركين لمبايعته(4) فريقان:

الفريق(5) الأول:

الذين لم يقتنعوا بترك المبايعة(6) له، بل نصبوا له العداوة، وظاهروا عليه وقاموا في وجهه بالحروب والمشاجرة، ثم هؤلاء صنفان:

فالصنف الأول:

طغوا عليه وبغوا بالمخالفة، ونصب الحرب، ولكن الله تعالى لطف برحمته تداركهم عن الهلاك بالبغي عليه، وهؤلاء هم أصحاب الجمل، طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم من أهل الشام، فإنه قد كان منهم ما كان من ذلك، لكن قد روينا توبتهم وندمهم ورجوعهم إلى أمير المؤمنين، واستقباح مافعلوه وقد توقف في حاله وحال طلحة والزبير وعائشة أقوام، وهو خطأ لأمرين:

---

(1) في (ب): مخالفته.

(2) كذا في النسختين ولعله من تقتر فلان إذا غضب وتهيأ للمخاصمة، وللصيد إذا استتر في القترة ليخدعه ويصيده، وتقتر فلان عنه إذا تنحى، وتقتر فلان فلاناً إذا حاول خداعه عن غفلة (انظر المعجم الوسيط 714/2).

(3) في (ب): بالباطل.

(4) في (أ): لمتابعته، وعن بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمر المتخلفين عنها انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4/6-11.

(5) في (ب): فالفريق الأول.

(6) في (أ): المتابعة.

أما أولاً: فلأنه قال فيه الرسول: ((تقاتل القاسطين والمارقين والناكثين))(1).
وأما ثانياً: فلأنَّا لو وقفنا في حاله مع طلحة والزبير وعائشة، لوقفنا في حاله مع معاوية والخوارج؛ لأن أحوالهم كلها مستوية في البغي والخروج على إمام الحق، كيف وقد قال الرسول عليه السلام: ((ستكون بعدي هنات وهنات)) يريد أشياء قبيحة منكرة ((فمن أراد أن يفرِّق بين هذه الأمة، وهم جميع فا ضربوه بالسيف كائناً من كان)) (2).
الصنف الثاني:
الذين استمرو ا على البغي والخلاف والشقاق، وهؤلاء هم معاوية وأحزابه من أهل الشام، والخوارج وأهل النهروان.

---

(1) حديث أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين علي عليه السلام بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين سبق تخريجه وأخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص 270، والحاكم في المستدرك 150/3، والهيثمي في مجمع الزوائد 186/5، 235/6، 238/7، وأبو يعلى في مسنده 397/1، والبزار في مسنده 215/2، ومصادره كثيرة سبق أن أشرت إلى بعضها في تخريج له سابق.
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 169/2، والبيهقي في السنن الكبرى 292/2، 293، والنسائي في سننه (المجتبى) 93/7، وأحمد بن حنبل في مسنده 341/4، ورواه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد في المغني74/2/20.

(1094/3)

واعلم: أنه لا قائل من الأمة بالوقف في حاله، وحال الخوارج لظهورأمرهم في البغي والخلاف، وإن كان في الأمة من وقف في حاله وحال معاوية، وهذا جهل بما ذكرناه في حاله مع طلحة، والزبير وعائشة، ثم ما روي في حال عمار، أنه قال: ((تقتلك ياعمار الفئة الباغية)) وسبب ذلك أنه كان يحمل اللَّبْنَ والتراب في عمارة مسجد رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم](1) يوم قدومه من مكة، فقال عمار: يا رسول الله، قتلوني حمَّلوني اللَّبْنَ، فأقبل الرسولعليه السلام ينفض وفرته(2) من التراب والغبار، ثم قال له: ((ويح ابن سمية!، ليسوا بقاتليك، إنما تقتلك الفئة الباغية))(3).

---

(1) سقط من (أ).
(2) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس.
(3) روى نحوه البدر الأمير في الروضة الندية ص85، وقال فيه: تكلم صلى الله عليه وآله وسلم

بهذا قبل وقعة بدر، وقيل: فتح مكة، وقبل إسلام رأس الفئة الباغية، وقبل أن يفتح من البلاد شيئاً، وتكرر منهصلى الله عليه وآله وسلم ذكر أن عماراً رضي الله عنه تقتله الفئة الباغية في عدة مواقف، وقد كان عمار رضي الله عنه من أعيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى._ ... _قال العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي حفظه الله تعالى في لوامع الأنوار 145/3 في ترجمة عمار بن ياسر رضي الله عنه ما لفظه: قال ابن حجر: وتواترت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عماراً تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث وتسعون سنة، واتفقوا أنه نزل فيه: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان...}إلخ. انتهى، وانظر الخبر في سيرة ابن هشام 114/2، والمستدرك للحاكم 162/2، ومسند أحمد بن حنبل 5/3، ومسند أبي يعلى 195/7.

(1095/3)

وحكي أن عماراً قال يوم صفين: الرواح إلى الجنة، يحثُّ أصحابه على القتال(1).

وحكي عنه أنه قال: ادفنوني في ثيابي، فإني(2) رجل مخاصم. فهذه حال من حاربه.

الفريق الثاني:

الذين تخلفوا عنه بترك المبايعة من غير قتال له ولا محاربة، وهؤلاء هم: عبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، فهؤلاء قد تخلفوا عنه من غيرمحاربة منهم له، ولا خروج عليه لطرؤ الشبهة عليهم في حرب أهل القبلة، فإن كان أميرالمؤمنين طلب منهم الخروج معه للجهاد فتخلفوا، فقد أثموا لا محالة لمخالفتهم لأمره، والله أعلم بحال هذا الإثم أين يبلغ بهم، وإن كان لم يطلب منهم ذاك(3)، فالجهاد من فروض الكفاية فلا وجه لتأثيمهم من غير أن يطلب منهم الخروج، ثم هم صنفان:

فالصنف الأول:

---

(1) المغني 75/2/20، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج 104/10 عن ابن عبد البر النمري في الاستيعاب ما لفظه: وروى الأعمش، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع عليعليه السلام صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا وادٍ من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يتبعونه، كأنه علم لهم، وسمعته يقول يومئذ لهاشم بن عتبة: يا هاشم، تقدم، الجنة تحت البارقة:

اليوم ألقى الأحبة

محمداً وحزبه

_ ... _والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وأنهم على الباطل. ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله

واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق على سبيله

_ ... _فلم أر أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ. انتهى.

(2) في (ب): وإني، وانظر الرواية في المغني 75/2/20.

(3) في (ب): ذلك.

(1096/3)

منهم: من ندم(1) على تخلفه عن أمير المؤمنين، وترك الجهاد معه، وهذا هو ابن عمر، فإنه حكى عنه سعيد بن جبير(2) أنه قال له: يا ابن الدهماء، أما إني لا آسى على فراق الدنيا إلا على ظمأ الهواجر، وألاَّ أكون قاتلت الفئة الباغية(3).

---

(1) في (أ): يذم، وهو تصحيف.

(2) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء الكوفي، أبو عبد الله [45- 95هـ] أحد عظماء الإسلام، ومن سادات التابعين علماً وفضلاً وصدقاً وعبادة، حبشي الأصل، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، وقبض عليه، وأرسل به إلى الحجاج، فقتله الحجاج صبراً، فلم يلبث الحجاج بعد مقتله إلا خمسة عشر يوماً حتى هلك. أخذ العلم عن ابن عباس، وابن عمر، وجعفر بن إياس، والأعمش، وذكره غير واحد في رجال الشيعة، ومن ثقات محدثيهم، وعده أبو العباس الحسني فيمن بايع الإمام الحسن بن الحسن الرضا (معجم رجال الاعتبار صـ 163-164).

(3) المغني 91/2/20، وقول ابن عمر بلفظ: (ما آسى على شيء من أمر الدنيا إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب). أخرجه الحافظ محمد بن سليمان الكوفي في المناقب 579/2 برقم (1088) بسنده عن نافع عن ابن عمر، وبلفظ الكوفي رواه في لوامع الأنوار 130/3 وعزاه إلى ابن عبد البر من طرق.

(1097/3)

وروى الزهري(1) أنه قال: لما بويع لمعاوية قال: من أحق بهذا الأمر مني؟ فقال ابن عمر: من ضربك وأباك عليه(2).

الصنف الثاني:

الذين استمرت بهم الشبهة، وهم من ذكرناه غيرابن عمر، فإن أمير المؤمنين تركهم على حالهم(3)، ولم يضيِّق عليهم في الخروج معه؛ لاستغنائه بغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

وحكي عن أمير المؤمنين أن قال:

(والله ما لمن فارق الحق عندي إلا ضرب العنق)(4).

وحكي عنه أن قال لأصحاب النبي عليه السلام: (أنشدكم بالله، هل ترونني عادلاً)؟ قالوا: لو غيرذلك رأيناك لقوَّمناك بأسيافنا.

فقال: (الحمد لله الذي جعلني بين قوم، إذا أردت الميل من الحق قوَّموني(5) بأسيافهم)(6).

---

(1) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري أبو بكر [51–125هـ] تابعي من أهل المدينة، نزل الشام واستقر بها، وكان صاحب شرطة بني أمية وأحد أنصارهم، دعاه الإمام زيد بن علي عليه السلام للخروج معه فأبى، وللعلامة الحجة بدر الدين الحوثي كتاب (الزهري أحاديثه وسيرته) طبع عن مؤسسة الإمام زيد بن علي عليهما السلام، (وانظر عن الزهري معجم رجال الاعتبار ص 403–404).

(2) المغني 91/2/20.

(3) كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام، فإن هؤلاء لم يبعث إليهم أمير المؤمنين علي عليه السلام لاعطاء البيعة، كما بعث إلى عبد الله بن عمر، وسعد بن أبي وقاص، وأسامة بن زيد، وقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن سلام، فقال: لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا (انظر شرح ابن أبي الحديد 9/4).

(4) المغني 75/2/20.

(5) في (أ): قوماني، وما أثبته من (ب)

(6) أورد الرواية هذه قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد رحمه الله في المغني 75/2/20 باختلاف يسير.

(1098/3)

ولله درُّهم جميعاً فما أقوى عزائمهم على الدين وأمضى شباهم فيه!، فانظر إلى إمامهم ما أكبر(1) تواضعه للحق وإنصافه، وانظر إلى هؤلاء الأتباع في تركهم المداهنة في الدين، والمصانعة فيه، ومن هذه حاله ينعش(2) الله به الدين، ويقوّي به قواعده(3)، فإذا كان حالهم هذه مع أمير المؤمنين في الصلابة، والتشدد به(4) في ذات الله من إظهار النصيحة، والقوة على الأمر، والشدة فيه والعزم، وتوطين النفس على ألاَّ تأخذهم في الله من لائم ملامة، فكيف حالهم فيمن رأوا منه ما ينكرونه من مخالفة الدين وابتغاء الدنيا، هم لا محالة أشد في الإنكار!، وأبلغ في الإعراض عنه والازورار!.

(166) ومن كلام [له](5) عليه السلام في ذم أصحابه

(أحمد الله على ما قضى من أمر): أي فرغ من قضائه، من قولهم: قضيت حاجتي إذا فرغت منها، فإن الله تعالى قد فرغ من قضائه للأمور كلها.

(وقدَّر من فعل): وأحكم(6) الأفعال كلها من جميع مايصدر منه.

سؤال؛ أراه خصَّ القضاء بالأمر وخصَّ التقدير بالأفعال، وكل واحد منهما يمكن اختصاصه بالقضاء والقدر، ولم يقل: أحمد على ما قضى وقدَّر من أمر وفعل، فما وجهه؟

---

(1) في (ب): أكثر.

(2) في (ب): لينعش.

(3) في (ب): وتقوى قواعده.

(4) في (ب): والشدة في ذات الله.

(5) سقط من (أ).

(6) في (أ): وإحكام، وما أثبته من (ب).

(1099/3)
